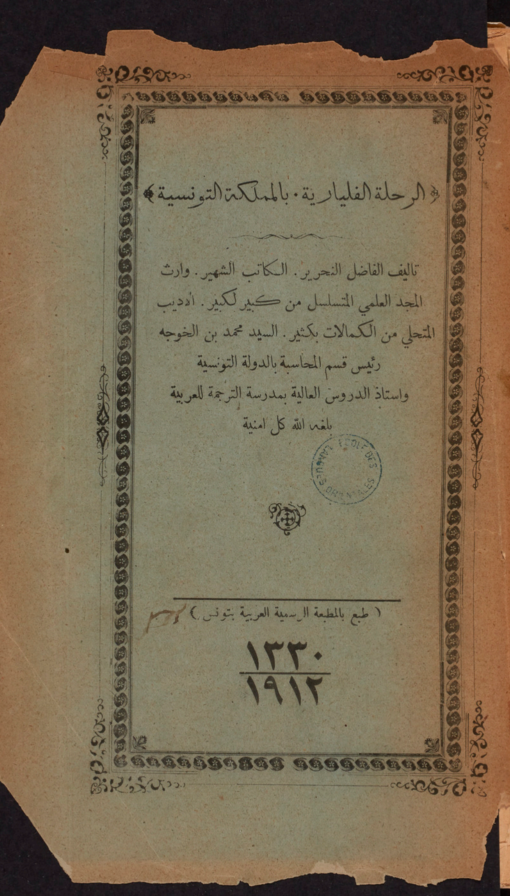


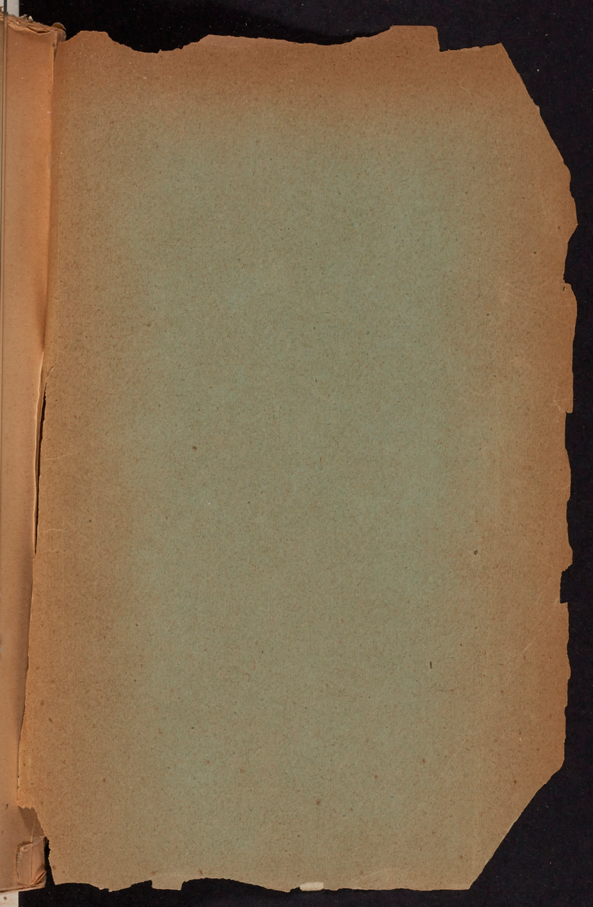


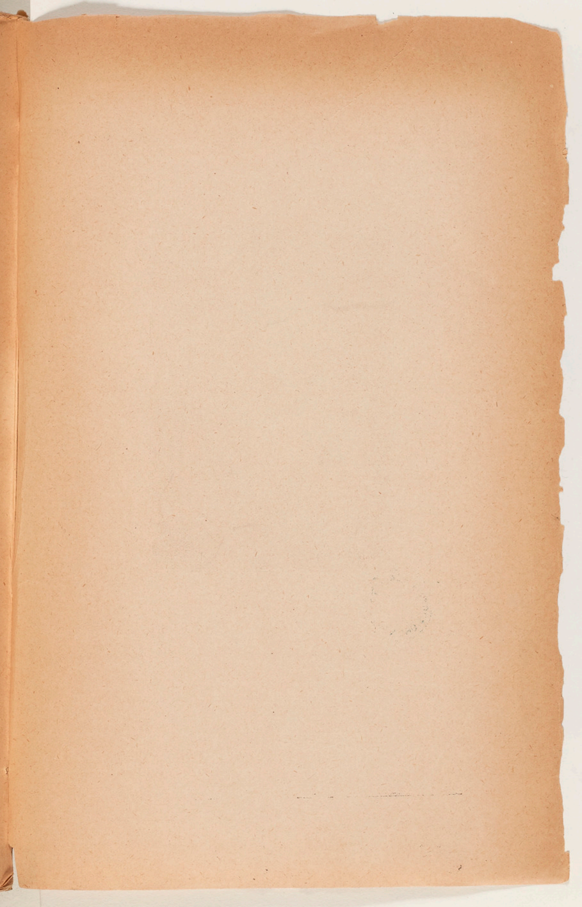
«الرحلة الفلبيارية . بالمملكة التونسية»

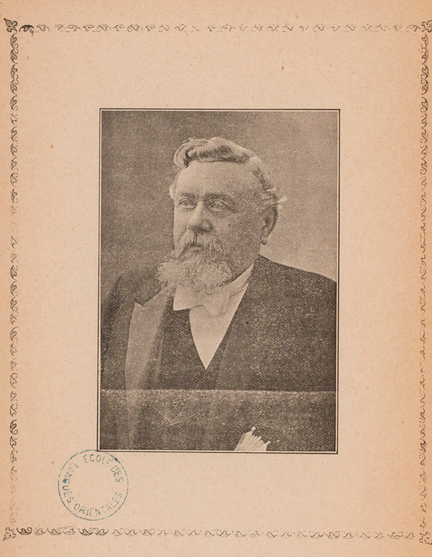
تاليف الفاضل النحرير . الكاتب الشهير . وارث
المجد العلمي المتسلسل من كبير لكبير . الاديب
المتحلي من الكمالات بكثير . السيد محمد بن الخوجه
رئيس قسم المحاسبة بالدولة التونسية
واستاذ الدروس العالية بمدرسة الترجمة للعربية
بلغه الله كل امنية

(طبع بالمطبعة الرسمية العربية بتونس)

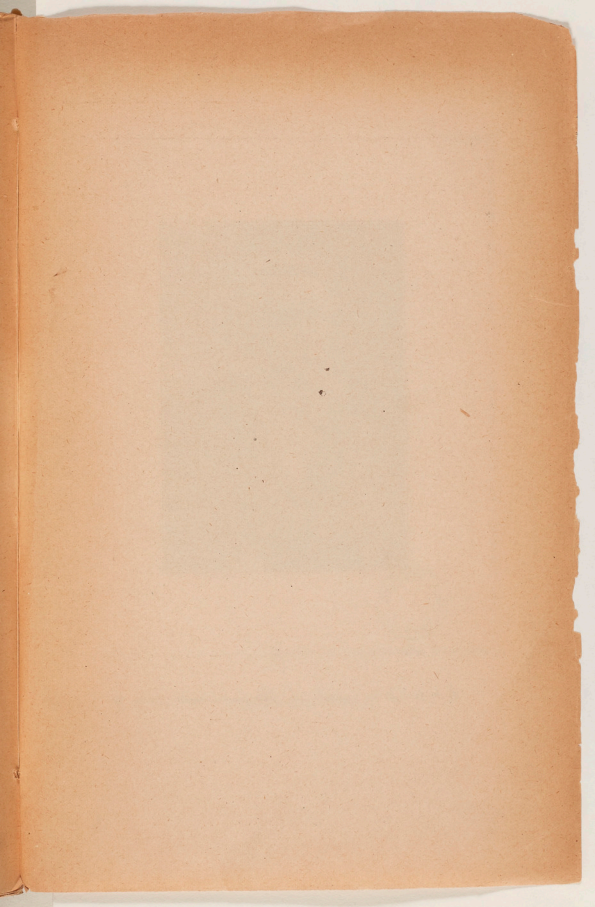
١٣٣٠
١٩١٢







﴿ صاحب الفخامة مسيو فليار رئيس الجمهورية الفرنساوية ﴾

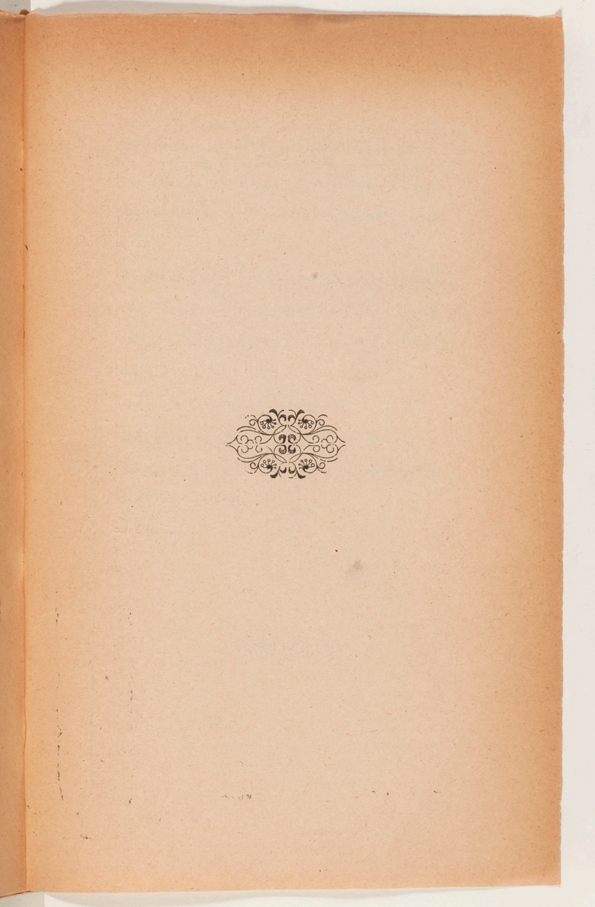


فهرس الرحلة الفليارية بالمملكة التونسية

صحيفة	بقية فهرس الرحلة الفليارية بالمملكة التونسية
	لها ولاحوازها وفيه تصريحات عظيمة ناطقة بعمارة تلك الجهة ونشاط اهلها ووفرة ثروتها
١٦٤	الباب الخامس في الكلام على قابس وواحات النخيل وبر الاعراض ونفزاوة والجهات الصحراوية وعوائد واخلاق اهلها وسمعتها في التاريخ القديم وفي القرون الاولى للهجرة الشريفة وزيارة فخامة الرئيس لقابس وواحاتها ولقصر مدنين
١٩١	الباب السادس في الكلام على الجريد ومناجم الفسفاط بالمتلوي وزيارة فخامة الرئيس لقفصة ولمصانع الفسفاط وفيه كلام على ثروة الجريد وما يبطون ارضها من الكنوز الوفرة
١٠٧	الباب السابع في الكلام على سبيطلة واطلالها وغزوة العبادلة وزيارة فخامة الرئس لجهتها ووقوفه معتبرا فوق آثارها البالية ومعالمها الخالية
٢١٢	الباب الثامن في الكلام على القيروان وآثارها المباركة وشهرتها في العالم الاسلامي وزيارة فخامة الرئيس لمعالمها ومشاهدها واحتفال اهاليها احتفالا شائقابجنابه العالي
٢٢١	الباب التاسع في الكلام على مدينة سوسة عاصمة البلاد الساحلية واحتفالها بفخامة رئيس الجمهورية وفيه كلام على سمعتها في اسواق الادب العربية

صحيفة	بقية فهرس الرحلة الفليارية بالمملكة التونسية
٢٤٠	الباب العاشر في الكلام على زيارة فخامته للجهات الغربية ولخرابات دقة وعودته من رحلته وقبوله لمراسم الوداع ورجوعه لفرنسا
٢٧٧	الخاتمة وهي فلسفة الرحلة الرئيسية وتحتوي على فصول
٢٧٧	الفصل الاول في الكلام على الحماية بالنسبة لاروبا ولتونس
٢٨٤	الفصل الثاني في الكلام على هدايا الا كرام وشواهد الود والاحترام
٢٨٦	الفصل الثالث في عطايا الكرام
٢٨٧	الفصل الرابع في مصاريف الرحلة الرئيسية
٢٨٩	الفصل الخامس في عرايض التهاني وقصايد المديح
٢٩٧	ذيل يحتوي على اسماء الذوات والاعيان التونسيين المنعم عليهم باوسمة الشرف والامتياز .
٣٠٠	عبارة الختم





صحيفة	فهرس الصور والرسوم الواردة في هذا الكتاب
١٠	المقدس المرحوم علي باشا باي
٢١	الدارعة الفرنساوية المسماة « الحق »
٢٣	جناب مسيو الابتيت الوزير المقيم العام
٢٤	فخامة رئيس الجمهورية والحضرة العلية يستعرضان الاساطيل بمياه بنزرت
٢٥	نزول فخامة الرئيس والحضرة العلية من البحر الى البر ببنزرت
٢٦	فخامة الرئيس يقلد الاوسمة لضباط حامية بنزرت
٣١	الركاب الرئيسي والملوكي بشوارع بنزرت
٤٨	موكب فخامة الرئيس ببطحاء السفارة الفرنساوية يوم دخوله لتونس
٤٩	فخامة رئيس الجمهورية وحاشيته الوزيرية
٥٥	جناب الجنرال بيستور قائد جيش الاحتلال بتونس
٥٧	جناب الوزير المفوض مسيو روا الكاتب العام للدولة
٥٨	جناب مسيو بلان الكاتب العام للامور الادارية
٦١	جناب مسيو ديبورت كاهية الوزير المقيم العام
٦٣	قبة بستان الخضراء بحديقة البلفدير
٦٤	مدرج الاسود بسراية باردو
٦٦	قاعة التشريفات الكبرى بسراية باردو
٦٧	الحضرة العلية ووزراءها الفخام
٦٨	الحاشية الملوكية

صحيفة	بقية فهرس الصور والرسوم الواردة في هذا الكتاب
١١١	السيد الكيلاني شلبي العضو بالمجلس البلدى
١١١	السيد عبد الجليل الزاوش العضو بمجلس الشورى
١١١	المسيو فيتوسي العضو بمجلس الشورى
١١٤	جناب مسيو شارليتي المدير العام للعلوم والمعارف
١١٦	بهو الطاق العلوي بسراية المملكة
١١٨	بطحاء القصباء بتونس
١٢١	راموز مصغر من قائمة الاطعمة بالمادبة الملوكية
١٢٢	الحكيم لوفي رئيس اطباء الحضرة العلية
١٢٣	منظر من موكب الركاب الملوكي خارج الحاضرة
١٣٣	قصر الجم
١٥٠	البطحاء البلدية بصفاقس
١٦٥	ضريح سيدنا ابي لبابه الانصاري بقابس
١٧١	السيد محمد بن خليفه عامل الأعراض
١٧٢	واحة النخيل بقابس
١٧٣	قصر الحلوف على مقربة من قصر مدنين
١٧٤	مساكن البدو بقصر مدنين
١٧٦	واحة دوز بصحراء نفزاوة
١٧٧	واحة النخيل بتلمين من عمل نفزاوة
١٧٧	البرج الحربي بقبلي من عمل نفزاوة
١٧٨	كيف يحرثون الارض بفم تطاوين

صحيفة	بقية فهرس الصور والرسوم الواردة في هذا الكتاب
٢٤٨	منظر من بلد السلوقية وصومعتها
٢٤٩	جامع تبرسق
٢٥٢	السيدة تاج البخت ابنة السيد المختار الجويني عامل تاجروين
٢٥٤	الجامع الاعظم بالكاف
٢٥٥	منظر من بلد سوق الاربعاء
٢٥٥	رسم اصلي من عربان جندوبة
٢٥٦	ضريح روماني بعمل الشيحية
٢٥٧	شجرة الفرنان التي كان اهالي خمير يقدمون اليها النذور
٢٥٨	موكب الخطب بسوق الاربعاء
٢٦٣	جامع سوق الاربعاء
٢٦٤	مساكن اهل الكهوف بربيعة
٢٦٥	بلد عين الدراهم
٢٦٧	مقطع المرمر بشمتو
٢٦٩	مدينة باجة
٢٧٢	السيد محمد الصالح البكوش عامل باجة
٢٧٥	المرفع شانه سيدي المنصف باي



8

الرحلة الفليارية . بالمملكة التونسية

تاليف الفاضل النحرير . الكاتب الشهير . وارث
المجد العلمي المتسلسل من كبير لكبير . الاديب
المتحلي من الكمالات بكثير . السيد محمد بن الخوجه
رئيس قسم المحاسبة بالدولة التونسية
واستاذ الدروس العالية بمدرسة الترجمة للعربية
بلغه الله كل امنية



(طبع بالمطبعة الرسمية العربية بتونس)

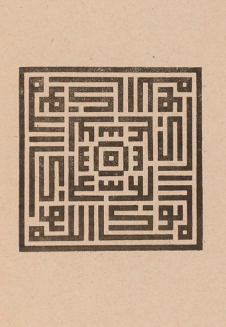
١٣٣٠
١٩١٢



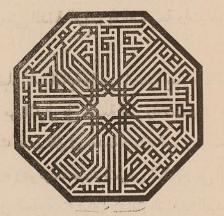
الحمد لله الذي جعل الارض سفرا بديعا يسفر عن اعمال البشر وآثارهم . وحوادثهم واخبارهم . وكل مملكة منها صحيفة كبرى من ذلك الكتاب الجليل . تدرس فيها احوال الامم في صعودهم وانحطاطهم واخلاقهم وعوائدهم جيلا بعد جيل . فانبعثت همم اولي العزم والعقل . والزعامة والفضل . الى ركوب الاخطار . واقتحام لجج البحار . في جوار منشأت كالاعلام . لنوال هذا المقصد الهام . وجوب الفدافد الشاسعة . والمفاوز الواسعة . لتقف على تلك الاسفار الجميلة التي خطتها يد الزمان . وتستطلع من غضونها فنون العرفان . حرصا على تنوير الاذهان . وترقية مدارك الانسان . واكتشافا لما عرض للامم في بداوتهم وحضارتهم . واجتماعهم ومدنيتهم . من المجد الاثيل . والشرف النبيل . والمعارف المتسعة النطاق . والعمران الممتد الرواق . وضد ذلك من سقوط وجهالة نزلا بالانسان الى الحضيض . ولم يتركا لبرق استعداده الممطر من وميض . والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي امر في غير ما آية بالسير في الارض . والسعي في مناكبها بالطول والعرض . وعلى آله وصحبه الذين كثرت اسفارهم . وارتسمت في جبهة التاريخ آثارهم . فكانت سيرتهم قدوة صالحة لها اعمال ناجحة . اما بعد فقد دعاني عشق التاريخ وحب تخليد الآثار . وتطويق صحفه بيض الايادي الغزار . خصوصا ما يتعلق برجال الامة التي لها على

هذه البلاد حماية اسدلت ذيولها . واياد تتابع هطولها . وما يعده العاقل المحنك من قبيل خدمة البلاد . ومنبت الاباء والاجداد . بتدوين الحوادث الهامة . التي لها تعلق شديد بالمصالح العامة . ان افرد بكتاب مستقل حادثا تاريخيا عظيما . واحتفالا شائقا عميما . بمناسبة زيارة الرجل العظيم . والهمام الكريم . فخامة رئيس الجمهورية الفرنسوية مسيو فليار للمملكة التونسية . امثل فيه للقاري رحلة جنابه منذ بارح باريس . الى ان حل بآخر نقطة من المملكة في موكبه الانيس . وما قوبل به من الحفاوة والاجلال . من لدن سمو مليكنا المعظم ذي المهابة والجلال . وما اقيمت له من مراسم الافراح . وآيات الانبساط والانشراح . ترحابا بالضيف الجليل . في كل اقامة ورحيل . بما يبرهن على ان الامة التونسية تعرف الجميل . وتشكر الفضل الجزيل . ويشاهد فيه المطالع مناظر من تلك المواكب الرسمية . والابنية والاثار التاريخية . وقد شفعت هذا الغرض المهم بما سقته من تواريخ بعض الاثار الخالدة للرومان . وتخطيط بعض مشاهير البلدان . في عهد الدول الاسلامية . ليكون القاري على بينة من اهمية هذه القضية . وان رحلة كرحلة فخامة رئيس الجمهورية لا تخلوا من مغزى سياسي عميق . ضرورة انها رحلة اكبر رجل لدولة نصبت على هذه البلاد حمايتها . وبوانها عدلها ورعايتها . فيجب على اولي الالباب . من مشاهير الكتاب . ان يجعلوها صحيفة من تاريخ البلاد . ولا غرو اذا اطالوا في موضوعها النجاد . فدونك ايها القاري صحائف لم تسود الّا ببيض الاعمال . ومآثر الرجال وانما قصدت بها خدمة التاريخ والاوطان . والله عز اسمه المستعان

تحريرا في صفر سنة ١٣٣٠ — محمد بن الخوجة







﴿ مقدمة ﴾

من المعلوم ان المملكة التونسية في كفالة الحماية الفرنسوية منذ ثلاثين سنة وان ملوكها توارثوا ود الجنس الفرنساوي خلفا عن سلف سيما في عهد البيت الحسيني السني ففي الدواوين التونسية ما يويد ذلك ويشعر بان تلك العواطف لم ينفرها الشعب بل اخذ منها اهل الطبقات العالية حظهم وفي مقدمتهم اهل العلم والادب اذ ادرك المتسابقون منهم في ميدان الترقيات الفكرية معنى المدنية الفرنسوية الصحيحة وامتدحوها نظما ونثرا قديما وحديثا

ومن تتبع اخبار الامم البالية والعهود الخالية يجد هنالك ما لفرانسا منذ ازمان متقادمة من الاقبال على خدمة العلم والادب وهذا ولي لدين ابن خلدون شهد بذلك حيث قال في مقدمة ديوان العبر وتاريخ المبدا والخبر ما ننقله عنه بحروفه وهو قوله عند التعرض للكلام على العلوم العربية واصنافها ونص محل الحاجة منه قوله ؛ كذلك بلغنا لهذا العهد (اواخر المائة الثامنة) ان هذه العلوم الفلسفية ببلاد الافرنج من ارض رومة وما اليها من العدوة الشمالية (فرنسا) نافقة الاسواق وان رسومها هناك متجددة ومجالس تعليمها متعددة ودواوينها جامعة متوفرة وطلبتها متكثرة اه فانت ترى ان هذه الامة التونسية ادركت منذ احقاب بعيدة ما لجارتها قوية الساعد من الامتياز عن بقية الامم النصرانية في خدمة الاداب والعلوم العقلية حتى ان ذلك الاحساس اخذ يتاصل ويتاكد مع ادوار الزمن واختلاف حوادثه السياسية لحد صيرورته كامر مرغوب فيه عند اهل النظر واصحاب

المظاهر والحيثيات الرسمية الذين سعت حكومة تونس في تهذيبهم وتدريبهم على المساعي الجسيمة والمشروعات الخطيرة مثل رجالها ووزرائها السابقين واللاحقين بتكليفهم بالاسفار والسفارات لدى حكومة فرانسا للقيام بمهمات الاعمال وتاكيد العلائق الودية بين الجانبين

واقصى ما امكن العثور عليه في التواريخ التونسية والافرنجية من اخبار علايق فرنسا بتونس ان اول معاهـدة انعقدت بين فرنسا وتونس هي التي وقع الاتفاق عليها بين السلطان المنتصر الحفصي والملك فيليب الجسور اثر موت ابيه لويس التاسع الشهير بسانت لويس الذي قدم على عهد الحروب الصليبية لغزو تونس سنة ٦٦٨ ومات بالطاعون وسط اطلال مدينة قرطجنة القديمة حيث اقامت له دولته بعد نحو ستمائة سنة كنيسية باسمه تخليـدا لذكره في هاته الارض التى كتب الله عليها ان تدخـل تحت حكم فرنسا لا بتلك الطريقة التي نواها سانت لويس وخاب سعيه فيها ولكن بطريقة المسالمة المبنية على تبادل المصالح بينها وبين الامة التي ارخت عليها سدول حمايتها المنيعة

فبعد ان اخذت البلاد التونسية حظها من السؤدد والعز والقوة والمنعة وتحكمت ازمنا طويلة على البحر المتوسط حينما كان جسمها خصيبا وشرائينها ملآنة بدم الحياة بتاصل الثروة والعمران الطافح في ربوعها الزاهر بالتجارة الرابحة وبانوار العلوم التي جعلت لها المقام الاول بين امم العالم الاسلامي اخذ امرها في الاندبار سنة الله في عباده فتحولت قوتها للضعف ثم للمرض ثم للهرم ثم لمعاناة آلام الفوضى والفاقة والجهل مدى الثلاثة القرون الاخيرة وهي مدة الفترة التي كان فيها لاوروبا يد عاملة بالبلاد التونسية فضربت

عليها بسيطرتها الشديدة الى ان جعلتها كريشة في مهب الريح تائهة بين الخوف والرجاء وهذا دورها الاول في علائقها مع فرنسا وان شئت قلت مع دول اوروبا جمعاء وكان رفع الستار عن الدور الثاني من روايتها التاريخية هو احتلال فرنسا للجزائر اثر نهوض اوروبا من سباتهـا العميق الذي دام قرونا عديدة فركزت فرنسا بارض افريقيا قدمها ركوز من ينوي الخلود والتحقت الولاية الجزائرية بممالكها وجعلتها المحور الذي تدور عليه رحا سياستها بافريقيا الشمالية مع مراعاة حقوق الجوار ولكن مع تتبع حركاتها وسكناتها بدون توان ولا استدبار وذلك حفظا لناموسها بين الاقوام وصيانة لحقوقها من تلاعب الايام وكانت يومئـذ علائق فرنسا بتـونس مبنية على النصح من جهة وعلى اعتبارها ضمن منقطة النفوذ الفرنسوي من جهة اخرى حيث اصبحت المملكة التونسية بطبيعة موقعهـا الجغرافي متممة لدائرة السياسة الفرنساوية بافريقيا الشمالية وآخر العهد بهذا الدور الثاني تهيأة اسباب حلول الدور الثالث الذي هو نصب الحماية الفرنسوية وما نشا عنها من مشروع الاصلاحات المادية والادبيـة بالمملكة التونسية بيدان ما قدمت في هـذا التمهيد الوجيز يحتاج طبعا لبيان

كنت فيما قبل احسب ان استحكام علايق الوداد بين فرنسا وتونس واعتماد الثانية على الاولى في شئونهـا السياسية كان ابتداءه اثنـاء دولة المرحوم حسين بن محمود باي وهو الامر الذي اشرت له في السنة الخامسة من الرزنامة التونسية (راجع صحيفة ٤٠) فعثرت بعد ذلك اثناء ابحاثي المتواصلة في احوال هذه الديار على ما ينبا بتقدم صلات الود بين الطرفين اذ لدينا الان حجة ناطقة باعتماد تونس على فرنسا في نظاماتها الاساسية من

عهد المرحوم الباي علي بن حسين بن علي تركي رابع امير تولى عرش الملك الحسيني بتونس وهذه الحجة هي عبارة عن مكتوب رسمي صدر في سنة ١٧٧٧ (سنة ١١٩١ للهجرة) من لويس السادس عشر ملك فرنسا خاطب به علي باي المذكور بموافقته على جعل ابنه حمودة باشا ولي عهد له تقديما على من كان اسن منه من ذرية آل الحسين واليك عبارة ترجمته عن النص الفرنساوي

فرساليا في ٢٨ افريل سنة ١٧٧٧

ايها المولى العظيم الطائر الصيت

نعلم سموكم بامتثال مبعوثكم سليمان آغة لدى حضرتنا لقضاء المامورية المكلف بها من قبل حضرتكم وقد تلقيناه بمظاهر الالتفات والتكريم وتسلمنا منه المكتوب الذي ارسلتموه الينا كما تسلمنا منه الاسارى والخيول والاسود والاكسية التي وجهتموها لبلاطنا الملوكي على وجه الهدية وقد كان قبولنا لما ذكرنا بقلب منشرح وسرور زائد ولاجله اهديكم تشكراتي الفائقة عن مقاصدكم الحسنة وليس في نظرنا شيء مستوجب للسرور اكثر من هذه المظاهر الودية والعواطف الشريفة الدالة على تعلقكم بذات حضرتنا وهذه الاحساسات تدلكم على اهتمامنا الصادق بمصالحكم كما تبرهن عن مرغوبنا في زيادة احكام الصلات بين الفرنساويين والتونسيين وتشهد بحسن التفاتنا واعتبارنا العظيم اليكم فهذه الشعائر نوكدها لكم اليوم من جديد هذا وقد علمنا كيفية الاسلوب الذي رتبتموه لجعل وارثة الملك بعدكم لابنكم البرنس حمودة واننا نهنئكم بذلك ونحقق لكم اننا سنكون دائما

مسرورين بكل امر يسركم ويسر ابناء بيتكم والمسؤل من الله ان يشملكم ايها المولى الكريم بحراسته القدسية

الامضاء لويس السادس عشر

فانت ترى يارعاك الله ما لهذه المخاطبة من الاهمية الكبرى اذ هي تمس اعظم ركن اساسي بالدولة التونسية ولا شك انها نتيجة تقاليد سياسية متبعة تقدم تمهيدها قبل عصر علي باي لان علايق الدول تزداد ارتباطا او فتورا بطريقة التهياة والتحضير لا بالوسايط الدفعية لان هاته تكون في الغالب عقيمة وتلك تكون مصحوبة دائما بالنجاح وفي المثل العربي « مع التاني السلامة ومع العجلة الندامة »

ثم ان تلك العلائق الودية بين فرنسا وتونس اخذت تتاصل بعد على التوالي فمن جهة بتقلص ظل السلطة العثمانية بشمال افريقيا ومن جهة اخرى بنمو نفوذ فرنسا والتفاتها للاستعمار بالشمال الغربي الافريقي حتى انه لما غزا الملك كارلوس العاشر عمالة الجزائر اوايل سنة ١٢٤٦ بلغ امير تونس لعصره وهو حسين بن محمود باي ان بعض المفسدين اشاعوا عليه مقاصد سيئة نحو الدولة الفرنساوية فخاطب قنصلها بتونس لدفع ذلك عن نفسه وصرح له بقوله « قد جهد بعض الناس في ان يؤولوا بتاويل كاذب ما في قلبي مع اني جاهرت بمقصودي واعتنيت باشهاره فلابد حينئذ ان اصرح بان مرادي ان استمر مجتنبا عن الفريقين عند الحرب على ان مناي ان يكون النصر للامة الفرنساوية اذ هي اصدق احلاف بلادي واشدهم قوة وعلى تقدير ان السلطان الاعظم يشهر الحرب على فرنسا كما يقال فانني لا احيد عن ذلك الحياد ولو جائني من الدولة العثمانية مائة فرمان يدعونني لمعا كسة

فرنسا حليفتي فاني لا اطيـع لها امرا ولا اسمح لاحد بتلبية ندائهـا لحمل السلاح ضدها على اني عليم بان خطتي هذه تعرضني لخطر جسيم ولكن اذا نزل ذلك بي اسلم امري للامة الفرنسوية وليس احد اشوق مني الى معاقبة عدوها الظالم داي الجزائر » اه

وهذه السياسة البالغة في الود حد الغاية مع فرنسا هي التي انتهجها كل من تولى مقاليد الملك بعد المرحوم حسين باي فان اخاه المرحوم مصطفى باي هو اول من تنازل عن التقاليد القديمة التي منها تقبيل الراحة الملكية عند اقتبال البـاي لقناصل اوربا وذلك ارضـاء لقنصل فرنسا وكذلك ابنه من بعده احمد باشا فانه كان حليفا للملك لويس فيليب وكان هذا الملك محل اعتماده ومرجع استشارته ناهيك بما لاقاه به سنة ١٢٦٢ من مظاهر التفخيم والتعظيم كما كان يفعل مع ملوك اوربا عند اقتباله لزيارتهم ولم يصده في تلك الاونة اعتراض سفير الدولة العثمانية عن اعتبار ضيفه ملكا مستقـلا لا يحتاج في قبوله لواسطة لان العـلائق بين فرنسا وتونس انما كان عقدها وتاييدها من اقدم الازمان راسا بدون توسط اية دولة بينهما (راجع الرزنامة التونسية لسنة ١٣٢٣)

ولما مات الامير احمد باي في رمضان ١٢٧١ ورثه في الملك ابن عمه المرحوم محمد باي والد سمو ولي النعم اميرنا الحالي ابقى الله ملكه مدا الايام والليـالي وكان على قدم سابقه في مودة فرنسا وزاد في احكام الارتباط بهـا بالعمل بنصيحتها في تاسيس النظامات وترتيب القوانين المعروفة بعهد الامان اوايل سنة ١٢٧٤ وكان واسطة ذلك الربط السياسي المتين هو المستعرب الذائع الصيت القنصل جنرال ليون روش وهو رجل صاحب حنكة

وتجربة وصفه المورخ الوزير الشيخ احمد ابن ابي الضياف بقوله « ركض في كل ميدان وهب مع كل ريح » وخدم دولته في بلاد الاسلام ٣٢ عاما قضاها متهافتا بين الشرق والغرب في تاييد شوكة امته بين الاقوام الاسلامية وتلبس مدة بالاسلام وتخلق باخلاق اهله وتعلم لغتهم وكتب فيها وقد وقفت له على جملة رسمها بخطه على لائحة تمهيدية لقانون عهد الامان هذا نصها نقلتها تاييدا لما ذكرنا آنفا واليك هي بعبارتها « صح من كاتبه بيده الفانية عبد ربه سبحانه ليون روش قنصل جنرال الامبرتور ومتولي امور فرنسا في عمالة تونس » وقد زاد الشيخ ابن ابي الضياف في وصفه « بانه كان خبيرا باصول الملة الاسلامية » ولا يبعد ذلك لان الرجل كان صاحب فطنة عظيمة في الشؤون السياسية مكنته من ممارسة ملوك المسلمين ومن حج البيت الحرام حيث رمى بنفسه في المصاعب القريبة من المهالك كل ذلك تاييدا لسياسة دولته واعلاء لكلمتها بافريقية الشمالية فكان اول فرنساوي خدم المصالح الجنسية بالبلاد الاسلامية خدمة حفظ التاريخ ذكرها وكانت هي الاساس المتين الذي بنيت عليه دعامة هيكل الحماية الحاضرة ـ هذا ولم تزدد الحالة الا رسوخا وثباتا على عهد المرحوم محمد الصادق باي فانه افتتح ملكه باداء زيارة الوداد والاحترام للامبراطور نابليون الثالث عند قدومه للجزائر اوائل سنة ١٢٧٧ وكان سفره لتلك الزيارة بمساعدة اهل الحل والعقد بدولته انظر ما قال في ذلك العلامة المفتي والشاعر المفلق المرحوم الشيخ محمود قبادو الشريف من قصيدة بليغة مخاطبا بها ذلك الامير عند عودته من الجزائر وهذا مطلعها

١٩

ربيع مع جبينك قد اطلا　　على افق الجزائر فاستهلا

ومنها مشيرا لزيارة الامبراطور ولاحكام رابطة الوداد معه

رعيت له الجوار وكان حقا　　عظيما رعيه شرعا وعقلا

واكدت المودة وهي عهد　　تضم لفرض عهد السلم نقلا

ويالله ما اهداه رايا　　والطفه مجاملة ونبلا

ويالله من سعى كفيل　　بحفظ جوارنا ظعنا وحلا

ولا برح التزاور مستجدا　　ولا سيما لاهل الملك وصلا

سيحمد غبه من ليس يدري　　ويعلم انه ما كان بطلا

وكان في استحكام روابط الولاء بين الدولة الامبراطورية والدولة الصادقية هزة حسد من الامم الاروباوية الاخرى المجاورة للقطر التونسي فاخذ رجال سياستها يسعون جهد المستطيع في حل عرى تلك الروابط ولكن دولة فرنسا العلمية بقوتها الواثقة بسطوتها لم تتحمل تلك المنافسة فاخذت تؤيد مشروع سياستها جهرا بواسطة خارجيتها في اوربا وبواسطة نوابها بتونس ومن اقواهم سعيا لذلك قنصلها العام مسيو رسطان الذي ارتقى اثر نصب الحماية لخطة وزير مقيم لدى الحكومة التونسية ولذلك لما آن اوان الاحتلال الفرنسوي كانت المملكة التونسية متاهبة ومتهياة بطبيعة الزمان لتلقي مشروع الحماية بامان واطمينان وكان في مقدمة الموافقين على قبول الحالة السياسية الجديدة امير البلاد ورجال دولته واهل العلم وقد اسفر صبح الحماية الفرنسوية عن استقرار الراحة وتامين الناس على النفس والعرض والمال وبسط وجوه الرفاهية والعمران بسائر الجهات ووافق ذلك التحاق صاحب الدولة الصادقية بالدار الاخرة وطلوع هلال الملك

العلوي بصعود شقيقه وولي عهده الامير المرحوم علي باي على عرش اسلافه الاكرمين في اواسط ذي الحجة ١١٩٩



﴿ المقدس المبرور علي باشا باي ﴾

(وهو اول ملك حسيني تلقى التقليد من الدولة الفرنساوية)

وهو ثالث عشر باي من آل المولى حسين بن علي موسس ملك البيت الحسيني السني في عام ١١١٧ وكان ارتقاوه للملك كما قدمنا في ١٦ حجة ١٢٩٩ وبمجرد انتصابه على عرش اجداده المقدسين اهداه فخامة رئيس الجمهورية جوقة الشرف الفرنساوي وخاطبه بتلغراف نص عبارته « لما كان مرادنا في هذا الوقت الذي دعيتم فيه للولاية عوض اخيكم

سيدي محمد الصادق ان نعطي لسموكم علامة ظاهرة على ما لنا من المودة والوثوق نحوكم وجهنا لكم الصنف الاكبر من نيشان اللجيون دونور وان وزير الدولة الجمهورية مسيو كمبون يقلد حضرتكم باسمنا هاته الرتبة الرفيعة فلتقبلها حضرتكم العلية توثقة لربط الاتصال بين المملكتين التونسية والفرنسوية »

وباثر الولاية تفرغ هذا الامير لاصلاح حال رعيته واجراء التنظيمات اللازمة ببلاده وافتتح ملكه باصدار عفوه الكريم لعموم العصاة الذين شقوا عصا الطاعة في وجه الدولة الصادقية عند انتصاب الحماية وآذنهم بالرجوع لاوطانهم ورد عليهم املاكهم كما اسقط بقية الغرامة الحربية على اهالي صفاقس الذين ندموا عما صدر منهم من المجاهرة بعصيان الدولتين الحامية والمحمية فتمتع الكل من حينهم مثل كافة اخوانهم التونسيين بمرحمة الدولتين الحامية والمحمية ودام ملكه عشرين سنة كانت كلها ايام راحة وهناء وكان من اكبر المساعدين له على تحسين الاحوال بما يناسب الزمان والمكان وزيره الخطير الشيخ محمد العزيز بوعتور المتوفى في مستهل المحرم سنة ١٣٢٥

وفي الخامس من ربيع الانور ١٣٢٠ ارتقى المرحوم محمد الهادي باشا باي لكرسي الملك عوض والده المقدس وعلى عهده زار فخامة مسيو لوبي الحاضرة التونسية اوائل سنة ١٣٢١ واقام بها ثلاثة ايام كانت كلها مواسم بواسم وبارحها بعد ان ابقى بين اهلها الذكر الجميل ودعى اميرها لزيارته بباريز فرد له الزيارة في صائفة العام التالي وكان اقتبال مسيو لوبي لسيدي محمد الهادي باشا باي باكمل مظاهر الاجلال والتعظيم واحضره بجانبه في موسم عيد الجمهورية واستعرض الجيش الفرنساوي تحت انظاره وبالغ

والدولة الفرنساوية في اكرامه بما انطق لسان الامير المرحوم بالشكر الجميل ودام ملك سيدي محمد الهادي باي اربعة سنين والتحق بربه ليلة اليوم التاسع عشر من ربيع الانـور سنة ١٣٢٤ وفي مساء اليوم المذكور تلقى مولانا الامير الحالي التقـليد الملكي وارتقى على عرش اسلافه الاكرمين فقبل البيعة من رعاياه الصادقين المنزلين منه منزلة الابناء المطيعين وابتهجت لولايته البلاد وانشرحت لذلك قلوب الجموع والافراد واليك خطاب تنصيب سموه العالي بلسان عمدة الدولة الجمهورية بتونس

يامولاي المعظم

بناء على مغيب جناب الوزير المقيم العام قد كلفت بان اترجم لحضرتكم العلية عن شعائر الاسف الشديد الذى الم بالدولة الجمهورية لوفاة سيدي محمد الهادي باي وقد كان سموه كوالده الجليل اصدق مساعد للحكومة الفرنسوية هذا وقد مر ربع قرن على ما بين الامـة الحامية وتونس من الارتباط المحكم تحققت اثناوه سعادة الايالة ونمت خيراتها وكذلك سيكون ملك سموكم موسوما بالسعد والعمران - وبالنسج على منوال اسلافكم في التعلق بفرنسا سيتم بمساعدة حضرتكم مشروع العدالة والتمدن والتقدم المناسب الذي قاموا به والذي هو عنوان الامارة في نظركم العالي

واني اقلد حضرتكم الولاية في هذا الجمع المشهود باسم الدولة الفرنسوية والتمس من سموكم ان تقبلوا تهنئاتي الذاتية وفي هذا المقام يروق لي ان اوكد لمقامكم ان حضرتكم العلية سيكون لها في جناب الوزير المقيم العام خير مساعد على القيام بالولاية الجليلة التي آل امرها اليكم لحسن حظ المملكة التونسية

وقد اجاب سمو الامير عن تلك التصريحات العالية بالخطاب الجليل الاتي نصه

ياجناب المعتمد السفيري

لقد تاثرت تاثيرا حسنا من الاحساسات التي اعرب لنا جنابكم عنها بالنيابة عن الدولة الفخيمة الفرنسوية وارغب منكم ان تبلغوا لها عني تشكراتي الخاصة وان تحققوا لها وثوقي بفرنسا حسبما هو غير خفي على علم جنابكم وساقتفي بصدق نية وحسن طوية اعمال المرحومين ابن عمنا وعمنا واستعين الله في بلوغ المرام في ذلك وارجوه سبحانه وتعالى ان يوفقني الى تسديد مقاصدي مع الاستعانة المستمرة بعمدة الدولة الجمهورية الفخيمة على ما فيه نمو الخير والسعادة والتقدم المادي والادبي للايالة التونسية اه

وهذا الجواب الشريف يدل على ما لسمو صاحبه من علو المدارك وسلامة المقاصد وطهارة النية وحب الخير لمملكته واهلها فلذلك جاءت مقاصد سموه موافقة بكل معاني الكلمة للمشروع الخيرى الذى انتهجته فرنسا بتونس وجريا على قاعدة هذا الود الرسيخ اعرب فخامة مسيو فليار رئيس الجمهورية الفرنسوية الحالي في اوائل العام الفارط عن مرغوبه في زيارة المملكة التونسية التي كان زارها اواخر المحرم سنة ١٣٢١ في صحبة سلفه الموقر جناب مسيو لوبي رئيس الجمهورية السابق على عهد المرحوم سيدي محمد الهادي باي وتحفظ لها على ذكرى الوداد والمجاملة شان النفوس الكريمة كما تقدمت الاشارة لذلك فتلقت الدولة الفرنساوية باجمعها مرغوب رئيسها الهمام بعلايم البشر والاحترام واخذت من شهر مارس الموافق لاول ربيعي عام ١٣٢٩ في تحضير برنامج هذه الزيارة السعيدة

بمشاركة جناب الوزير مسيو الابتيت المقيم العام بالحاضرة ولما استهل ربيع الاخر الموافق لشهر افريل من السنة الفارطة كانت وزارة الخارجية ووزارتا الحربية والبحرية بفرنسا قد اخذت التاهبات اللازمة لانجاز الرحلة الرئيسية بالعمالة التونسية وباتحاد مع مدير التشريفات عينت الدولة يوم ١٨ افريل ١٩١١ فاتحة زيارته للديار التونسية

وقبل ان نلم باخبار هذه الرحلة التي كانت موسومة بالخيرات الوفيرة لما تخللها من نزول الغيث الجزيل بعد الضما الطويل ناسب ان نبتدي اولا بتزيين جيدها بترجمة مسيو فليار حتى تكون اخبارها مستوفاة من كل الوجوه ومعلوم ان هذا الرئيس الا كبر من الرجال الذين حنكتهم التجربة بممارسته الطويلة للسياسة العمومية بفرنسا فهو شيخ الدولة وعظيمها الموقر بسائر بلاد العالم المتمدن لانه الروح المتجسدة من فرنسا والممثل لامتهـا قاطبة لدى جميع دول الدنيا

اما ترجمة فخامته فهو مسيو ارمان فليار ولد في ٦ نوفمبر سنة ١٨٤١ (١٢٥٧ للهجرة) وقد دخل ميدان العمل بصفة افوكات ببلد نيراك من المقاطعة المذكورة وولي عضوا بلديا بها سنة ١٨٦٨ ثم شيخ مدينة في سنة ١٨٧١ وولي العضوية بالمجلس العمومي بالمقاطعة المذكورة من سنة ١٨٧١ الى سنة ١٨٧٦ . وفي ٢٠ فيفري سنة ١٨٧٦ انتخب نائبا بمجلس الامة فكان واحدا من الثلاثمائة والثلاثة والستين نائبا وجدد انتخابه في سنة ١٨٧٧ وسنة ١٨٨١ وسنة ١٨٨٥ وسنة ١٨٨٩ وفي تلك الاثناء ولي كاهية لوزير الداخلية والديانات في سنة ١٨٨٠ وكاهية لرئيس المجلس البلدي سنة ١٨٨٢ ثم وزيرا للداخلية سنة ١٨٨٢ و ١٨٨٣ في وزارة

المسيو دوكلير وكان مسيو جول غريفي رئيس الجمهورية الاسبق كلفه بتاليف وزارة فالفها وتولى فيها زمـام الخارجية ثم تولى في عدة وزارات زمام المعارف من سنة ١٨٨١ الى سنة ١٨٨٥ فزمام الداخلية في سنة ١٨٨٧ فزمام العدلية من سنة ١٨٨٧ الى سنة ١٨٨٨ فزمام المعارف والديانات من سنة ١٨٨٩ الى سنة ١٨٩٠ فزمام العدلية من سنة ١٨٩٠ الى سنة ١٨٩٢

دخل جنابه مجلس الشيوخ يوم ٨ جوان سنة ١٨٩٠ وجدد انتخابه للعضوية به يوم ٤ جانفي سنة ١٨٩٧ ثم ولي رئيسا لمجلس الشيوخ يوم ٣ مارس سنة ١٨٩٩ وبقي بهذا المنصب العالي الى يوم ١٣ فيفري سنة ١٩٠٦

وعندئذ استقال من رئاسة مجلس الشيوخ لتولي رئاسة الجمهورية التي انتخب لها في اجتماع فرساي يوم ١٩ جانفي سنة ١٩٠٦

هذا وقد آن بنا الاوان ان نتكلم على محل الحاجة من هذا التاليف فنقول مقتبسا ما ياتي من الجريدة الرسمية للدولة الفرنساوية ومن الاوراق الرسمية ومما سمعته من المصادر الثقـات وشاهدته بالعين وحضرته بالذات

تحرك ركاب فخامة مسيو فليار من باريس مساء السبت خامس عشر افريل ١٩١١ وكان في معيته من الوزراء ورجـال الدولة الفرنساوية كل من جنـاب مسيو دلكاسي وزير البحرية وجنـاب مسيو بامس وزير الفلاحة وجناب مسيو شومي الكاهية الوزيري بالبوسطة والتلغراف وجناب الوزير الاسبق مسيو كوشري العضو بدار الندوة وجناب مسيو رمندو بـاش كاتب رئاسة الجمهورية وجنـاب الوزير المفوض مسيو مولار مدير التشريفات الرئيسية وجناب مسيو فارين رئيس ديوان الكتابة الخاصة بقصر

الرئاسة والقبطان البحري لوجي والكلونيل هلوت من معيني فخامة الرئيس ونجله مسيواندري فليار وغيرهم من رجال الحاشية الرئيسية اما جناب وزير الخارجية فانه حال دون قدومه مع فخامة الرئيس تلبد سحب المسالة المغربية يومئذ باوروبا وكان من مرغوبه ان يرافق الجناب الرئيسي في رحلته فلما عرض له ذلك العارض ارسل من باريس تلغرافا لجناب الوزير المقيم العام يقول فيه انه بمزيد الاسف لا يستطيع مصاحبة فخامة رئيس الجمهورية اثناء رحلته بالمملكة التونسية لوقوع هذه الرحلة في زمن لا يمكنه فيه الابتعاد عن الوزارة الخارجية ولذلك فانه يرغب من جناب الوزير المقيم ان ينهي اعتذاره لمقام الحضرة العلية

هذا وكان ارتحال جناب الرئيس ومن معه في رتل خاص سار بهم قاصدا ثغر طولون على طريق مرسيليا بعد ان تلقى فخامته مراسم المودعة والاحترام من وزراء الدولة ورجالها وقد وصل الرتل الرئيسي لمرسيليا ضحوة نهار الاحد الموالي لليلة السفر فتقدم للسلام على فخامة الرئيس الجنرال اندرى قائد مرسيليا العسكري وحيث لم يتقرر في برنامج الرحلة اجراء موكب قبل الوصول لطولون اكتفى فخامه الرئيس برد السلام على الحاضرين من عربته واقلع القطار بعد حين قاصدا طولون وكان الطقس جميلا والجو زاهيا بصحو الربيع فتسابق الناس لموقف السكة الحديديه واخذوا يهتفون بالدعاء لمقام الرئيس وللجمهورية واذاك نزل فخامته لقاعة الاستقبال بالمحطة التي كانت مزينة بالاكسية والرياش والبيارق الفرنساوية فتلقى مراسم السلام والاحترام من شيخ المدينة ومن حاكمها البحري ومن الجنرال قائد الفيلق الخامس عشر ومن عاملها واعضاء البرلمان الحاضرين

الحاضرين بها وبانفصال موكب القبول خرج فخـامته من موقف السكة الحديد فصدحت لديه الموسيقى بالنشيد الوطني واطلقت القلاع مائة طلقة وطلقة مدفعية اشعارا بالسلام عليه واذاك تقدم فخامته نحوجهة المعسكر الفرنساوى واستعرض الجيوش الضاربة هنالك وتكرم ببعض الاوسمة من درجات مختلفة على بعض الضباط والعساكر ثم توجه للفطور ومن بعده قصد سراية المجلس البلدي بطولون وكانت رباع المدينة وشوارعها مزدانة بالرايات وبالاكاليل والناس في جذل وهيام لشدة فرحهم بالرئيس الموقر والمحبوب فحياه عند دخوله للسرايـا البلدية شيخ مدينة طولون وخطب لديه خطابا حماسيا اشار فيه لتوقد نيران الغيرة والحمية في قلوب الفرنساويين وتعلقهم تعلقـا وثيقـا بالنظـامات الجمهورية التي يستميتون دونها فاعجب فخامة الرئيس بهذا الخطـاب الوطني المبرهن على تمكن النظام الجمهوري من المهج والقلوب وقـال ان في جعل طولون مركزا افتتاحيا لسياحته الافريقية معنى لطيفا يرمي لما لفرنسا من العناية بهذا الثغر المنيع العزيز باساطيله ذات القوة والباس

وبعد ان بارح فخامته المجلس البلدي قصد ساحل المرسى فركب على ظهر نسافة حربية بصحبة وزرائه وحاشيته وقصد الدارعة المسماة « الحق » واذاك كانت كل السفن الراسية بمياه الثغر من حربية وتجارية تخفق على اعاليهـا رايات الزينة والافراح وعند ما وطات قدمه متن تلك الدارعة اخفق لمندانها فوق عمودها الاعلى راية رئيس الجمهورية وهذه الراية الخاصة بفخامة متولي الرئاسة هي الراية المثلثة الالوان بعينها سوى ان فوقهـا بالقلم الغليظ وبـاحرف ذهبية رمزا يشير لاسم صاحب الرئاسة

وادى نوتيتها السلام لجنابه واذاك تكرم فخامته فقلد الكمندان المذكور وسام الكمندور من اللجيون دونور وانعم على بعض ضباط الدارعة باوسمة من درجات مختلفة ثم امر فخامته بالاقلاع والسفر فسارت الدارعة قاصدة مياه بنزرت مخفورة باسطول ضخيم سار حسب النظام الاتي ففي المقدمة على اليمين والشمال الدوارع الاتية :

الوطن ـ الديمقراطية ـ رينان ـ العدالة ـ الحرية ـ سوفرين

وفي الوسط : الدارعة الرئيسية

ومن خلف الدوارع الاتية :

البيادي ـ التريور ـ البهلوان ـ الفارس ـ البلطة ـ القانص

اما المدرعة الرئيسية فكانت لامرة الكمندان سان بير المستشار البحري سابقا بسفارة فرنسا في رومة وهي ذات اربعة مدافع من اعظم طراز وبها من النوتية ٧٤٢ بحريا وقوتها تبلغ الى ١٨٠٠٠ حصان

هذا وكان سير الاسطول بفخامته بحساب ١٧ ميلا بحريا في الساعة فقضى في البحر ليلة سابع عشر ابريل ويومها وكان البحر في اول السير هادئا والهواء عليلا ثم اعقب ذلك حدوث عاصفة شديدة في الليلة الثانية التي اسفر صباحها عن وصول فخامته بسلام



الباب الاول

في زيارة فخامة رئيس الجمهورية لبنزرت واستعراض الاساطيل بها وهو اليوم الاول من رحلة فخامته (١٨ افريل ١٩١١)

قبل ان نتكلم على تفاصيل تلك الزيارة يجدر بنا ان ننقل للقاري نبذة من اخبار بنزرت وما كانت عليه في العهد القديم ليمكن للمطالع ان يناظر بين ماضيها وحاضرها فمدينة بنزرت جاء ذكرها في معجم البلدان بهذا اللفظ الذي هو اسمها المعروف لعهدنا هذا

ولم ندر لما ذا رسمها الشيخ محمد بيرم في رحلته صفوة الاعتبار بلفظ « بني زرت » فكانه توهم انتسابها لقبيلة او شبه ذلك كقولنا بني خلاد وبني حسان اما كلمة بنزرت فمحرفة عن لفظ « هيبوزارتوس » الذي هو اسمها في ايام الرومان وهي انجرت لهم من الفينيقيين قبل زماننا هذا بما يقرب من الفي عام وكانت يومئذ من ازهر ثغور الاستعمار الروماني بافريقيا وبعد ان اخذ الرومان دورهم من العز والـ ودد وتولى امرهم الادبار سنة الله التي لا تتحول عاث البرابرة فيها بالنهب والفساد وساعدهم على اتمام تدميرها امة الوندال الذين توالت هجماتهم على شمال افريقيا بعيد المسيح فكانت بنزرت في القرن الرابع قبل الهجرة سائرة مع تيار الانحطاط وهكذا وجدها العرب عند قدومهم لفتح افريقيا بل وهكذا بقيت قرونا طوالا الى ان ورد عليها الاندلس من جالية عام ٩٠٠ للهجرة فحركوا رمامها ونفخوا روح الحياة في ربوعها الدارسة واحدثوا فيها المصانع والغروس وعمروها بالبناءات ناهيك انهم اسسوا بها حومة تعرف ليومنا هذا باسم

« حومة الاندلس » الواقعة في قلب المدينة كما فعل اهـل الجالية الاخيرة منهم بتونس على عهد يوسف داي (اوائل القرن الحادي عشر للهجرة)

وفي القرون الوسطى كانت بنزرت مكمنا لاهل اللصوصية من قرصان البحر ولها في هذا الباب شنئان مع اساطيل البندقية التي كثيرا ما رمتها بالقنابل اخذا بالثار

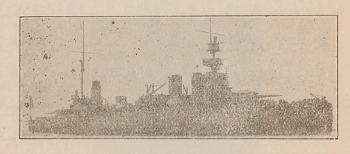
ولبنزرت اهمية بحرية عظمى يقال ان موقعها البحري من اهم البواعث على انتصاب الحماية الفرنساوية بتونس لذلك كان هـذا الثغر المنيع محط انظـار الدوائر العسكرية الفرنساوية من حين بسـط اجنحة الحماية على هذه الديار فقد انفقت فرنسا على استحكام ثغر بنزرت من المال ما دونه كنوز قارون واهتمت بهذا المرسى الاهتمـام الذي جعل اليوم بنزرت في طليعة المراسي الحربية الاولى على لوحة الوجود باقرار كل موجود

وفي صدر الحمـاية كان سكان بنزرت نحو خمسة الاف نسمة فبلغوا اليوم خمس مرات اضعـاف ذلك وهذا بقطـع النظر عن مدينة فريفيل المتولدة عنهـا والواقعة على بحيرتها بالقرب منها حيث مناخ اليد العـاملة البحرية والحربية الفرنساوية وقـد اخذت مدينة فريفيـل من سرعة التقدم ما جعلها على صغر سنها معمورة بالعمران ناهيك ان عدد سكانها يربو اليوم على العشرة الاف نفس

لاجرم ان مثل هذا التقدم الواضح المـؤيد لسطوة فرنسا بين الامم هو الذي جعل بنزرت مما يقام لها و يقعد في دواوين الحكومة الفرنساوية وكان ابناء جيلنا الحاضر لم يزالوا على ذكر من الحظوة التي نالتهـا هذه المدينة لثمان سنوات فارطة عند تشرفها بزيارة فخامة رئيس الجمهورية

السابق فكيف بها وقد نمى تقدمها وتكاملت عدتها حتى صار ثغرها امنع من عقاب الجو يدلك عليه التصريحات العظيمة التي هي عنوان السياسة الفرنساوية من جهة مصالح فرنسا الوطنية التي فاه بها فخامة رئيس الجمهورية عند قدومه للعمالة التونسية كما ستراه قريبا

اما وصول الاسطول الرئيسي لمياه بنزرت فكان بكرة يوم الثلاثاء ثامن عشر افريل ١٩١١



الدارعة الرئيسية المسماة « الحق »

وكان دخول الاسطول لبحيرة المرسى على الساعة السابعة صباحا مصحوبا بمظاهر المهابة والاجلال فحيته في الحال الاساطيل الفرنساوية والانكليزية والطليانية والاسبانيولية التي سياتي ذكرها وهتف نوتية جميعها بالسلام واطلقت المدافع من المعاقل والثكنات ومن الاساطيل المذكورة واذاك تهيا فخامة الرئيس لقبول سمو الحضرة العلية التي تقدم مجيئها لبنزرت بكرة ذلك اليوم في رتل خصوصي مصحوبة بالوزراء الفخام وبرجال الدولتين الحامية والمحمية وعندئذ ركب سمو الامير ونجله البرنس سيدي المنصف باي وجناب الوزير المقيم العام وجناب الوزير الاكبر وجناب وزير القلم وكبار رجال الحاشية الملكية الطرادة الحربية

المسمات « هالبـارد » وسارت بهم تحت الراية الحسينية نحو الدارعة الرئيسية وعند صعـود سموه اليهـا اخفق كمندانها بجانب الراية الرئيسية البيرق الحسيني واذاك ادت الدارعة الحربية الراسية قريبـا من هنـالك مراسم السلام لمقامه الملوكي باطلاق احـدى وعشرين طلقة مدفعية وعند ارتقاء سموه للدارعة الرئيسية تلقاه براس المدرج جنـاب مسيو مولار مدير التشريفات ورجال الحاشية الرئيسية وتقدموا بسموه نحو قاعة الاستقبـال حيث كان فخامة الرئيس في انتظاره وحوله وزراؤه وكان مسيو فليار بكسوة التشريفة الكبرى وسمو سيـدنا محمد الناصر باي بملابس الاعياد وعلى راسه التاج الوهاج وصدره موشحا بالشريط الاكبر الفرنساوي وبرقبته نيشـان آل البيت الحسيني فلما دخل على فخـامة الرئيس تلقـاه جنـابه بمظاهر التعظيم والتكريم وبعد ان تصافحا مصافحة الكرام حيته الحضرة العلية بالعبارات الاتية تلقاها فخامته بمظاهر الشكر الجميل ـ قال ـ

اني اعد هذا اليوم من اسعد اوقاتي واني احقق لفخامتكم ان سروري اصبح عظيما بقدوم جنابكم لزيارة هذه الديار التي في كنف حماية فرنسا المنيعة

واني اقدم لفخامتكم عبارات التهنئة القلبية وارجو من الله ان تكون رحلتكم مشمولة بالراحة ومقرونة بالسرور

ثم تعرف كل من جنابهما بحاشية صاحبه فقـدمت الحضرة العـلية لفخامة الرئيس نجلها سيدي المنصف باي ووزيرهـا الاكبر ووزيرها للقلم وقدم فخـامته لسموهـا وزير البحرية ووزير الفـلاحة والكاهية الوزيري للبوسطة والتلغراف وباش كاتب الرئاسة الجمهورية وبقية رجال

معيته ثم بعد ذلك جلس سموهما فوق دستين توامين فخيمين وتبادلا عبارات الوداد الراسخ بما دل على تمكن صلات الوفاق واستحكام روابط الالفة بين العنصرين المتحابين

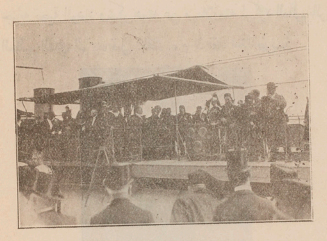
وكان جناب الوزير المقيم اثناء ذلك محل التفات فخامة الرئيس فحياه جنابه تحية الوداد وشكر همته عن ملازمته لمركزه العالي بالرغم عن الرزء العظيم الذي الم به قبل ذلك بيوم اذ فقد اخاه بفرنسا



جناب مسيو الابتيت الوزير المقيم العام

ثم على اثر ذلك قدم على الباخرة الرئيسية الاميرال بوقائد الاسطول الانكليزي مصحوبا باركان حربه فادى لفخامة الرئيس زيارة الاكرام والاحترام وعلى اثره قدم الامير اوبري قائد الاسطول الطلياني مصحوبا باركان حربه وادى لفخامته مثل تلك المراسم ثم على اثره قدم القبطان ماركيس لمندان الدارعة الاسبنيولية وادى لفخامته نظير تلك الواجبات وكان لزيارة هولاء القواد الثلاث احسن وقع في النفوس لما قاموا به نحو

فخامة الرئيس من مظاهر التوقير والتعظيم ثم بعد ان قدم فخامة الرئيس روساء الاساطيل الثلاث واحدا بعد واحد للحضرة العلية انتقل وسموها على الساعة الثامنة للطرادة المسماة « الهرج » من اسطول بنزرت واستعرضا عموم الاساطيل الفرنساوية والاجنبية المتجمعة هنالك



فخامة الرئيس والحضرة العلية يستعرضان الاساطيل بمياه بنزرت

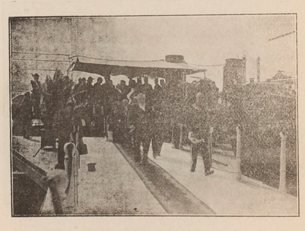
فكان منظر ذلك في آن واحد بديعا ورهيبا لما تحكيه تلك المظاهر النارية من معاني القوة وسلامة الاوطان وفي تلك الاثناء كانت المدافع تبرق وترعد بما يخيل انها قد قامت القيامة والموسيقى تترنم باناشيد الفخار والنوتية يهتفون بالدعاء

ثم بعد استعراض الاساطيل ركب فخامة الرئيس بوزرائه وحاشيته زورقا حربيا وتوجه لرد الزيارة للاميرالات قواد الاساطيل الاجنبية فابتدا اولا بالاسطول الانكليزي حيث ارتقى للباخرة الاميرالية المسماة « سويفتزور » وزار الاميرال بو الموفود باسطوله من قبل دولة بريطانية

22

العظمى ومن بعده زار الاسطول الطلياني حيث تلقاه على متن الدارعة « بنديتوبرين » الاميرال اوبري الموفود باسطوله من قبل دولة ايطاليا ثم ختم زيارة السفن الاجنبية بزيارة الدارعة « كتلونيا » الموفودة بقيادة القبطان ماركيس للسلام عليه من قبل دولة اسبانيا وبهاته المناسبة احسن فخامته بوسامات الشرف لضباط تلك الاساطيل فللاميرال الانكليزي بالصنف الاول من اللجيون دونور ولمن سواه باوسمة من الدرجتين الثالثة والرابعة اما الاميرال الطلياني فحيث كان محرزا من قبل على الصنف الاول الفرنساوي فقد اهداه فخامة الرئيس وعاء ثمينا من الفيروز يمثل شكل المراة « المصلية » التي رسمتها يد المعلم كاربو النقاش المشهور

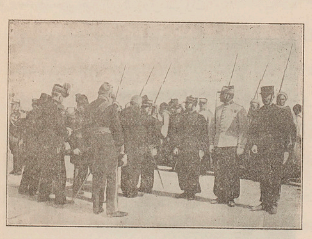
وبعدئذ عاد فخامة الرئيس من زيارة الاساطيل الاجنبية فركب والحضرة العلية ووزراوهما وحاشيتهما الطرادة « الهرج » التي تقدم ذكرها وساروا نحو جهة البر للنزول ببنزرت



نزول فخامة الرئيس والحضرة العلية الى البر

فنزل فخـامته والحضرة العلية على نغمات النشيد الوطني الفرنساوي وكان في استقبالهما كافة اهل الحل والعقد ولدى نزول فخامته البر ارسل جنابه رسائل برقية لملوك انكلتيرة وايطاليا واسبانيا في التشكر اليهم عن مشاركة اساطيلهم في الاحتفال بفخامته بمناسبة قدومه للبلاد التونسية مما يؤيد عـلائق الوداد بين دولهم والدولة الجمهورية ولا شك ان في قدوم تلك الاساطيل في الاوقات الحاضرة معنى سياسيا دقيقا لانه صادف اول مرة شاركت فيهـا اساطيل تلك الدول بالحضور رسميا في مظـاهرات فرنساوية بالمياه التونسية

ثم تقدم جناب الوزير المقيم وعرف فخامة الرئيس باولئك الذوات ومشى الموكب نحو جهة العساكر التي حشدت هنالك لاداء مراسم السلام والاحترام فاستعرضها فخامته ثم انعم بوسام الشرف من الدرجة الثالثة على الكلونيل دونال قائد الطبجية وباوسمة من الرتبة الرابعة على من دونه من ضباط البر والبحر



فخامة الرئيس يقلد الاوسمة لضباط حامية بنزرت

وكان المقام جليلا لكونه عسكريا بحتا ترنمت خلاله موسيقى الجيش باناشيد الفخار وبانشودة المرسلياز الوطنية التي ما سمعها احد فيه نفس تتحرك بين جنبيه إلا وداخله العجب وتحركت فيه دواعي الحمية وهذه الانشودة التي نظمها احد الوطنيين من الضباط الفرنساويين واسمه «روجي ده ليزل» في سنة ١٧٩٢ كادت ان تكون اشهر من نار على علم حتى انها قد اصبحت في زماننا هذا انشودة العالم المتمدن باجمعه ولا شك ان كل واقف على اخبار الدول واحاديث الملل لم يزل على ذكر من ان خلع السلطان عبد الحميد خان وقيام السلطان محمد خان الخامس كان على نغمات هذا النشيد بلسان حزب الاحرار من الامة العثمانية وقد اعتنى المرحوم رفاعة باشا الطهطاوي المتوفى سنة ١٢٩٠ بترجمة هذه الانشودة ورسمها في رحلته المشهورة وانا نقلها عنه هنا اتماما للفائدة لان ذكرها سيتكرر مرارا بهذه الرحلة ودونكها بنصها

فهيا يابني الاوطان هيا　فوقت فخاركم لكم تهيا
أقيموا الراية العظمى سويا　وشنوا غارة الهيجا مليا

عليكم بالسلاح أيا اهالي　ونظم صفوفكم مثل اللآلي
وخوضوا في دماء اولى الوبال　فهم اعداؤكم في كل حال
وجورهم غدا فيكم جليا　بنا خوضوا دماء اولى الوبال
اما تصغون اصوات العساكر　كوحش قاطع البيداء كاسر
وخبث طوية الفرق الفواجر　ذبيح بنيكم بظبى البواتر
ولا يبقون فيكم قط حيا

(عليكم الى آخر الابيات الثلاث)

فماذا تبتغى منا الجنود وهم همج واخلاط عبيد
كذا اهل الخيانة والوغود كذاك ملوك بغى لن يسودوا
تعصبهم لنا لم يجد شيا

(عليكم الى اخره)

لمن جعلوا السلاسل والقيودا واغلالا واطواقا حديدا
لاهل فرنسة ليروا عبيدا وليس مرامهم هذا جديدا
اما هذا عجيب يا اخيا

(عليكم الى آخره)

وكيف يسوغ ان نرضى رعاعا من الاغراب يبغون ارتفاعا
ويجري شرعهم فينا شراعا واندالا لديهم لا تراعى
رعايا بل تكب على المحيا

(عليكم الى آخره)

فسلم ياسلام من المذله فما نرضى بان نبقى اذله
وياسرنا وفتيتنا اجله فريق بالدراهم قد توله
فكيف وقدرنا اضحى عليا

(عليكم الى آخره)

الهي كيف يقهرنا ملوك بسبل العدل ليس لهم سلوك
واندال للاستعباد حيكوا وما في الفخر يشركنا شريك
ولا احد به ابدا حريا

(عليكم الى آخره)

فقل لـهم ايا اهل المظـالم   واربـاب الجرائـم والمـ، ثم
اما تخشون من تلك المحارم   كذا اهل الخيانة للمكارم
وظلمهم لقد بلغ الثريا

(عليكم الى آخره)

احلوا الخوف نحوكم اماما   وخلوا العدل عندكم اماما
ونقضكم لموطنكم ذمـاما   به تجزون ذلا وانتقاما
وتكتسبون عند القوم خزيا

(عليكم الى آخره)

فهاكم قد تعسكرت الاهالي   وسارت كلها نحو القتـال
لتقـتحم المهالك لا تبـالي   اذا مـا مـات ليث في النزال
تولد ارضنا شبلا صبيا

(عليكم الى اخره)

صغير الـقوم منـا والكبير   يحب قتـالكم فرحا يطير
نحاربكم وليس لكم نصير   وليس لحربـنا اصـلا نظـير
وحاشا فحولنا يلقون عيا

(عليكم الى آخره)

لنـا وطـن به همنـا غراما   به تقـوى عزائمـا دوامـا
نمانعه ونخشى ان يضاما   وناخذ ثاره ممن تعامى
وجار وان يكن ملكا عتيا

(عليكم الى آخره)

لنا حرية في الكون تسمو تزيد اذا الحروب بدت وتنمو
تمانع عن بنيها ما يهم بها ثمرات نصرتهم تتم
على نغم المثاني والحميا
(عليكم الى آخره)

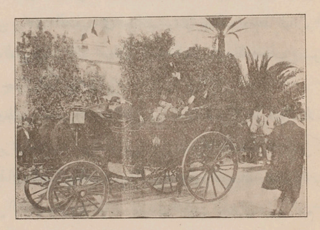
تموت عداتها موتا شنيعا اذا ما ابصروا عزا منيعا
يحوزحماتها مجدا رفيعا فويل للذي يبغي الرجوعا
لرق يكتسى خطأ وغيا
(عليكم الى آخره)

سندخل سلك ارباب الجهاد كاسلاف لهم طول الايادي
وننحو نحوهم في كل ناد ونقفو فضلهم في كل واد
ونبلغ في العلى شأواً قصيا
(عليكم الى آخره)

نؤمل ان نكون لهم فداء وكل فتى بفخر النصر باء
وان لا بعدهم نبقى مساء اذا لم ننتقم لهم العداء
وياخذ ثارهم من كان حيا
(عليكم الى آخره)

ولنرجع لحديث رئيس الجمهورية فنقول ان فخامته والحضرة العلية واهل الموكب جميعا ساروا بعد على القدم بين سموط العساكر قاصدين دار المراقبة المدنية ببنزرت حيث تلقى فخامته مراسم التهنئة والسلام من متوظفي الادارات واساتذة التعليم ومن الهيات الرسمية والمجلس الشرعي واعيان

النزلاء والاهالي وكانت دار المراقبة وشوارع المدينة تدري عليها رايات الزينة والوجوه باسمة والقلوب فرحة مسرورة بحيث انه لما خرج فخامته والحضرة العلية من موكب القبول وسار ركابهما العالي نحو قاعة غذاء الفطور بقمرق المرسى كانت الازقة والبطاح تتماوج بالخلايق والناس في جموع مولفة قد جاءوا من كل حدب ينسلون



الركاب الرئيسي والملوكي بشوارع بنزرت

ومما زاد ذلك المنظر بهجة وحسنا تقاطر جموع المريدين اهالي طرق الذكر من بنزرت والاعمال القريبة منها وكذلك عمد العربان وشيوخ احيائهم وفرسان قبايلهم فكان لاجتماعهم في صعيد واحد بصبايحية الوجق وبخيالة النظام في ذلك الوسط المختلط اختلاط الحابل بالنابل منظر يحاكي يوم الحشر والنشر

وكانت قاعة الفطور مغشاة بالبسط الرفيعة ومحلاة بالبيارق الفرنساوية والتونسية والانقليزية والطليانية والاسبنيولية ومتوجة بالاسلحة من كل نوع

والمائدة مزينة بالزهور والرياحين وبالاواني الفخارية من نوع الخزف التونسي فجلس فخامة الرئيس بصدارة المقام وجلس المقام الملوكي على يمينه فالاميرال اوبري قائد الاسطول الطلياني فجناب مسيو بامس وزير الفلاحة فجناب مسيو شومي الكاهية الوزيري بالبوسطة والتلغراف فالسيد الهادي الجيلاني عامل بنزرت فجناب مسيو لوشري الوزير الاسبق فالبرنس سيدي المنصف باي فجناب سيدي يوسف جعيط الوزير الاكبر فجناب الاميرال بيلو قائد اسطول فرنسا بالبحر المتوسط فجناب مسيو بركلي قنصل جنرال انلكتيره بتونس

وجلس ليسار فخامة الرئيس جناب الاميرال بو قائد الاسطول الانكليزي فجناب مسيو دلكاسي وزير البحرية فالقبطان ماركيس كمندان الدارعة الاسبنيولة فجناب مسيو الابتيت الوزير المقيم العام فمسيو ارنو كاهية المجلس البلدي ببنزرت فجناب سيدي الطيب الجلولي وزير القلم فمسيو سيري كاتب مجلس الشوري فجناب مسيو بوتزيني قنصل جنرال ايطاليا بتونس فجناب مسيو ماسياس قنصل جنرال اسبانيا بالحاضرة فبقية الذوات فمكاتبو الصحف الباريسية المصاحبون للركاب الرئيسي فاصحاب الجرائد الفرنساوية والطليانية بتونس فمدير جريدة الزهرة اليومية فبقية الاعيان بحيث بلغ عدد الجميع لنحو ثلاثمائة حضروا كلهم تلك المادبة الانيقة باستدعاء من المجلس البلدي ببنزرت

وفي ختام الفطور استوى كاهية المجلس البلدي واقفا ونطق بخطاب حي فيه فخامة الرئيس وهناه بالقدوم واقتبس من حضوره باسطول ضخيم في مياه بنزرت الدلالة على ما لفرنسا من العناية بهذا الثغر ثم استمنح من

فخامته استعمال وساطته الكريمة لدى جناب الوزير المقيم ليفسح المجال للتجارة بمرسى بنزرت وختم كلامه بالثناء على همة مسيو دلكاسي وزير البحر الذي ما انفك نصيرا لثغر بنزرت المنيع ثم شرب نخب فخامة الرئيس والحضرة العلية فصفق له الحاضرون

وتلاه في الخطابة رئيس الحجرة التجارية ببنزرت فاعرب عن تحمس وطنيته وغيرته وعما لمجلس التجارة من الرغائب والاماني والفت نظر مسيو فليار لاهمية موقع بنزرت من جهة التجارة القاضية بانشاء حوض خاص لوسق الفحم المستخرج من مقاطع الونزة بالجزائر الذي يومل تحويل استصداره من المياه الجزائرية للمياه البنزرتية ثم ختم خطابه بالدعاء للجمهورية ورئيسها بالسعادة والاعزاز

وقام بعده مسيو سيري كاتب مجلس الشورى والقى الخطاب البليغ الاتي ملخصه

افتتح مسيو سيري خطابه بالاعراب عن شعار الغيرة والنخوة الوطنية التي شملت كافة الفرنسويين بالعمالة التونسية بمناسبة قدوم فخامة رئيس الجمهورية الذي هو راس الامة الفرنسوية الحرة والممثل في اعين العالم المتمدن لشهامة ومجد الشعب الفرنساوي

ثم تخلص لاسداء مزيد الشكر لجناب الوزراء واعضاء البرلمان ورجال الصحافة الفرنسوية الذين شاركوا كل بما في طاقته على تاييد السيادة الفرنسوية بالعمالة التونسية وعلى تحقيق سعادتها ونشر اعلام التمدن فوق ربوعها

ثم عرف الخطيب بما آل اليه امر بنزرت التي اصبح ثغرها منيعا وصالحا لايواء اضخم اسطول في العالم كما يستدل ذلك من حضور الاسطولين الانكليزي والطلياني بجانب الاسطول الفرنساوي لاداء مراسم الاحترام لفخامة رئيس الجمهورية

ثم قال ما معناه ان فرنسا احيت هذه الارض بفضل نشاط معمريها فاصبحت جهاتها تزخر بالخيور كالبحور واصبح العرب اهاليها في سعة من الرزق يعيشون تحت جناح الامان والعافية

ثم اشار لارتقاء موارد الزراعة فقال ان الشجرة المباركة قد مدت اجنحتها فيما بين سوسة وصفاقس بحيث انه لا يلبث غير زمن قليل حتى تصبح تلك الجهات مغطاة بظلها الوريف وهذا زيادة على ما قامت به دولة الحماية من تمهيد السبل ومد سكك الحديد وفتح المراسي لتسهيل المتاجر واستثمار كنوز الارض التي منها مناجم الفسفاط الواقعة بعمل قفصة

ثم قال وبعناية جناب الوزير المقيم العام محل اعزاز كافة المعمرين قد انتشر التعليم كما تم تاسيس جمعيات الاحتياط الزراعية التي اشتد بها ساعد الاهالي والتي انقذتهم من اضرار المجاعة والربى وهذا فضلا عما منحتهم الدولة من التخفيض في ضريبة المجبى على التدريج وانتقل بعد ذلك للكلام على احتياج المملكة لقرض مالي فاستعطف من مراحم فخامة الرئيس ومن وزراء الدولة الجمهورية واعضاء البرلمان الحاضرين ان يمدوا يد المساعدة لانجاح هذا القرض الذي وافقت عليه لجنة الميزانية بهمة الوزير المقيم العام اثناء اقامته الاخيرة بباريس

وفي الختام شرب الخطيب نخب فخـامة الرئيس ودعـا له ولفرنسا بالسعادة والعمران

واخيرا نهض فخـامة رئيس الجمهورية فاستوى الحاضرون وقوفا والقى الخطاب العظيم الاتي نصه

سادتي

انه ليسرني جدا اهداء المملكة التونسية سلام الاخوة من قبل فرنسا كما يلذ لي جدا انهـاء الذكر الحسن من قبل الدولة الجمهورية لسمو سيدي محمد الناصر باي واني لسعيد الحظ برفـع كاسي على سلامة حضرته العلية داعيا من صميم الفؤاد بالسعادة لسموه وللبيت الحسيني

سادتي

انكم على علم من مقدار الاهتمام البليغ الذي نتتبع به ارتقاء حمايتنا من وراء البحر الفاصل بيننا واني لا اغرب على احد اذا قلت لكم ان ذلك الارتقاء المتوالي عودنا على الاعتقاد بانه في هذا الصقع من ارض افريقيـا حيث كان مقر السيادة الرومانية في غابر الازمـان ومناخ مدنيتها التي اضائت بنورها اطراف المعمور قد احيينا بمساعدة مواطنينا ابناء العنصر الاهلي بعد انطواء قرون عديدة طريق السلوك بهذا القطر نحو مدارج الثروة التي ستنمو بها قوة جميعنا بما سيتعاظم بها مجدنا بين امم البحر المتوسط

وان الاشغال العظيمة التي قامت بها الحماية بمدخل بحيرة بنزرت ليست بالقليلة الاهمية في جانب الخطوة الفسيحة التي مشيناها للامام افليس لنا في هذا الحين نفسه شاهد عدل على ذلك في مشهد هذا الاحتفال بهذا الثغر البسيم الذي هو كشاف طلائع المدنية والذي هو محل العناية بفضل

مثابرة ساكنيه على الخدمة في سبيل مستقبله الحسن ـ فلسنا بالذي ننسى
هذا الاستقبال الباهر الذي واجهتنا به بنزرت واني لشاكر لمعتمدها البلدي
الذي خطب الان بين يدي ارق خطاب كما اثني على كافة اهاليها
الجديرين كمعتمدهم المذكور بكامل العناية وادعو للجميع بخير

وانه ليروق لي تذكر زيارتي اليكم سنة ١٩٠٣ في صحبة سلفي المعظم
ولاجله فان رئيس مجلس التجارة الحريص على مصالحكم التي هي في المعنى
مصالحنا قد صادف المرمى اذ اشار في خطابه البليغ للتصريحات التي وقعت
في ذلك العهد وهي تصريحات نراها قد اثمرت عيانا بفضل اجتهاد اولئك
الشجعان الذين غرسوا شجرة عظمتنا الاقتصادية والبحرية بهذه الارض
المختارة فاولئك الرجال ومن اعقبهم في العمل قاموا دائما بواجب الذمة
وعليه فاقتداء بتصريحات كاتب مجلس الشورى الفرنساوي الذي مجد
ذكرهم اكون سعيد الحظ بتوجيه عبارات الامتنان بالنيابة عن الامة
لكافة المعمرين والاهالي المفتخرين بتعلقهم بفرنسا

سادتي

قد حصل لي ابتهاج عظيم من حسن القبول الذي حييتموني به
فكان ارواحنا قد امتزجت بارواحكم او كان نفخا من روح الجمهورية
بعث لضفتي البحر المتوسط ليجعل اخلاصنا رسيخا لشرائع وتعاليم ومقاصد
وطننا العزيز العظيم واني اراكم قد ادركتم ان الغرض من رحلتي هذه
اليكم ليس هو الاكتفاء بالتفسح وبنعيم السياحة بل القصد منه القيام بعمل
نافع لكم والينا ـ نعم اني جئت لارى واسمع واحفظ ما سيقال لي

وان الوزراء اعضاء الدولة الفرنسوية جاءوا ايضا لهذا الغرض نفسه فمرادنا ان نستطلع الاحوال بانفسنا وان نماسسكم بالذات لنسمع مباشرة من افواهكم ما هي احتياجاتكم وما هي رغائبكم وجوابنا عنها سيكون ليس بالمواعيد الفارغة لانه لنا اليقين بان زيارتنا هذه سينتج عنها الخير لمشروع الحماية الذي قد نما واثمر وكم من تقلبات في طريق الاصلاح قد حصلت هنا في ظل رايتنا اثناء هذه الثلاثين سنة

هذا و بالجمع بين بحيرة بنزرت والبحر الكبير قد اصبح في طوعكم ان تمكنوا عند الحاجة اقوى السفن الحربية من الالتجاء لمهرب مستعصم كهذا او من مساعدتها على اي اصلاح بهذه المعامل البحرية المستكملة النصاب

واني اهني نفسي معكم بقبول زيارة السفن الحربية الجميلة التي اوفدها ثلاث دول عظمى احبة لمياهكم الزاهية حذو احد اساطيلنا العظيمة ونعني بها تلك المدرعات التي رضيت غيرتي الوطنية بالسلام على اعلامها المظفرة اثناء الاستعراض البهيج الذي وقع تحت نظري في هذا الصباح

فادلة الاعمال المحمودة التي نشات عن الحماية قد اصبحت تفوت الحصر بسائر جهات المملكة ومن ذا الذي في وسعه ان ينكر المحسوسات فالفرنساويون الذين كانوا في عدد سبعمائة ايام معاهدة باردو قد تجاوزوا اليوم الاربعين الفا ومساحة اراضي الزراعة التي اتسع نطاقها بفضل احياء الارض الموات اصبحت تربو على ثلاثة ملايين هكتارا وقد كان الهكتار من الارض في سنة ١٨٨١ يتراوح بين خمسة فرنك وخمسة عشر فرنكا فصار اليوم يتراوح بين المائة والخمسين والثلاثمائة واصبحت قيمة

الرباع في المدن مما يملكه الفرنسويون تبلغ على التقريب الى مـائتين وعشرة ملايين وفي مدينة تونس حيث نحل هذا المساء قد بلغت البنايات التي وقع تشييدها في السنين الاخيرة الى نسبة بناية جديدة في كل يوم

ومن حيث الكنوز المعدنية قد منحت الدولة من تاسيس الحماية الى اليوم ٤٢ مقطعا معدنيا يستخرج منها بنسبة خمسمائة الف طنلاطة من الحديد والتوتية والرصاص مقابل مليون وثلاثمائة الف طنلاطة من الفسفاط

وقد امتدت الطرقات لسائر الجهات فحل حولها العمران والثروة واصبح طولها لا يقل عن اربعة آلاف ميل بعد ان كان اربعة اميـال لا غير في سنة ١٨٨١ وهي عبارة عن الطريق الواقع بين باردو وتونس وبلـغ طول شريط السكة الحديد الى الف وستمائة ميل تسير فوقها الارتال الان وعما قريب سيرتفع هذا العدد الى الفي ميل

وخاتمة القول في هذا الباب فتح اربعة مراسي عظيمة تامة العدة تتجاوز حركة تجارتها مليوني طنلاطة

وقد كان نمو الحركة التجارية على التدريج والتوالي فبعد ان كانت بنسبة ٧٦ مليونا من الفرنكات في سنة ١٨٨٤ صارت بنسبة ٢٢٣ مليونا ونصف المليون في سنة ١٩٠٩ ينوب منها المتاجر الفرنسوية وحدها ١١٩ مليونا من الفرنكات اي على نسبة ٥٤ في المائة من المجموع وذلك بعد ان كانت حصة فرنسا في سنة ١٨٨٤ على نسبة ٣٥ في المائة وقيمة متاجرها نيف وستة وعشرون مليونا لا غير

ولقد كان في الوسع الاكتفاء بهذه النتائج لو كانت حياة الامم متوقفة على مجرد استثمار مواردها الاقتصادية وحدها الا ان هنالك قوات وموارد اخرى معنوية من المتاكد استخدامها قبل كل شيء لتدعيم هيكل الحماية على اساس متين

ان الحماية لم تهمل شيئا من الامور التي تحوم حول مد يد المساعدة لكافة المستظلين برايتها من جميع الملل والنحل فقد اعانتهم على التعليم لتثقيف افهامهم وعلى معرفة واجباتهم لاتباع طريق الرشاد وعلى اعلاء مداركهم لتوطيد عرى الوفاق بين بني الانسان

وفي هذا المقام يلزم اسداء الشكر لمدارس التعليم ولاساتذتها الجديرين من كل وجهة بوثوق الاباء والامهات لانهم لم يبخلوا باوقاتهم ولم يضنوا بعنايتهم ولا باجتهادهم للقيام بماموريتهم الشريفة ذات المصاعب الكثيرة

كما يلزم الثناء ايضا على مشروعات الاعانة العمومية والمستشفيات ونظامات التعاون والاحتياط والقروض الزراعية وبعبارة افصح يلزم ان نمجد كل صنيع من شانه ان يطرد عن هذا القطر المصائب التي تالم منها جسده في الماضي كالجوع والربا والوباء

والخلاصة ان هذا النور المتزايد الذي اشرق على هذا القطر انما هو بفضل ذكاء فرانسا الكريمة فلذلك يسوغ لنا جميعا الابتهاج بما قد حصل ومن العدل ينبغي ان نلهج بشكر سمو الحضرة العلية عن مساعدتها العالية لمشروعاتنا في كل حين كيف لا وفضائلها وحبها لصنائع الخير وصداقتها لفرنسا وجميل ميلها لنواب الجمهورية وتعضيدها اياهم لم يحم الشك حولها قط زيادة على ما لسموه من علو المثال الذي جعله قدوة تعلم الناس مثلا

كيف يعتني امير في قصره بـالوقوف بنفسه على تربية وتعليم انجاله

هذا ولا يسوغ ان ننسى ايضا ما هنالك من المشاركة الحسنة التي قام بها النزلاء الاجانب وهي مشاركة ناطقة بشواهد تعلقهم بهذه الايالة و بالهياة القابضة على ازمة امورها فلنتشكر عن ذلك لرجال الجالية المالطية ولرجال الجالية الطليانية القوية والقديرة التي عملت كثيرا في سبـيل النهضة الاقتصادية والتي بحسن سلوك ابنائها قد زادت في توثيق عرى الوداد بين فرانسا وايطاليا

فهذه الحقائق المؤثرة تبشر بالبلوغ لاسمى المقاصد الوطنية ولذلك ارفع كاسي على سلامة الديار التونسية واشربه بافتخار على سعادة عصرها الحاضر وبامان على مستقبلها الحسن كما اشربه تشريفا وتكريما للملوك المحترمين الذين اوفدوا نوابا للسلام علي بمياه بنزرت اعرابا عن ودادهم العـالي نحو فرنسا التي يزداد اعتبارها لهذه المظاهر الودادية لكونهـا صادرة من اولئك الملوك القابضين على مستقبل اممهم العظام والساهرين كفرانسا نفسها على تاييد السلام العام وعلى خدمة الانسانية

وبعد انتهاء الخطاب الرئيسي اديرت فناجين القهوة على الحاضرين وكانت الساعة الواحدة اذذاك بعـد الزوال فقام فخامة الرئيس والحضرة العلية وركبا عربة الطبجية وركب المدعـون عربات اخرى وسار الموكب بين هتاف جموع لا تحصى الى المرسى فركب فخامة الرئيس والحضرة العلية ووزراؤهما ورجال حاشيتهما الطرادة المسماة « الهرج » الآنفـة الذكـر وقصدا دار الصناعة بسيدي عبد الله الواقعة بداخل بحيرة بنزرت على بعد اثني عشرة ميلا من المدينة فتلاقاهما الاميرال كوف قـائد اسطول بنزرت

ورحب بقدومهما وسار في خدمة ركابهما على معنى افادتهما بما احتوت عليه الترسخانة من الذخائر والمصانع والمعامل المدفعية والعدة التي بها اصبح ثغر بنزرت مرسى حربيا بحريا امنع من عقاب الجو وكانت الحضرة العلية تظهر اذاك مزيد اهتمامها بسماع تلك الافادات الفنية كما اظهرت كامل عنايتها عند مشاهدة عرض الاساطيل التي تقدم ذكرها وكان الحوض المعد لصنع وقذف النسافات الغواصة محل اعجاب سموها وباستيفاء زيارة محلات الترسخانة عاد الموكب قاصدا البر فادت طائفة من العساكر البحرية مراسم السلام وصدحت موسيقاهم بالحان « النوبة » الخاصة بها وعزفت دفوفها وطبولها واذاك نزل فخامة الرئيس والحضرة العلية والوزراء وبقية الذوات على مقربة من محطة السكة الحديد بتينجة وركبوا في نحو الساعة الثانية ونصف بعد الزوال قطارا خصوصيا سار بهم قاصدا الحاضرة التونسية

ولما وصل الرتل لماطر وقف الموكب هنيهة ريثما تلقى فخامة الرئيس مراسم السلام والاحترام من عامل المكان ومن شيوخ وعمد الاهالي ومن اعيان المعمرين وكان اذاك موقف السكة يتماوج بافواج الاهالي يتقدمهم جموع المريدين واعلام زواياهم تخفق فوق رؤسهم ومحلات المحطة مزدانة بالرايات والاكاليل على ابدع اسلوب فابتهج فخامة الرئيس لاحتفال الجميع بمقدمه وشكر بالخصوص معمري عمل ماطر وقال انه سيصدع بالثناء على كدهم وجدهم عند عودته لفرنسا فهتف القوم حينئذ بالدعاء لفخامته

وبعد ان تلقى مراسم الاحترام من اعيان الاجانب بماطر ثم من اعيان الطائفة الاسرائلية ركب الرتل فتحرك قطاره وجد في السير الى ان بلغ حاضرة تونس على الساعة الخامسة مساء

الباب الثـــانى

في زيارة فخامة رئيس الجمهورية للحاضرة التونسية

(اصيل يوم الثلاثاء ١٨ من افريل سنة ١٩١١ ويوم الاربعاء ١٩ منه)

قبل قـدوم فخامته للعـاصمة المحروسة كانت الحاضرة التونسية قد اخذت اهبتها لاستقباله بما يليق بسامي مقامه وبمـا يناسب فخامة الملك الحسيني ويشهد بتعلق الدولة المحمية بالامة الحامية فتجلت يومئذ حاضرة تونس لزائرها الكريم في اجمل مظاهر الزينة ولبست من الحلي والحلى كل غال وثمين وكانت الاعلام الفرنساوية والتونسية والاجنبية خافقة على اعـاليها وسكانها في جذل وهيام لفرط ما حصل لهم من الفرح بالرئيس الهمام ولا بدع فاهالي هذه البلاد لهم سمعة حسنة منذ القـديم في ضروب القرا والتكريم

وانجازا لذلك المرغوب اتخذ المجلس البلدي الوسائل الكافية لتحقيق راحة السكان ووفود المتفرجين المتـالفة اعدادهم من الوف عديدة سيما من جهة مرور العامة والعربات بشوارع وانهاج تونس فاصدر جناب شيخ المدينة ورئيس المجلس البلدي قرارا في ترتيب السير مـدة اقـامة فخامة الرئيس الكريم بالحاضرة وهذا نصه بعبارته

نحن امير اللـواء محمد الصادق غيلب رئيس المجلس البـلدي بتونس قررنا ما ياتي

الفصل الاول ـ لا يسوغ مرور الترمواياث وانواع العربات في الايام وبالجهات الاتي بيانها

يوم الثلاثاء ١٨ افريل ١٩١١ ـ ساحة المحطة ونهج الصادقية ونهج انكلترا ونهج ايطاليا وشارع فرنسا وساحة السفارة العامة ونهج هولاندا وشارع جول فري وشارع باريس وذلك من الساعة الرابعة الى السادسة مساء

يوم الاربعاء ١٩ افريل ـ ساحة السفارة العامة وشارع جول فري وشارع باريس وشارع مدريد والطريق الذي بين باردو والقصر السعيد وساحة ونهج باب سعدون ونهج الحلفا وشارع لندرة وذلك من الساعة الثامنة صباحا الى الزوال مساء

في اليوم المذكور ـ ساحة السفارة ونهج الصادقية ونهج الجزيرة وشارع باب الجديد وشارع باب منارة وساحة القصبة من الساعة السابعة الى الساعة الحادية عشر مساء

يوم الخميس ٢٠ ـ ساحة السفارة العامة ونهج الصادقية وساحة المحطة من الساعة السادسة الى الساعة السابعة صباحا

يوم الثلاثاء ٢٥ افريل ـ ساحة المحطة ونهج الصادقية وساحة السفارة العامة بين الساعة السادسة والساعة السابعة مساء

يوم الاربعاء ٢٦ افريل ـ ساحة السفارة العامة ونهج الصادقية وساحة المحطة بين الساعة ٧ و ٣٠ دقيقة والساعة ٨ و ٣٠ دقيقة مساء

الفصل الثاني ـ لا يسوغ ايضا مرور المشاة بوسط ولا بجوانب الانهاج والشوارع المذكورة آنفا في الاوقات المبينة

الفصل الثالث ــ لكوميسارات واعوان البوليس ايام ١٨ و ١٩ و ٢٠ و ٢٥ و ٢٦ افريل ان يحجروا مرور الترامواياتِ والعربات والمشاة بالجهات التي يقتضي نظرهم اخلاؤها لحفظ النظام والامن العام

الفصل الرابع ــ في جميع الانهاج والطرقات العمومية وفي الايام والساعات المذكورة آنفا يحجر امام الدكاكين وخصوصا القهاوي وضع الموائد والكراسي والابناك والعربات وغير ذلك من الاشياء التي من شانها ان تعطل المرور العام كما يحجر التعلق بالاشجار وان يوضع بالشرافات او بحافات السطوح اشياء من شانها ان تجرح المارين وكذا نشر الثياب اوغيرها

ولا يسوغ ايضا رمي ورق الكونفيتي ولا شرائط الكاغد ولا باقات الزهور او غير ذلك ولا اطلاق الشماريخ

الفصل الخامس ــ رئيس الكوميسارات واعوان القوة العامة مكلفون كل فيما يخصه بتنفيذ هذا القرار

تونس في ١٥ افريل سنة ١٩١١

الامضاء ــ محمد الصادق غيلب

كما ان دولة الحماية اتخذت من جهتها الاحتياطات والتاهبات اللازمة لانجاز مواكب الرحلة الرئيسية بكل ما يناسب فخامة ضيف الامة التونسية وساعدتها على تحقيق ذلك المرغوب كتابة الدولة العامة فاصدرت لادارات الحاضرة وحكامها وللمراقبين والعمال منشورات مستوفاة البسط لرسم خطة كل منهم ومن ذلك برنامج بالقلم العربي في بيان كليات وجزئيات

الرحلة المذكورة وزعته على اعيان الحاضرة والعمالة وهو البرنامج الذي شرحناه وبسطناه فتكون منه هذا التاليف واليك نص المكتوب المتعلق بالغرض الذي وضع لاجله

تونس في ١٦ افريل ١٩١١

سيدي الوزير المقيم العام

اني اتشرف بان اقدم لجنابكم تذكارا لزيارة فخامة رئيس الجمهورية عشر نسخ ضمنها اثنين على ورق جميل من البرنامج العربي للافراح العمومية التي ستقوم بها المملكة التونسية اكراما لصاحب الفخامة سيدي رئيس الجمهورية المعظم

ونعرفكم ان هذا البرنامج الذي ستتولى الكتابة العامة توزيعه مجانا على الهيات الاهلية ووجوه واعيان المسلمين يذكر قراءه بما هو متعلق في الاذهان من الوفاق الذي لم ينفك متواصلا بين الفرنساويين والتونسيين وحينئذ فالقصد من وضعه هو تلقين الامة الاسلامية بما هي متهياة اليه للغاية يعني الاحتفال والاستظهار بشعائر الاخلاص نحو فرنسا اثناء زيارة فخامة مسيو فليار لحاضرة تونس ولمدن العمالة

امـا تحرير هذا البرنامج المستكمل من كل الوجوه فقد اوكلت امره للسيد محمد بن الخوجة رئيس قسم المحاسبة بالادارة العامة

وتفضلوا يا جناب الوزير الخ

الامضاء ـ بلان

هذا وعند نزول فخامة الرئيس والحضرة العلية من القطار كان في انتظارهما بمحطة السكة الجنوبية رجال الدولتين الحامية والمحمية فالمجلس البلدي يتقدمه رئيسه وكاهيتاه فروساء الادارات وكواهيهم فعامل احواز الحاضرة فالعمد والاعيان من سائر الطبقات واذاك شرف فخامته والحضرة العلية قاعة الاستقبال بالمحطة وكانت آية في الزينة والتنميق وبمجرد استواء فخامته والحضرة العلية بصدارة المقام اطاقت المدافع مائة طلقة وطلقة اشعارا بالسلام على فخامته وفي تلك الاثناء تلقى مقامهما العالي مراسم السلام والاحترام من كافة الحاضرين ثم تقدم مسيو بروست احد كاهيتي المجلس البلدي وهنا فخامته بالخطاب الاتي

يافخامة الرئيس

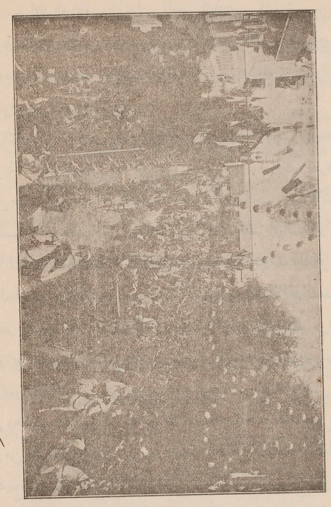
ان حاضرة تونس تهنيكم بالقدوم المبارك واهلها يتشكرون لفخامتكم عن تشريفكم اياها بالزيارة ولقد حييناكم لسنوات فارطة اذ جئتمونا وانتم رئيس مجلس الشيوخ فبقي لذلك باذهاننا اجمل ذكرى والان نغتنم هذه الفرصة للاعراب لفخامتكم باسم الفرنساويين سكان العمالة جميعا عما لنا من التعلق والاخلاص بالدولة الجمهورية التي بالرغم عن ابتعادنا على ارضها بقينا من ابر بنيها ـ هذا وستطلعون بانفسكم على المجهودات التي توخيناها لترقية وعمران هذا القطر الذي مدت عليه فرنسا جناح حمايتها

فاجابه فخامة الرئيس بعبارات الاستحسان وشكر سعيه

هذا وحيث كان مسيو بروست الكاهية المشار اليه وجناب شيخ

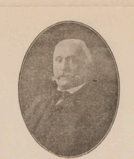
المدينة السيد محمد الصادق غيلب رئيس المجلس البلدي من المحرزين من قبل على اوسمة عالية في اللجيون دونور ولم يكن الكاهية الاخر مسيو دومرق مميزا بالوسام المذكور فقد استحضره فخامة الرئيس في ذلك الموكب والبسه وسام الشرف من الدرجة الرابعة

ثم انتظم الموكب وخرج من المحطة فركب فخامة الرئيس والحضرة العلية عربة الرئاسة الجمهورية التي هي من طراز دومون وكان يجرهـا اربعة من جياد خيول عساكر الطبجية وجلس امامهما جناب مسيو الابتيت الوزير المقيم العام وجناب مسيو رمندو الباش كاتب بقصر الرئاسة وركب في العربة الثانية والثـالثة وزراء الدولتين وركب بقية الذوات والمديرون ورجال الحاشيتين ببقية العربات وسار الموكب في ابهته واجلاله بين سموط العساكر مخفورا بالعساكر الخيالة وبصبايحية الاوجـاق وكانت مراسم السلام يوديها الجيش ابتداء من طابور عساكر الزواف وانتهاء بفرقة عساكر العسة الموصونة وكانت المويسقى تترنم بنشيد المرسلياز ثم بالسلام الملـوكي الحسيني وهكذا سار المـوكب مخترقا للالوف المتـالفة من المتفرجين والهاتفين من كل الملل والنحل على ممر الركاب العـالي ببطحاء السكة الحديد فنهج الصادقية فنهج انكلتيرة فنهج ايطاليـا حيث منـاح الزينة فشارع فرنسا الرحيب النضير فساحة السفـارة الفرنساوية ولدى حـلوله وسط الساحة ترنم تلاميذ المدارس وكانوا متجمعين هنالك في زهاء الالفي تلميذ بانشودة حماسية من نظم الاستـاذ شانبفير في تهنئة الضيف الكريم والرئيس الفخيم وفي الحث على التعاضد والتاخي والتوادد بين الاقوام مما سيبقى له ذكر على كر الشهور والاعوام



موكب فخامة الرئيس ببطحاء السفارة الفرنساوية يوم دخوله لمدينة تونس

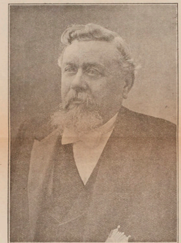
ولما دخل الرئيس لدار السفارة توادع فخامته مع الحضرة العلية فعاد سموها في رتل خصوصي لقصر المرسى وتاهب جناب مسيو فليار لقبول مراسم التهنية والاحترام من اهل الحل والعقد ومن اعيان الحاضرة التونسية . وحينئذ انتظم موكب القبول فكان واسطة عقده فخامة الرئيس وحوله و زراءه و رجال حاشيته



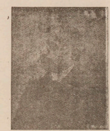
جناب مسيو بامس
وزير الفلاحة



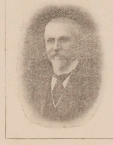
جناب مسيو تومي
الكاهية الوزيري بالبوسطة والتلغراف



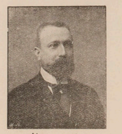
صاحب الفخامة مسيو فليار
رئيس الجمهورية الفرنساوية



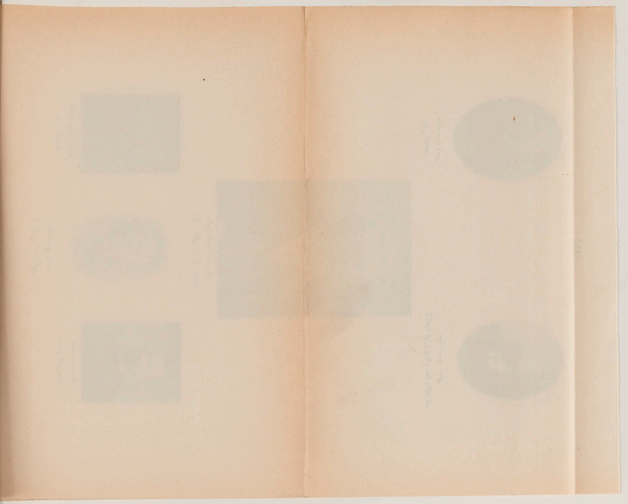
جناب مسيو دلكاسي
وزير البحرية



جناب مسيو رمندو
باش كاتب رءاسة الجمهورية



جناب مسيو مولار
مـدير التشريفـات



واذاك تقدم للسلام عليه المشايخ اهل المجلس الشرعي بالمذهبين
وبعد ان صافحهم فخامته مصافحة الكرام القى فضيلة شيخ الاسلام على
مسامعه الخطاب الآتي اداه الى الفرنساوية في الحال جناب مسيو بلان
الكاتب العام للامور الادارية

يافخامة الرئيس

قدمنا اليكم نحن شيوخ المجلس الشرعي تدعونا داعية واحدة ويجمعنا
غرض متحد وهو ابداء شعائر الاخلاص في الترحيب بمقدمكم الفاخر
والاحتفال بزيارتكم السامية التي يحق لي ولهم بصفتنا نوابا عن الشريعة
الاسلامية ان نعلق عليها كل امل في دوام احترام شعائرنا الدينية ورعاية
العوائد المبنية عليهما المقتضيين اقتضاء اوليا زيادة توثيق واحكام روابط
التعاضد والاتحاد بين دولة الجمهورية الفخيمة ودولة سمو اميرنا المعظم
ونمو الكفالة الصادقة بمساعدة القطر واهله كما هو الامر الذي كتبته
على نفسها دولة الجمهورية السامية وحفظ لها فيه الذكر الحسن ولم يزل
قول عظمائها بيننا وعملهم في سبيله الهام يؤيد احدهما الاخر ومن المؤكد
ان زيارتكم هاته للقطر التونسي تجدد وتحيي في قلوبنا ما لنا من الامان
في دولة الجمهورية التي ينوب عنها فخامتكم والوثوق بولائها اي احياء
وتجديد وحصول بحول الله على مفيد

فاجابه فخامة الرئيس بالعبارات الاتية

اني لمبتهج من شواهد الاخلاص التي صرحتم بها الينا باسمكم وبالنيابة
عن اهل المجلس الشرعي وليكن جنابكم على يقين من ان الجمهورية

الفرنسوية ستستمر سائرة كما في الماضي على قاعدة احترام عوائدكم وشعائركم الدينية وعلى زيادة احكام الروابط الناتجة عنها بين الدولتين بفضل المساعدة على ترقية هذه المملكة من الوجهتين الحسية والمعنوية

وان الاهتمام بمصالح وعقائد الامة الاسلامية الذي برهن عليه جناب الوزير المقيم العام في كل المناسبات هو اوثق كفيل واوضح تاكيد يمكنني تقديمه اليكم

وان فطنتكم العالية ورايكم الصائب سينتج عنهما بلا ريب المعونة التي لا انفس منها للمشروع الذي نحن بصدده

فتلقى الشيوخ تلك التصريحات النفيسة بمظاهر الشكر وانصرفوا بكل توادة ووقار

قال في الجريدة الرسمية للدولة الجمهورية (العدد المورخ في ٢٠ افريل ١٩١١) يصف هياة المجلس الشرعي عند قدومهم على فخامة الرئيس « والمجلس الشرعي عبارة عن محكمة موسسة على قواعد القرآن (الشريف) يراسها شيخ الاسلام الذي هو الامام الديني لمسلمي العمالة التونسية وكانت رؤوس اهل المجلس متوجة بعمائم ضخيمة واطلسة من الكشمير العالي وعلى هامتهم برانيس بيض وجوخ حريرية من افخر ما يكون »

هذا وعلى اثر خروج الشيوخ من السفارة ابتدا موكب القبول الرسمي للهيآت النظامية فتلقى فخامته اولا مراسم التهنئة والاحترام من موظفي السفارة الفرنساوية والمراقبة المدنية بتونس ثم قدم له جناب الوزير المقيم الهيات الاتية على الترتيب الاتي

قناصل الدول بتونس

الجنرال بيستور قائد جيش الاحتلال

المامورية المالية الفرنساوية بتونس

مجلس الشورى

العدلية الفرنساوية

حجرة التجارة

حجرة الفلاحة

اركان الحرب بجيش الاحتلال

ضباط الجيوش

الكتابة العامة للامور العدلية

الكتابة العامة للامور الادارية .

ادارة المال العامة

ادارة الاشغال العامة

ادارة الفلاحة والتجارة

ادارة البوسطة والتلغراف

ادارة العلوم والمعارف

وفي اثناء اقتبال فخامته للهيات المذكورة القيت على مسامعه عدة خطب وتهنئات فقناصل الدول هنوه بالقدوم فردا فردا واعربوا لفخامته عن كامل احترامهم للدولة الجمهورية وقد اثنى فخامته عليهم وصافحهم

مصافحة ودية ومجلس الشورى بقسميه الفرنساوي والاهلي عند تقديم مراسم ولائه واحترامه القى كاتبه الفرنساوي خطابا في الاعراب عن تعلق رفقائه بام الوطن وعن اخلاصهم في خدمة المصالح العامة وعن رغائب المجلس التي ترمي الى طلب التوسيع في نطاق نفوذه ليكون قائما بواجباته نحو الفكر العام الفرنساوي وقد اجابه فخامة الرئيس بالثناء على غيرة الاعضاء الفرنساويين واهتمامهم بمصالح البلاد التونسية ثم قلد في ذلك الموكب احد الاعضاء وهو الا فوكات مسيو دلماس وسام الشرف الفرنساوي

كما ان رجال العدلية الفرنساوية عند تقديم مراسم احترامهم القى عميدهم جناب القانوني مسيو دوماس رئيس المحكمة الفرنساوية بتونس على مسامع فخامة الرئيس خطابا نفيسا اشار فيه لاتفاق غريب وهو مرور ٢٨ عاما لا تزيد ولا تنقص على ما بين تاريخ تاسيس العدلية الفرنساوية بتونس وحفلة هذا اليوم كما اشار لنشاتها في هذه الديار بمساعدة الدول الاروباوية التي تنازلت لفرنسا عن محاكمها القنصلية وبتكرم سمو باي تونس الذي تنازل لها عن جزء عظيم من سلطته الحكمية بما دل على صدق مودته نحو الدولة الفرنساوية وقد اجابه فخامة الرئيس بانه ممن خدم العدلية وشب وشاب في حبها فقد خدمها بصفة وكيل وساسها بصفة وزير

ولما امتثل رئيس حجرة التجارة بين يديه عرض على مسامع فخامته اماني ورغائب التجار الفرنساويين واكد له عناية العنصر الفرنساوي بالعنصر الاهلي وتدريبه على الكد والعمل وفقا لمرغوب الدولة الفرنساوية التي حكمت بسياسة التشريك في هذه الديار وقد اجابه فخامة الرئيس شاكرا

له عن هذا الفهم المصيب لمعنى الحماية التي تقتضي طبعا بتوادد العنصرين
وبمثل هذه العبارات صرح بعـد ذلك لرئيس حجرة الفلاحة جوابا عمـا
اكد في خطابه من ان المعمرين الفلاحيين بالعمالة بعثوا روح حياة جديدة
في جسم الفلاحة الاهلية وتداركوا بذلك اعراب البوادي من المجاعة والفقر
فقال له فخامة الرئيس عبارات تقرب من معنى الحديث الشريف القايل « ارحم
من في الارض يرحمك من في السماء » وزاد على ذلك مـا معناه ان في
تحسين حالة الامة المحمية زيادة شرف للامة الحامية

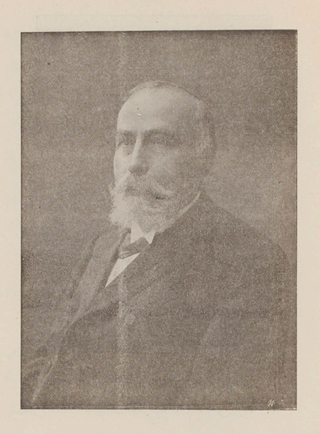
ثم تقدم للسلام على فخـامته ضباط جيش الاحتلال وفي مقـدمتهم
جناب الجنرال بستور قائد الجيش العمومي



جناب الجنرال بستور
قائد جيش الاحتلال ووزير الحرب بالدولة التونسية

ولما امتثلوا لدى فخامته القى الجنرال المذكور على مسامع فخامته خطابا نفيسا قال فيه «ان العساكر وان كان من واجبهم السكوت الا ان قلوبهم في هذه المناسبة السعيدة ترتجف سرورا ولئن كان غيرهم من الناس يشتهون الحرية واستقلالية الذات فهم دائما عبيد متفانون في حب الدفاع عن الاوطان لذلك نلتمس من فخامتكم نيابة عن جيش الاحتلال قبول مراسم ولائنا للدولة الجمهورية وشعائر احترامنا واخلاصنا لذاتكم الموقرة» وقد اجابه فخامة مسيو فليار بقوله «اراني دائما سعيدا بملاقاتي للضباط الفرنساويين وليس من الافادة ان نطري هنا هولاء الضباط الغيورين لان قيمة الضابط الفرنساوي معلومة لدى الجميع وليس في جيش فرانسا ضابط يحمل شعار خطته ويتمنطق بسيفه وهو غير عليم بما عليه من الواجبات نحو الوطن وفي ظني بل وفي املي ان لا نحتاج لاخراج ذلك السيف من غمده لكن معرفتنا بقيمته تحقق لنا الفوز اذا اضطررنا لاستعماله يوما ما هذا وان اخلاصكم ايها الضباط قد اثلج صدري وان وجود الجنرال بستور الذي نعرفه في طليعتكم يحملني على القول بانه على قدر اهل العزم تاتي العزايم فلتقبلوا جميعا خالص ودادي بالنيابة عن الدولة الفرنساوية التي تتصورونها في شخصي الآن»

ولما تلقى فخامته مراسم التهنئة من الادارات العمومية اثنى بالخصوص على جناب الوزير المفوض مسيو روا الكاتب العام للامور العدلية وحادثه مذكرا اياه باجتماعه به لثمان سنوات فارطة



جناب مسيو روا الوزير المفوض

والكاتب العام للامور العدلية

كما اثنى فخامته ثناء حسنا على جناب مسيو بلان الناظر العمومي بالوزارة الداخلية والكاتب العام للامور الادارية الذي اتقن العربية ومارس الامور الاهلية في مدة قصيرة ووجه مثل ذلك الثناء لجناب مسيو فلوري الكاهية بالكتابة العامة والساعد الايمن لجناب الكاتبين العامين



جناب مسيو بلان الناظر العمومي
بالوزارة الداخلية والكاتب العام للامور الادارية

واذ كان فخامته مارا بصف روساء الادارات والاقسام والاقلام بالكتابة العامة انحنى امامه الحاضرون فجاملهم بعبارات لطيفة وصافح كلا من مسيو ڤيو مدير العدلية ومسيو مرلان مدير الانطلكخانة ومسيو لوتوف رئيس قسم المجالس البلدية والحكيم ڤيقان مدير الصحة البحرية و القبطان دافير مدير السجون ومسيو ركلو معتمد القسم الاول والسيد محمد القروي رئيس الخزنة العامة والسيد محمد بن الخوجه رئيس قسم المحاسبات والسيد علي بن مصطفى رئيس القسم الاول والسيد خليل بوحاجب رئيس البحث والسيد

الشاذلي صفر رئيس جمعية الاوقاف وبقية الذوات واستعلم في تلك المناسبة من مسيو ڤيو مدير الاقسام العدلية احوال المجالس الافاقية والنوازل الجنائية واحسن فخامته لجنابه بعيد ذلك بالصنف الاول من نيشان العلوم كما سمع بعد باذن صاغية الافادات التي قررها لديه مسيو مرلان مدير الانطكخانة فيما يتعلق بالتماثيل القديمة التي استخرجها المتحف العلوي من عمق اربعين ميترفي عرض البحر بساحل المهدية وهي عبارة عن آثار تاريخية ثمينة جدا تتصل بزمن البعثة المسيحية وكانت فيما يقال محمولة بسفينة يونانية فغرقت هي والسفينة لنحو الفي سنة فارطة واخيرا عثر عليها صيادو النشاف واعلموا بها الدولة التونسية فآجرت الغواصين على اخراجها وزينت بها متحف باردو الذي سياتي الكلام عليه في محله

ولما تقدم له في ذلك المجلس اي عند قبوله للادارات الربي جيرح حاخام باشي تونس وهو شيخ هرم اطل على ما وراء التسعين حياه فخامته وتكرم بمصافحته فتلقى الحاخام باشي تلك المجاملة بالشكر العميق وقبل راحة فخامته

ولما تلقى فخامته الادارة المالية قلد بيده لمسيو دوبرديو دفتردار الاملاك العقارية وشقيق مدير المال وسام اللجيون دونور بين مظاهر الاستحسان العام

وعند انفصال موكب القبول ظهر فخامته براس المدرج امام الباب فمر تحت نظارة اعضاء الجمعيات الادبية والموسقية والرياضية وكانوا نحو الاربعين جمعية وكلهم براياتهم وشعارهم الخاص بهم ومن جملتهم الجمعية الطليانية الغربلدية اي المنتسبة للقايد غاربلدي البطل المشهور المجاهد في سبيل الوحدة الطليانية والضابط كان بجيش المرحوم حسين باي بن محمود باي

اما اعيان الجزائريين من سكان الحاضرة فقد اعربوا من صبيحة ذلك اليوم للسفارة العامة عن اخلاصهم وتعلقهم بالدولة الفرنساوية واهدى رجال الطائفة الوهرانية عنوانا على ذلك الشعور مقطفا مزادانا بالزهور برسم فخامة الرئيس كتبوا عليه بالخط المموه بالذهب العبارة الاتية « هدية من الجزائريين ابناء الطائفة الوهرانية »

هذا وبانفصال استعراض فخامة مسيو فليار للجمعيات المشار اليها رجع فخامته لداخل السفارة ثم بعد ان استراح ردحا من الزمن اعد جنابه مادبة خصوصية استدعى للعشاء بها وزراءه ورجال حاشيته وجناب الوزير المقيم وكاهيته

وبعد العشاء اعد فخامته ليلة انس ومنادمة كانت على غاية الاشراق والازدهاء حضرها البرنس سيدي المنصف باي ووزراء الحضرة العلية والوزراء الفرنساويون والاميرال الانكليزي وضباط اسطوله والمستشار البحري بسفارة انكلتيرة في باريس والاميرالان الفرنساويان وضباط الاسطول الرئيسي واسطول بنزرت والدارعة الاسبنيولية ومديرو الادارات وبقية الذوات وعقيلات اكابر المامورين والاعيان كما حضرها مكاتبو الجرائد الفرنساوية الذين قدموا من فرانسا بنية مرافقة الركاب الرئيسي في رحلته التونسية وكانوا نحو الثلاثين صحافيا ولم يتخلف عن هذه الليلة الآنسة إلّا جناب الوزير المقيم بداعي الحداد الذي الم به لوفاة اخيه طيب الذكر فلذلك استناب كاهيته بالسفارة لاستقبال الزائرين



جنـاب مسيو ديبورت

كاهية الوزير المقيم العام

ثم ان فخامة الرئيس طاف على قاعات القبول حيث تجاذب اطراف الحديث مع الحاضرين وبعد ان شرف مائدة السماط وادع زائريه ودخل بيت النوم وبعيد ذلك بقليل بارح الزائرون دار السفارة وعلائم السرو ر والبشر بادية على وجوه الجميع

وفي تلك الاثناء كانت احياء العاصمة التونسية وبطاحها وشوارعها تتلالا باشعة الانوار الكهربائية بما قام به المجلس البلدي من ضروب الزينة والاسراج سيما باسواق التجارة الاهلية التي اسرجت بنحو ثلاثين الف مصباح وكانت مغازات التجار في تلك الليلة وفي الليلة بعدها محط رحال الزائرين من سائر الطبقات سيما مغازات التاجرين الشهيرين السيد علي البربوشي

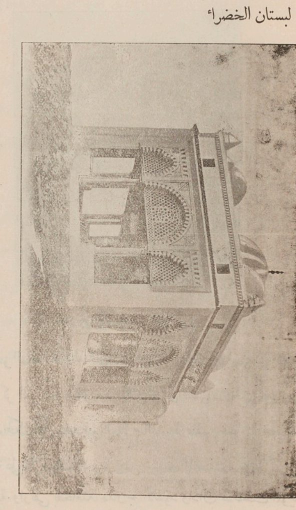
والسيد احمد جمال اللذين اصبح اسمهما بالعواصم والمعارض الاروباوية اشهر من نار على علم ومعلوم ان اسواق الحاضرة لها شهرة تاريخية بعيدة لانها تمثل العاصمة التونسية على عهد القرون الخالية لان بعضها احدث في ايام الدولة الحفصية والبعض الاخر وقع انشاؤه على عهد الدولة المرادية

اما مظاهر الاحتفال والاحتفاء التي قامت بها ذات الحضرة العلية نحو فخامة الضيف الكريم والرئيس العظيم فحدث عن البحر ولا حرج ويكفي في الكلام على ذلك ان نقول ان سمو الملك المعظم اعرب لفخامة الرئيس عن امياله القلبية وعن مرغوبه لرد الزيارة لفخامته بباريس في العام الجاري وانه بعد ان يقيم ضيفا رسميا على الدولة الجمهورية مدة يومين او ثلاثة يطيل مقامه بالعاصمة الفرنساوية اياما اخرى بصفة غير رسمية لاستطلاع امورها وزيارة معاهدها ومشاهدة معالمها ولتسريح الطرف في رياض تلك المدينة عروس مدائن العالم المتمدن باسره

وقد كان لهذه التصريحات والانفاس العالية احسن وقع لدى فخامة الرئيس ومما زاده ودا واعجابا بصفات المولى الامير ان جاء في مرغوبه هذا معاني لطيفة لان الحضرة العلية لم ترحل قبل من مملكتها التونسية

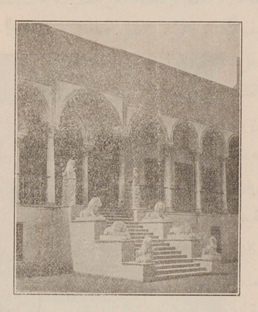
هذا ولما بزغت شمس يوم الاربعاء ١٩ افريل ١٩١١ يعني اليوم الثاني من قدوم فخامة الرئيس الهمام للحاضرة كانت مدينة تونس قد اخذت تاهباتها للاحتفال والاحتفاء بالضيف الكريم والرئيس الفخيم ففي الساعة السابعة صباحا اصطف فرسان الاوجاق وعساكر الخيالة ببطحاء السفارة العامة وتولى اعوان البوليس حفظ الراحة وانتظم الموكب الرئيسي المهيب فخرج جناب مسيو فليار من السفارة على الساعة الثامنة مصحوبا

بوزرائه ورجال حاشيته واذاك صدحت الموسيقى بنشيد المرسلياز وقرعت الطبول وادى العساكر السلام فامتطى فخامته عربة الرئاسة الجمهورية وركب الوزراء وبقية اهل الموكب عرباتهم وسار ركابه مخفورا بالعساكر وعلى يمين العربة الجنرال قائد جيش الاحتلال راكبا جواده وقصد سراية باردو المعمور مارا في طريقه على شارع باريس البهيج الموصل لبستان الخضراء



قبة بستان الخضراء ذات النقوش العربية الجميلة

ومن هنالك سار الموكب مارا بالشوارع التي وراء اسوار الحاضرة فطريق باردو لجهة باب ابي سعدون وكان ذلك بنية رد الزيارة للحضرة العلية واذاك كان سموها العالي في انتظار فخامته لاستقباله في موكب فاخر انتظم عقده بقاعة الاستقبال الكبرى بدار الملك باردو المعمور



مدرج الاسود بسراية باردو

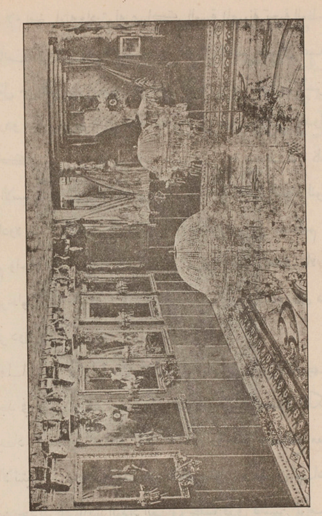
وفي نحو الساعة الثامنة ونصف وصل ركابه لباردو فادت له السلام العساكر التونسية وكانوا مصطفين حول السرايا تحت امرة مدير وزارة الحرب الكلونيل دنجزلير الحازم النشيط فتقدم فخامته نحو السرايا حيث استقبله على الرصيف سمو البرنس سيدي المنصف باي اكبر انجال الحضرة العلية وارتقى بفخامته مدرج الاسود واذاك صدحت الموسيقى

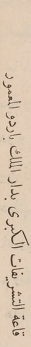
الملوكية بالسلام لفخامته وادت له عساكر العسة المصونة تحية العظماء والملوك وكان في مروره يلاحظ حسن انتساق القصر بجمال اعمدة المرمر الصقيل من النوعين الاسود والابيض القائمة عليها محلات السرايا

اما باردو فكان موجودا في المائة الثامنة على عهد سلاطين الدولة الحفصية وكان مناخ منتزهاتهم وفيما يظهر ان اسمه محرف عن كلمة « برادو » الاسبنيولية التي معناها « الفردوس » ولما ءالت الدولة لنوبة المراديين زادوه حسنا وتفخيما وسلك ءال الحسين بن على مسلكهم في عهد دولتهم واختصوه لسكنى انفسهم ثم اقتصروا على سكناه في الشتاء ويرحلون عنه لسواني مصيفهم زمن القيظ وبالطبع كان دار ملكهم ومقر دواوين حكومتهم

هذا ولما دخل فخامة الرئيس سراية باردو وارتقى مدرجها الداخلي وجد في انتظار فخامته براس المدرج سمو الحضرة الملكية بالبسة الاعياد الكبرى واذاك تقدم له المولى الامير وتصافح معه باليدين الاثنتين ورحب بقدومه واكرم نزله وبعد ان تبادل مقامهما من جديد عبارت الوداد العالي جلسا فوق دستين توأمين ملكيين ففخامته لليمين وسموه لليسار

وكان امراء البيت الحسيني محدقين بالمقامين الكريمين والوزراء ورجال الدولتين وقوفا والناس كانما على رؤسهم الطير اجلالا وتعظيما واذاك خاطب المولى الامير فخامة الرئيس بقوله





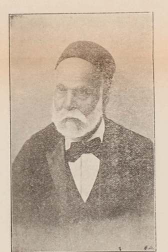
قاعة التشريفات الكبرى بدار الملك باردو المعمور

« ان فخامتكم على علم من تعلقي وصداقتي نحو الامة الفرنساوية فانا اقترح على جنابكم ان تعتبروا ذاتكم الكريمة كواحد من اهل بيتي وان تقبلوا بتلك الصفة نيشان البيت الحسيني »

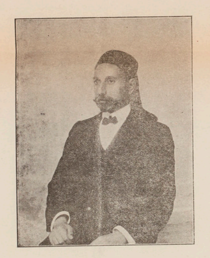
ثم قلده بيده شعار ذلك الوسام الرفيع الشان وتلقى من فخامته عبارات الشكر والامتنان



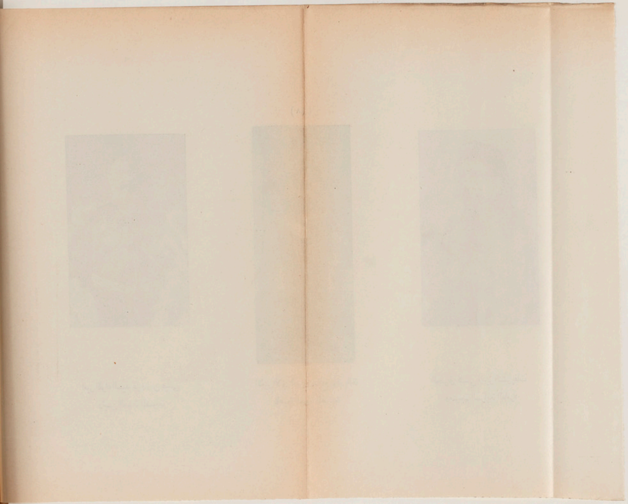
صاحب السمو الملوكي سيدنا محمد الناصر باشا باي



جناب امير الامراء سيدي يوسف جعيط
الوزير الاكبر



جناب امير الامراء سيدي محمد الطيب الجلولي
وزير القلم وباش كاتب





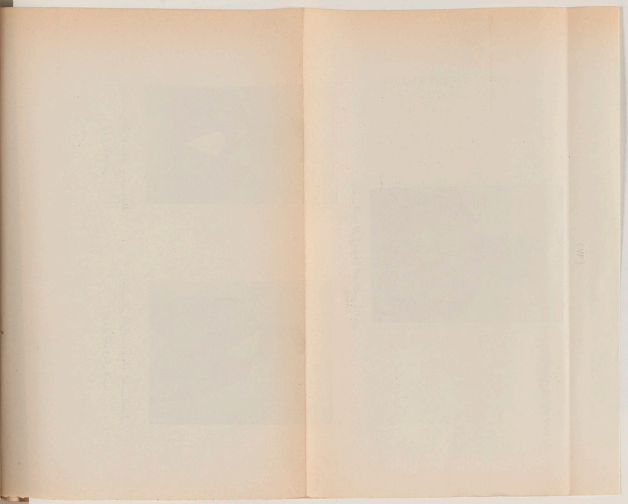
امير اللواء السيد عزوز بن عيسى
رئيس العسة المصونة



الامير الاي السيد صالح بودربالة
كاهية العسة المصونة



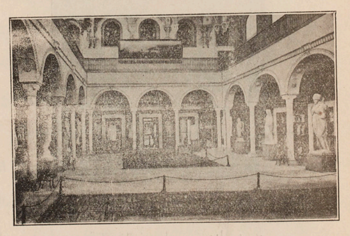
الجنرال فلنسي مدير التشريفات
ومترجم السراية العامرة



45

وبعدئذ بارح فخامته السرايا الملكية بين مظاهر الاجلال والتعظيم والتحية العسكرية وقصد دار المتحف العلوي الواقعة على خطوات من السرايا وهي اي دار المتحف من اجمل وافخر الدور العربية بناها المرحوم محمد باي وبالغ في تنميقها لحد الابداع والتحق بربه قبل ان يسكنها فاتخذها اخوه محمد الصادق باي دارا لحريمه وتكرم بها من بعده اخوهما المرحوم علي باي فرخص في سنة ١٣٠٥ بان ينصب بها المتحف العلوى المنسوب اليه وهو صنيع جليل حفظ التاريخ ذكره لهذا الامير

دخل فخامته المتحف مع وزرائه وحاشيته والوزير المقيم العام والوزير المفوض الكاتب العام للامور العدلية وبقية الذوات

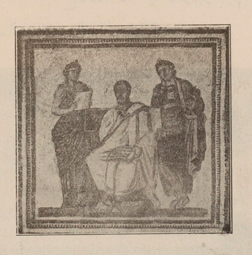


الصحن الكبير بمتحف باردو

وزار بيوت المحل بالتمعن والنظر وكان دليل القوم في تلك الزيارة مسيو مرلان مدير الانطكخانة بتونس فاستفاد فخامته من هذه الزيارة كثيرا

وابتهج لتلك الثروة الاثرية التاريخية التي اكتسبها المتحف العلوي في ظل الحماية الفرنساوية

وبعد ان تامل فخامته طويلا من التمثال المصنوع من الفسيفسا لـذات الشاعر اللاتيني فرجيل الذي كان يعيش في القرن الثامن قبل الهجرة حال نظمه وكتابته لقصيدته الحماسية المساة « اينابيد » وهي قصيدة ملات شهرتها اسواق الادب باروبا نظمها صاحبها بمطلب من الامبراطور اغسطس الذي ولد على عهده المسيح عيسى بن مريم عليه السلام



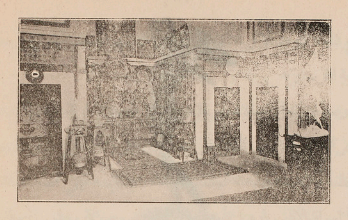
صورة الشاعر فرجيل وهو ينظم شعره

ثم توجه للقسم المحفوظة به الاثار العتيقة والتماثيل المعدنية من نوع الشهباني وهو ضرب من النحاس الاحمر في لون القلز



تمثال ايروس وهو آلة العشق عند اليونان
(من التماثيل المعدنية التي عثر عليها ببحر المهدية)

وكان العثور على تلك التماثيل بطريق الصدفة في سنة ١٩٠٨ حيث اكتشفها جماعة من الغواصين لصيد النشاف في عمق اربعين ميتر فوقع استخراجها من السفينة الاتينية التى غرقت بها في مبادي التاريخ المسيحي على نحو ستة اميال من ساحل المهدية ومن بعد ذلك تامل فخامته من نقوش الفسيفساء البديعة والتماثيل المرمرية واوعية الخزف القرطجنية ومن مجموعة مصابيح وفوانيس عزيزة النظير تكاد تكون يتيمة في عالم الاثار والفنون الجميلة ثم نظر فخامته بعين الاعتبار لسطل خاص بالتعميد على عهد الامم الخالية ومر بالقسم العربي من المتحف مما يسميه العامة دار العجايب وهذا القسم يشغل دار المرحوم محمد باي التي كانت تسكنها زوجته من آل بيرم



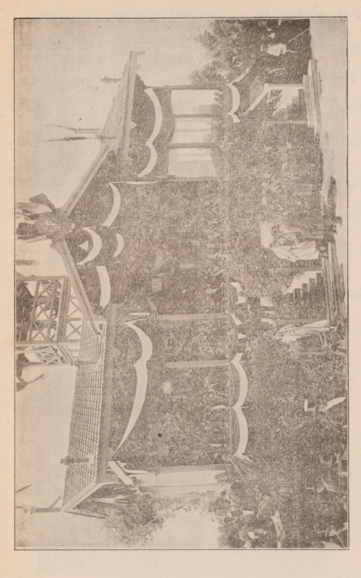
القسم العربي من المتحف العلوي

ثم بارح المتحف لاهجا بالثناء على عناية مديره ومعجبا بوفرة ثروته الاثرية



فخامة الرئيس والحضرة العلية خارجان من باردو
بعد زيارة مسيو فليار للمتحف العلوي

واذاك تلاقى فخامته مع المقام الملوكي وامتطيا جميعا العربة الرئيسية فركب خلفها امراء البيت الحسيني كما ركب وزراء الدولتين وبقية الذوات وانتظم الموكب وسار مخفورا بالعساكر قاصدا مضمار السباق الواقع على مقربة من برطال القصر السعيد لاستعراض وفود الاهالي وحامية تونس ولدى الوصول لساحة الاستعراض نزل فخامة الرئيس والحضرة العلية فادت الجنود لهما السلام وصدحت الموسيقى بالنشيد الفرنساوي وبالسلام الملوكي ثم صعدا بموكبهما لتختوان الشرف وجلسا بصدارة المقام



تَختوان الشرف بمضمار استعراض الوفود بالقصر السعيد

واذاك علت ضجة لعنان السماء وهتف الحاضرون وقرعت الطبول ودقت الدفوف والمزامير العسكرية وجردت السيوف من اغمدتها فكان

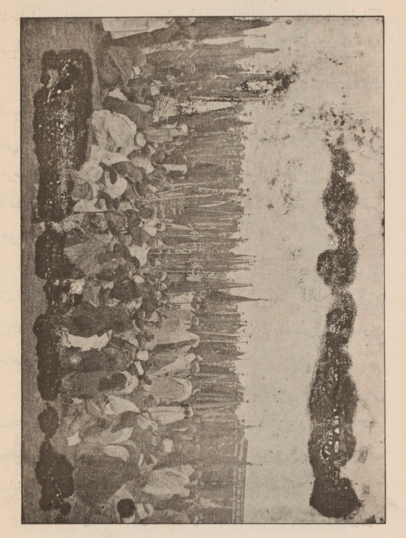
لذلك المنظر المزدوج بقعقعة السلاح وبطنين المدافع من المهابة ما جعل المقام مهيبا رهيبا

ولما اخذ الحاضرون مواقفهم وجلس المتفرجون والمتفرجات بمحافل السباق وفوق العشرة آلاف كرسي المعدة لهم وبرحاب المضمار وابطحته التي تسابقوا اليها من كل حدب ينسلون كان الناس اذاك يحاكون معرضا بشريا لا تعرف هذه البلاد حصول مثله فوق اديمها قبل ذلك اليوم اذ قدر بعض العلماء الاحصائيين جموع اولئك الخلائق بنحو مائة الف نفس وهو بلا ريب شيء يشبه الحشر والنشر

وممن حضي بالجلوس في تختوان الشرف البطل المشهور الجنرال بايو قائد الفيلق التاسع عشر الضارب بالجزائر كما حظى بمثل ذلك الاميرال بو قائد الاسطول الانكليزي واركان حربه وضباط الاسطول الفرنساوي وقناصل الدول بتونس

اما الجنود التي حضرت للاستعراض فهي عبارة عن ثلاثة طوابير من عساكر التريور وطابورين من عساكر الزواف وطابور من العسكر الخفيف وفرقة من الخيالة وثلاث فرق مدفعية فكانوا في الجملة ستة آلاف جندي يزاد عليهم نحو الاربعمائة من عساكر العسة المصونة

وكان التختوان منمقا مزركشا ومزدانا بالاعلام والابسطة الحريرية والرياش الفاخرة على اجمل شكل يخطر بالبال وكان الى يسار التختوان نحو الالف رجل من مشايخ ونقباء وشواش وسقاية واخوان ومريدي الطرق القادرية والشاذلية والعيساوية والتجانية والرحمانية وغيرها وبين ايديهم مباخرهم ورشاشاتهم



جموع المريدين ووفود الذاكرين من اهل الطرق الربانية

وسناجق زواياهم وطبولهم ونغراتهم وبقية الالات الخاصة بهم فكان لمجموعهم منظر في بابه غريب وقد تجمع حذوهم خلائق لا تحصى من

49

اعيان اهـالي الحاضرة يتقدمهم امنـاء الحرف والصنايع ومشايخ الارباض تحت رئاسة شيخ المدينة امير اللواء السيد الصادق غيلب



السيد محمد الصادق غيلب

شيخ المدينة

كما تجمع بالقرب منهم عدة ءالاف من اهالي عمل احواز الحاضرة وطبربة والجديدة والمحمدية والمرناقيـة وغـيرها يتقدمهم خلفاواتهم ومشائخهم وعمدهم تحت رئاسة عاملهم السيد مصطفى دنقزلي الذي نعم عليه فخامة الرئيس في مساء ذلك اليوم بوسام الشرف من الدرجة الثالثة كما سيرى القاري ذلك بموكب المدرسة الصادقية الاتي قريبا



السيد مصطفى دنقزلي عامل احواز الحاضرة

ووقف فيما يلي جموع الاهالي اعيان الجزائريين والوهرانيين والمزابيين والاسرائيليين واذاك وقع افتتاح الموكب بتقليد فخامة الرئيس عدة اوسمة من درجات مختلفة لضباط الجيش الفرنساوي على رؤس الاشهاد وكان فخامته يقبل كل ضابط ممتاز ويهنيه على اثر ذلك بالوسام الذي استحقه ثم وقع الشروع في الاستعراض فمر في طليعة القوم وفود الحاضرة يتقدمهم شيخ المدينة واعقبهم في المرور عامل الاحواز يتبعه وفود عمله ثم جموع طرق الذكر يتقدمهم الشريف السيد محمد البشيري شيخ مشايخ الطريقة الرحمانية ثم جموع الطوائف الجزائرية ثم اعيان الطائفة الاسرائيلية وكان كلما مر وفد بتختوان الشرف هتف رجاله بالدعاء لفخامة الرئيس وللحضرة العلية

وكان جناب الرئيس مظهرا في تلك الآونة مزيد انشراحه لما قام به اولئك الوفود من شعائر الولاء والاحترام ومما زاده انشراحا حضور جموع الطرق على الهياة وبالنظام والالات الخاصة بهم التي تقدمت الاشارة اليها وفي تلك الا ثناء قدم من الحاضرة باجنحة الطير على طريق الجو مسيو بوفي راكبا طيارته وسابحا على صفحات الفضاء الاوسع فحل وسط سماء المضمار وجعل يصعد وينزل حتى يكاد يمس الارض ثم يفر الى علو شاهق طائرا من هنا وهناك وطائفا على سطح الجو حول تلك الخلائق التي اعجبت جميعا بجسارته ومن اجسر ايسر

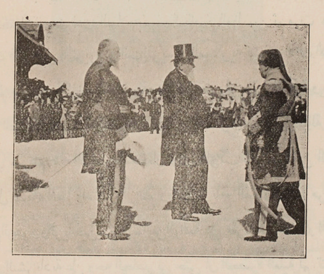
وعلى الساعة العاشرة ونصف اخذ الجنرال بيستور في استعراض جيوشه فكان هذا البطل المشهور راكبا لفرس كميت من الصافنات الجياد فمر امام التختوان حيث ادى السلام بسيفه للمقامين العظيمين ثم مرت عساكر الزواف فالتريس فالتريور وكانت الموسيقى العسكرية تشنف اذاك الاسماع ثم مرت عساكر السعة المصونة يتقدمها انفار الموسيقى الملكية ويتلوها عساكر الطبجية التونسية وختم الاستعراض العسكري بمرور الخيالة حيث حملوا في سيرهم حملة الفرسان الشجعان وكان الموكب بالغا حده من البهجة والجمال لصفاء الجو واعتدال الربيع وكانت ارياح الفخار تحمل من بعيد روايح الزهور والرياحين من البساتين الواقعة على مقربة من مضمار السباق ولوايح البشر بادية على وجه الحاضرين حتى ان الحضرة العلية لم تتمالك عن التصريح باعجابها لبهجة ذلك الاستعراض ولمهارة الجسور ابي جناح بوفي الذي راق طيره واخذه ورده في الهواء باعين كل الحاضرين

هذا وقد وجه فخامة الرئيس في نهاية الاستعراض مكتوبا للجنرال بستور في الثناء على الجيش الذي استعرض امامه ونصه

فاريقي العزيز

ان الاستعراض البهيج الذي حضرته الآن مع الحضرة العلية سيبقى ذكره منقوشا بذهني ذلك ان بهاء طلعة العساكر التي قامت به وصراحة استعدادهم دليل على صفاتهم الحربية السامية فلا غرو ان جاءوا على قدم ضباطهم المختارين والمتامرين عليهم وعلى اهبة متواصلة للقيام بالواجب والدفاع عن الراية التي تظلهم وعليه فالمرغوب منكم ان تبلغوهم تهنئاتي الفايقة وان تتقبلوا انتم يا فاريقي العزيز شعائر عواطفي النبيلة

الامضاء ـ فليار



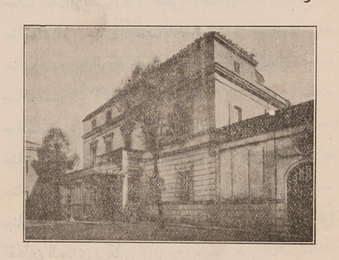
فخامة الرئيس والحضرة العلية

خارجان من استعراض الوفود بميدان القصر السعيد

51

ثم انفصل الموكب وعاد الركاب الرئيسي الملوكي في ابهته قاصدا تونس ولدى مروره بقصر باردو رجعت الحضرة العلية ووزرائها وحاشيتها للسرايا الملكية بعد ان تصافحت مصافحة الكرام مع جناب الرئيس

اما ركاب فخامته فقد عاد للسفارة الفرنساوية مخترقا للصفوف بين هتاف الالوف



سراية السفارة العامة الفرنساوية بتونس

واعقب ذلك رجوع الخلايق الذين حشدوا بالمضمار للفرجة والاستعراض فعادوا للحاضرة ولاحوازها على طريق السكة الحديد حيث رتبت لهم شركة بون‌ڤالمة ارتالا سارت على التوالي لارجاعهم لتونس ومن هذه الارتال ما كان الركوب فيه مجانا وخاصا بالوفود الاهلية وجموع الطرق والمريدين

وعند زوال ذلك اليوم اعد فخامة رئيس الجمهورية مادبة كبرى بقصر السفارة الفرنساوية اكراما لسمو الحضرة العلية حضرها بالاستدعاء كافة الوزراء والذوات والاعيان فجلس بصدارة المائدة من احدى جهتيها

فخامة الرئيس وقابله بصدارة الجهة الاخرى سمو الحضرة الملكية وجلس الى يمين فخامة الرئيس

جناب الجنرال بو قائد الاسطول الانكليزي

جناب مسيو كوشري الوزير الاسبق

جناب الجنرال بيستور قائد جيش الاحتلال

جناب البرنس سيدي المنصف باي

جناب مسيو روا الوزير المفوض والكاتب العام للعدلية

جناب مسيو انيوناكيس قنصل اليونان

جناب مسيو ديبورت كاهية السفارة الفرنساوية

جناب مسيو مولو رئيس البعثة المالية

جناب مسيو ده فاج مدير الاشغال العامة

جناب الكولنيل سولي

القبطان البحري ريكل

السيد محمد الفوراتي كاتب القسم الاهلي من مجلس الشورى

القبطان البحري موتيز

مسيو دوفو العضو بمجلس الشورى

اليتنان دوفان فولدين من ضباط البحر

الكولنيل هيلو من رجال الحاشية الرئيسية

القبطان جوان معين المقيم العام

القبطان اروكس

مسيو دلكاسي نجل وزير البحر

مسيو اندري فليار نجل فخامة رئيس الجمهورية

وجلس الى يسار فخامة الرئيس

جناب مسيو دلكاسي وزير البحر

جناب مسيو الابتيت الوزير المقيم العام

جناب القبطان مركيس كمندان الدارعة الاسبنيولية

جناب مسيو رمندوباش كاتب قصر الرئاسة

جناب سيدي الطيب الجلولي وزير القلم

جناب الجنرال ترومليت من امراء جيش الاحتلال

جناب الكونت لوكهوليتي

جناب مسيو دوماس رئيس المحكمة الفرنساوية بتونس

جناب الكولنيل ريفرتيكات

جناب مسيو بربرات مدير البوسطة والتلغراف

حناب الكولنيل توبان

جناب مسيو لوجون مدير الفلاحة والتجارة

جناب مسيو كرانصي كاهية ادارة المال

القبطان البحري فان لوجي

جناب مسيو دوجان الكاتب الثاني بالسفارة

جناب السيد احمد السني صاحب الطابع

جناب الفريق فلنسي مدير التشريفات

جناب السيد عزوز بن عيسى امير لواء العسة المصونة

جناب السيد مصطفى دنقزلي عامل الاحواز

الملازم البحري معين قائد الاسطول الفرنساوي بالبحر المتوسط

مسيو ثيولو

اما الحضرة العلية فجلس عن يمينها

جناب مسيو بامس وزير الفلاحة

جناب الاميرال بيلو قائد اسطول فرنسا بالبحر المتوسط

جناب مسيو بوتزيني قنصل جنرال ايطاليا

جناب مسيو بيركلي قنصل جنرال انكلتيرة

جناب مسيو ماسياس قنصل جنرال اسبانيا

جناب الاميرال كاشار

جناب القبطان البحري هوار من ضباط الاسطول الانكليزي

جناب مسيو تريلات مدير شركة بون قالمة

جناب مسيو مولا مدير التشريفات الرئيسية

جناب مسيو شرليتي مدير العلوم والمعارف

مسيو فانتيل

مسيو بروست كاهية المجلس البلدي

مسيو فيسي كاهية وكيل الجمهورية

مسيو بونيون

مسيو ريفيل

الضابط البحري ثاني معيني الاميرال الانكليزي

مسيو مارك فارين رئيس ديوان الكتابة الخاصة بقصر الرئاسة

القبطان بوا معين المقيم العام

وجلس عن يسار سموها

جناب مسيو شومي الكاهية الوزيري بالبوسطة والتلغراف
جناب الجنرال بايو قائد الفيلق التاسع عشر بالجزاير
جناب الجنرال شايبي من امراء جيش الاحتلال
جناب سيدي يوسف جعيط الوزير الاكبر
جناب الاميرال لوكوف قائد اسطول بنزرت
جناب مسيو فان شربنزل ثيم
جناب مسيو مورو
جناب مسيو مونيس نجل رئيس الوزارة بفرنسا
جناب الكونت فون هردنبرغ قنصل جنرال المانيا
جناب مسيو سيري كاتب مجلس الشورى
جناب الكولنيل ده بويار
جناب مسيو بلان الكاتب العام
جناب مسيو بوسنبيار
جناب مسيو سير المراقب المدني بتونس
جناب امير اللواء السيد الصادق غيلب شيخ المدينة
جناب مسيو سان روماس
جناب الحكيم ريكار طبيب فخامة رئيس الجمهورية
جناب الكلونيل قيز من ضباط الحاشية الرئيسية
جناب الكمندان تيسون
جناب مسيو بيو باش كاتب السفارة الفرنساوية

جناب مسيو لاكوركيت

وكان مجلس الطعام بالغا للنهاية في المؤانسة والمنادمة وموسوما بشعائر الوداد ومظاهر السرور وكانت المائدة بدعة في الحسن والجمال مزدانة بالرياحين وصحونها واوعيتها من تحائف معامل الخزف بسيفر ذات الشهرة المطبقة باروبا وكان الملاعق والشوك والسكاكين من الفضة وهذه الادوات التي هي من مستملكات رئاسة الجمهورية جلبت كلها من باريس للمبالغة في مكارمة الحضرة العلية وبقية المعزومين للفطور وفي آخره القى المقام الملوكي بلسان جناب وزير القلم الخطاب العظيم الاتي نصه

اني اعد نفسي اليوم سعيد الحظ بالتمكن من الاعراب لفخامتكم عن السرور البليغ الذي دخلني والذي تشاركني فيه امتي بمناسبة اقتبالنا بهذه الارض التونسية للجناب المفخم رئيس الجمهورية الفرنساوية ذلك الرجل العظيم والموقر الذي يمثل بافخر اسلوب الامة النبيلة الحامية

هذا وقد ارادت فخامتكم ان تقيم بهذا القطر شاهدا لا نزاع فيه على العناية التي ما برحت الدولة الفرنسوية منذ ثلاثين سنة تبديها نحو هذه الديار وتعضد بها سيرها في سبيل الرقي والمدنية

وان جنابكم الذي سيتجول باطراف هذه الايالة وسيتقدم في رحلته لجهاتها القاصية الواقعة على ابواب الصحراء سيمكنه اثناء حلول فخامتكم بين اظهر الاقوام التونسية المتعلقين بارضهم والمتحدين في حب وطنهم بالرغم عن اختلاف عناصرهم مشاهدة التقدم العظيم الذي حصل بعد انتصاب الحماية الفرنسوية

وان فرانسا التي لم يسمح رايها السديد وخبرتها الكبيرة بمعاكسة نهوض الامة المحمية قد اخذت على نفسها توسيع نطاق قوتها الاقتصادية والعقلية بواسطة اجراآت تدريجية لاصلاحات وضعت بعد تامل دقيق وقد كانت الغاية المحمودة الناتجة عن ذلك المسلك الرشيد اوضح شاهد على ان تلك المجهودات وذلك التاني كانت مكللة بالنجاح الباهر

وان بيتنا الحسيني يرى من الشرف مشاركته بالقلب في هذا المشروع العظيم

اما انا فيروق لي ان امنح مساعدتي بدون استثناء لعمدة الدولة الجمهورية الذي هو محل اعزازي وانتهز هذه الفرصة الثمينة لنكرر مباشرة لفخامة رئيس الدولة الفرنسوية عهود الصداقة والاخلاص التي كنت صرحت بها لجنابكم عند جلوسي على كرسي الملك الحسيني

ولما فرغ سمو الملك المعظم من خطابه نهض جناب الوزير المقيم العام والقى ترجمته الى اللغة الفرنسوية ثم قال

يا سيدي رئيس الجمهورية

اني سعيد الحظ بما لقيته على مسامعكم من ترجمة عبارات التحية والتهنئة التي خاطبتكم بها الحضرة العلية ولاشك ان شعائر الصداقة والاخلاص التي برهن عنها سموها لجديرة بامتناني حيث كنت انا المعتمد للدولة الجمهورية لدى مقامه العالي

ان الحضرة العلية لم تضن علينا ابدا بمساعدتها التي هي ثمرة رايها المستنير وان اتساع مكارمها القلبية لا يضاهيها إلّا مقدار حبها في العدل والانصاف وهذه المناقب الغريزية املاها على سموه مجرد حبه للخير

ومساعدته من تلقاء نفسه على تعضيد مشروعنا بما عنده من السلطة العالية والمطاعة لتاييد صنيع التقدمات المادية والادبية بهذه الديار التونسية

وقد امكن بفضل تلك الاعانة الاستمرار بدون مصادمة ولكن بغير عجز على المشروع الطويل الذيل الذي وقع القيام به في ظل الدولة الفرنسوية تحت نظر وزرائها للخارجية ذوي الراي السديد بواسطة اسلافي في خطة السفارة بتونس الذين من اعظمهم قدرا آخرهم عهدا ذلك الذي امكنه ان يستخلص من خلال تجربته السياسية التي دامت ربع قرن القاعدة التي من شانها تخويل دولة الحماية كامل سطوتها ونعومتها ولياقتها وكم من حسنات يمكننا اليوم ذكرها زيادة على تلك التي كان صرح بها في هذه الدار نفسها جناب مسيو بيشون الوزير المقيم كان بين يدي فخامة مسيو لوبي رئيس الجمهورية السابق عند زيارته لتونس في سنة ١٩٠٣ فالمراسي البحرية اخذت حظها من التوسيع والطرقات العمومية والسكك الحديدية تطاول شريطها بفضل ما توفقنا له من استعمال اموالنا على ما يرضي مجلس الامة الفرنسوي

والحق يقال ان الفضل في انجاز هذا الترقي العاجل انما هو ثمرة الاتحاد البالغ حده الحاصل بين متوظفينا الذين هم من خيرة المامورين لان رؤساء ادارتنا ممن تغتبطنا فيهم اغنى الدول ذات الطموح الكبير نحو المعالي ونواب المعمرين الفرنسويين بالمجالس البلدية وبالحجرات الانتخابية وبمجلس الشورى بل وهذه الجمعية بقسميها قد برهنوا اثناء شهر نوفمبر الفارط على حبهم في الاعمال النافعة ذات الخيرات الوفيرة وعلى مزيد تعلقهم

ووفاقهم وهو الامر الذي اشار له مسيو سيري كاتب القسم الفرنسوي بمجلس الشورى في خطابه ببنزرت ذلك الخطاب الذي تمحض غيرة ووطنية

هذا وقد شاهدت فخامتكم بالامس قيمة المجهودات الفرنسوية في حوزة الدفاع عن الاوطان اما الجهات التي مر بها ركابكم بعد مبارحته لثغر بنزرت المنيع والجهات التي ستشرفونها بحضوركم بعد فانها تنادي بلسان آخر وبمعاني اخرى ناطقة بتوفيق الجنس الفرنسوي وجدارته باحياء واعلاء بيارق السلام فوق هذه الربوع الرومانية فالفرنسويون اصلحوا على التوالي كل ما افسدته يد الهمجية في الاجيال الخالية وقد اصبحوا بفضل مثافنتهم على العمل مثافنة تكاد تكون عنادا على مقدرة من تدليل نواصي العزلة ومن التغلب على تاثير الحوادث الجوية مع سلوكهم باهالي هذا القطر مسلكا محمودا حيث توافرت في البلاد الخيرات وامتدت الطرقات وسهلت القطارات الحديدية على السكان وسائل النقل والبيع والشراء بحيث ان العنصر الاهلي قد انفك قيد سباته واستسلامه لانه سارت فيه عدوى روح العمل فآل امره لتحسين حالته المادية

والعمارات الزراعية الفرنسوية المزدانة بالبساتين البديعة والحدائق النضرة قد عمل المحراث في اعماق ارضها ما جعلها راموزا وحديثا لذيذا

فالمعمرون قد احيوا الارض وقطعوا الصخور وازالوا الادغال النباتية التي سمحت ببقائها سذاجة اهالي العصور القديمة لذلك اصبحوا متغلبين على الزمان يمثلون معنى الاقتدار على بلوغ المراد ولاجله سيكون حصد اعمالنا خصيبا طافحا بالخيرات الشاملة لكافة هذا القطر فجزاء تلك

المجهودات المتولدة بفرنسا الزراعية التي اشتد ساعدها بالكد والجد وانتظمت احوالها بفضل التكاتف والتعاون هو ان الدولة تصرح بوجوب العناية الحثيثة تلقاء تلك المساعي الناشطة

وكما ان الكنوز المعدنية ظهرت ثمارها سريعا كذلك يلزم امداد اراضي الزراعة بالامور الفنية الصالحة لها وفي هذا المقام فان من اوكد اعمالنا تعضيد المصالح الخاصة بهذا الجانب على معنى توسيع نطاقها واكمال نصابه

واذا كانت المثافنة على العمل والشهامة كافيتين لاقامة الادلة فان لنا في صنيع الفرنسويين الضاربين بهذه الديار ما يغني عن البحث لايجاد وسائط اخرى لتنشيط الهمم المتقاعسة ــ نعم ان درس الاشياء بالتجربة يستدعي زمانا طويلا ولذلك يلزم مخاطبة الناس من ابناء جيلنا الحاضر ثم الذين سيكونون رجال الاستقبال بان نشرح لهم ما هي اعمالنا بهذا القطر وما هو وجه وجودنا فيه والذي يظهر لي انه قد اتى الزمان الذي سيمكنهم من فهم كلامنا لان مقصدنا لا يحوم حول الاستحواذ على الناس بطرق القهر لردهم عن معتقداتهم وحملهم على التمذهب بفلسفتنا وعلى تقدير ن تسامحنا لم يحكم علينا باحترام كل ما يمس باعمال القلوب فان لنا في ترقياتنا العلمية ما يكفي للدلالة على بطء السير في تقلبات ادوارها ولا شك اننا ممن يفتخر بقوته العلمية ولا يرضى إلّا السير على قواعدها وحينئذ فلا نبتغي من العنصر الاهلي إلّا مجرد اعتناقه لمذهب الاقتصاد لان المزاحمة الاروباوية التي تنشا عنها خيرات كثيرة هي ايضا ذات اخطار لا تنكر فاليد العاملة والالات الاروباوية ربما تنذر المتقاعسين والمتقاعدين عن

السير في سبلها باخراجهم عن جادة الحضارة واذاك يفوتهم ادراك القافلة وليس مرادنا ان تكون دية الترقيات العامة هي رجوع الضعيف بالخيبة لان السياسة التي ترمي لمصادرة العنصر الاهلي قد انطوت ايامها وعلى تقدير ان البعض لم يزل عاملا بها فان تلك احلام زمان مضى واسلوب انقضى لاجرم انه ليس مقصودنا تاسيس السيادة الفرنسوية فيما وراء البحور بالحروب الصليبية وبامتلاك الرقاب لان فرنسا الجمهورية باعتمادها على سطوتها وعلى حقوقها تابى الضغط والحقد على الناس ولا تسمح لاعوانها الموتمنين على سلطتها بان ينسوا ما على الامه الحامية من الوجبات

وليس لفرنسا الجمهورية ساحة افسح مما لها من النشاط والعناية بالتربية الاقتصادية فلذلك نفتخر اليوم يافخامة الرئيس بعرض مقدمات عملنا على نظركم السديد

سلكنا بالتعليم مسلك محاذاة ضروريات الحياة فجعلنا مشروعه رابطا المدرسة بالحياة ارتباط الحياة بالمدرسة كما اسسنا دراسة الصنائع والفلاحة بمشاركة جميع القوات الحية في هذه البلاد فذلك هو مقدمة اعمالنا ياحضرة الرئيس الفخيم

وسنسير على خطة مساعدة العنصر الاهلي واقناعه واعانته على مقاومة الاخطار المبيدة التي هي عثرة في سبيله فاطباءنا واعواننا للصحة ومستشفياتنا التي يديرها متوظفون فرنساويون انقطعوا بصفة عجيبة لخدمة الانسانية

اصبحوا من الد الخصوم للامراض الفاتكة بالضعفاء والمساكين وجمعياتنا الاحتياطية والتعاونية اصبحت بيد العنصر المذكور كسلاح للمقاومة والفرار من افتين مرعبتين قديمتين وهما الربا والجوع

وقد نتج عن هذا المسلك صيرورة المشاركة في العمل منهجا سياسيا بعد ان كانت حبرا على ورق وصار اسلوبهـا قاعدة ادبية لا نخشى معها شيئا وباعثا على احتقار السخريات

وعندنا في هذا المقام شاهد عدل وهو البرهان الساطع الذي جاءت به الحضرة العلية عند اجتماع العساكر الفرنساوية والتونسية في صعيد واحد واقتتالهم كتفا لكتف بالمغرب الاقصى في سبيل المدنية تحت العلم المثلث ولا شك ان صنيعهم قد افصح على شيء دونه الطاعة ودونه الشجاعة التي شربوا لبنها من ثدي واحد اذ هو يرمز لما لنا من حسن الاستقبال في ارض فرنسا الافريقية

واني التمس من فخامتكم ياسيدي الرئيس ان تاذنوا لي عند ختم خطابي هذا بان اعرب لجنابكم عما للمملكة التونسية من الامتنان اليكم لما تحفظتم لها من الذكرى المزدوجة بالعناية من حين زيارتكم القصيرة التي شرفتم بها الحاضرة لثمان سنوات فارطة

وان القطر التونسي عبارة عن مملكة صغيرة جدا واغلب سكانهـا فقراء لذلك كانت مظاهر اقتبالهم لفخامتكم مقرونة بالاحتشام فجنابكم لا يرى في رحلته هذه فخامة العواصم الاوروباوية الا انه لمـا كانت هذه

الديار في كنف حماية الدولة الفرنساوية التي يمثل جنابكم امتها قاطبة كما يمثل علو كعبها وانتصارها للضعيف ووثوقها بسلامة المستقبل الانساني قد مهدت فخامتكم المصاعب والمتاعب من كل نوع وجئتم الينا لزيارة هذه البلاد والارتحال حتى الى الجهات التي لم ترث نصيبها من المدنية لتقول لساكنيها في هذا الوقت الذي تم فيه سير الارتال الحديدية باهم اصقاعها ان الذكاء العلمي الفرنساوي لا ينفك ساهرا على مصالحها اما القطر التونسي فسيكون مفتخرا بالتشريك بين اسم جنابكم واسم طيب الذكر (جول فري) ورسمهما معا في جبين واجهة احدى مدارسنا الكبرى التي حكم نجاحها العاجل بانقسامها لمدرستين

وان المملكة التونسية تتحد معي بشراشر قلبها في هذا الوقت الذي حانت فيه نوبتي لرفع كاسي نيابة عن المعمرين الفرنساويين شاربا بكل احترام على سلامة فخامة رئيس الجمهورية

وعند ختام هذا الخطاب الانيق قام فخامة رئيس الجمهورية ونطق بالخطاب العظيم الاتي نصه

انه ليروق لي جدا ان اتشكر لحضرتكم العلية عن العبارات التي خاطبتموني بها وان الدولة الجمهورية تقبل بارتياح شعائر الصداقة والمودة التي افصحتم عنها كميثاق جديد وعزيز يبرهن عن الامان العظيم الرسوخ الذي يجمع البيت الحسيني السني والامة التونسية بالامة الحامية الفرنسوية

هذا وقد ترجم سموكم عما له من الاعتبار نحو المشروع العظيم الذي قامت به فرنسا ولذلك فان الدولة الجمهورية بما لها من الشعور والرغبة

في القيام بما عليها من الحقوق نحو هذا القطر الذي سلكت به سبيل الرقي والمدنية قد قدمت لصاحب المملكة التونسية في هذه الثلاثين سنة عربون الاخلاص الذي لا تنحل عراه وبرهنت عن حسن نيتها وصلوحية حمايتها فالمملكة التونسية قد اصبحت سائرة تحت كنف الدولة الفرنسوية في سبيل التقدم المتوافر الخيرات وسعيدة بفضائل آلاء العلم والعدل التي وقع بثها في ارجاء البلاد قاصيها ودانيها

ولا شك ان تلك النتائج الباهرة والجازمة هي ثمرة المساعدة الكاملة التي منحها سموكم وسلفه المقدس لعمدة الدولة الفرنسوية بتونس

وان اهتمام حضرتكم بسعادة رعاياكم التي ملكتم قلوبهم بالاحسان يمكن سموكم من الاعتماد على مساعدة الامة الحامية للاستمرار على السير بالاقوام التونسية في مدارج الاصلاح والتحسين

سادتي — ليس لنا بعد مرور ثلاثين سنة على مشروع الحماية الذي انتم امثل واخلص الناس اليه ان نقيم الدليل على لياقة اسلوبه وعلى فوائد تاثيره انما المراد ان نوكد على كل حال بان السياسة الجلية والصريحة التي فتحت فرنسا بابها في تونس لم يحم حولها تغيير قط وانها لجديرة بان تفتخر بهذا الرسوخ الموافق لمباديها ومقاصدها

اننا لم نجيء لهذه البلاد لاجلاء امة اجنبية احتلت من القديم ارضا خدت دورها من العظمة والانحطاط او لحمل اهلها على التمذهب بغير عقائدهم فقد راى الناس أن مشروعنا مبناه ليس السيف وانما مبناه السلام لذلك كنا نجتهد اليوم في توزيع المنافع بطريقة عادلة بين جميع الناس

وفي توفير نصيب من خيرات المدنية للاقوام التي لم تدركها قبل او لم تتوفر لديها عواملها وان هي اصبحت اليوم مشاربه لتلقف ثمارها

فمن ذا الذي ينكر الان ما حصل من احياء الارض الموات وجعلها صالحة للاثمار ومن اقامة الالات المتقنة للحرث مقام آلات اخنى عليها الدهر ومن تعويض المزارع الرحال بالمزارع القار الذي يسهر على سلامة مزارعه بعين الحارس الغيور على كنوزه ومن مد طرق المواصلات لكل جهة ومن نصب سكك الحديد للجمع بين تلك الجهات ولتنمية علائقها مع بعضها ومن فتح المراسي للتجارة مع الامم الاخرى واستدرار الاموال بالبيع والشراء معها ومن ذا الذي ينكر ايضا ان من البحر الى تخوم الصحراء قد اصبحت البلاد تزخر بالخيور كالبحور بعد ان كان الفقر حليفها والجوع اليفها مدة قرون متعاقبة

ان هذا المشروع الذي سيخلد في بطن التاريخ اسم طيب الذكر جول فري لجدير بتحريك شاهية امة عظمى ولقد قامت به فرنسا بشجاعة عظيمة كما سلكت به مسلك التبصر والثبات واستعانت عليه بحكمتها وبتوكيل الامور لاوقاتها لانه بدون الاتكال على الزمان لا يتم شيء متين ومستديم

ففرنسا والحالة هذه لها امان في قوة هذه العبرة وفي سلطان الحق مما يحملها على الاستمرار في السير بالناس نحو مدارك العرفان سيرا تقدر الاجيال القابلة منافعه العميمة

ومن الوهم ان يظن ان مجرد حكم اداري او قرار ترتيبي تحصل به المساواة بين الناس ولكن لما كان تفاوتهم في الدرجات بحكم الاقدار فعلى اهل المنازل العالية ان يتعطفوا نحو اهل الطبقات التي دونهم وان يمدوا لهم يد المساعدة ليكون ترفعهم عليهم مبنيا على مجرد الاحسان الذي ينجر منهم لتلك الطبقات وفي هذا المقام يلزم ان يكون مجهودنا منصرفا دائما نحو تقريب العنصر الاهلي من عنصر الاستعمار

فالاهلي كان وبقي محل عنايتنا على الدوام ومن الواجب في كل حال ان لا يفشل احد في استعمال الشدة نحوه كنحو بقية الناس لحملهم على الخضوع للقوانين والطاعة للحكومة ولكن هناك امرين لا يجوز نسيانهما تلقاء الخضوع الاختياري وهما الرفق الجالب للنفس والعدل الجالب للامان عند ما يذوق المرء لذته او يشاهد شعشعة نوره

فهذا هو مسلك ادارة الحماية التي هي على بينة من خطتها ومن واجباتها في مشروع مدنيتها بهذا القطر وهذا هو راي اعوانها من ارفعهم شانا لاقلهم مقاما حيثما كانوا بخطة دولية بل وهذا هو الذي يحكم به على كل من يحيد عن الطريق السوي ذلك الرجل العظيم الذي بيده زمام الحماية ومقاليد الامر والمحرز على كامل ثقة دولة الجمهورية وهو نفس مفهوم مجلس الشوري على ما حققه لي امس بينزرت احد كتبتها في خطاب بليغ ولا شك ان هذا المجلس المختار حيث ملتقى اهل المدارك والاراء المؤتلفة مع اهل الخبرة والمواهب الصالحة لا يعبا بالمتاعب في خدمة البلاد

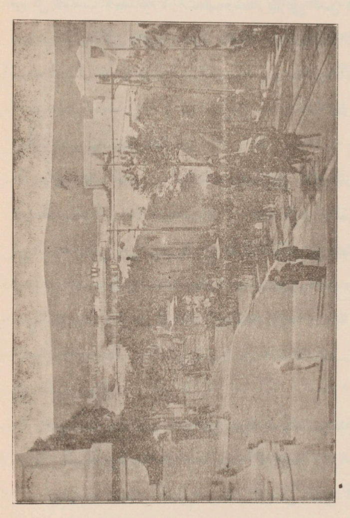
لان استقلاليته واخلاصه في مصلحة المجموع يعطيان لارايه ولرغـائبه قوة لامحيد عن اعتبارها في ميزان المصالح العالية التي تهم البلاد والعباد فلكافة الذين شاركوا في المشروع العظيم الذي نحن بصدده اهدي ثنـاء وهنـاء دولة الجمهورية كما اهديهما للمعمرين الفرنسويين والتونسيين والاجانب من كل الطبقات الاجتماعية لان نشاطهم ومثـابرتهم على العمل بالرغم عن المصاعب المتنوعة التي يلاقونها هما راس الثروة ولان العواطف التي نبديها لهم تحرك فينا داعية الافتخار بالحمية الجنسية حيث نشاهد مساعدتهم على تدعيم هيكل الحماية في ظـل الراية الفرنساوية ذلك الامر الذى ينـادي بتعاظم شانهم في مستقبل الازمان

وان ايتلاف العنصرين الفرنساوي والتـونسي بهـذه الارض التي تجددت بهجتها امام انظارنا في هذه الثلاثين سنة لم يكن بالعقيم تلقـاء غيرتنا الوطنية التي يحق لها ان تنشرح لتعارف الجيلين على صعيد واحـد في مدارسنا حيث تعلموا التعاضد وعقدوا عليه الخناصر ويا للفرح يوم راينا نحن تسابق ابناء تونس من كل الاجناس والعناصر لمزاحمة عساكرنا في ميدان الشجاعة والنزال بالمغرب الاقصى يقاتلون معهم كتفا لكتف في مواطن كان الشرف حليفها

وفي الختام ارفع كاسي شاربا على سعادة المملكة التونسية ومـازجا الدعاء بالخير للمعمرين وللاهالي جميعا وداعيا بالعز للحماية وبنجاح مستقبلها

وبختام هذا الخطاب العظيم صدحت الموسيقى بالنشيد الفرنساوي

ثم بالسلام الملوكي ثم بعد ان دارت فناجين القهوة والمرطبات على الحاضرين انفصل الموكب فتوادع فخامة الرئيس والحضرة العلية وعاد الركاب الملوكى لسراية القصباء



موكب الحضرة العلية بشوارع تونس

واما فخامة الرئيس فقد ركب مع وزرائه وبعض حاشيته عربات سيارة وخرج بصفة غير رسمية على الساعة الثالثة لزيارة المناظر والمواقع الجميلة بجهات قرطجنة وجبل المنار والمرسى فحل ركابه اولا بقرطجنة حيث زار متحف كنيسة سان لويس وكان في استقباله هنالك الرهبان من طغمة الاباء البيض يتقدمهم كبير الدير دلاتر وهو من علماء الارخيلوخيا اي طبقات الارض ووكيل المتحف المذكور فكان بالطبع دليل فخامته في تلك الزيارة التي شاهد اثناءها تلك الكنوز الاثرية المستخرجة من بطون ارض قرطجنة نفسها بفضل الثاقفة والحزم والثبات الذي ابداه اولئك الآباء البيض من حين تاسيس طغمتهم بعناية الكردينال لافيجري الى هـذا اليوم فاستفاد فخامة الزائر الكريم من مجموعة تلك الاثار التي امكن بواسطتها ضبط سائر اطوار المدنيات التي اجتازتها مدينة قرطجنة حول العصور

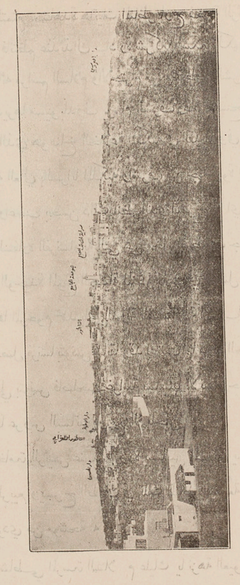
ومعلوم ان قرطجنة بنيت على عهد الرومان ودمرت اولا قبل الاسلام ثم ثانيا عند الفتح العربي وبقيت على حالة الخراب نحو اثنى عشر قرنا ثم اقامت فرنسا فوق اطلالها كنيسة على عهد المرحوم حسين باي احياء لذكر الملك سان لويس الذي جاء لغزو تونس على عهد الدولة الحفصية اي قبل عصرنا هذا باكثر من ٦٥٠ سنة

واخيرا احياها الوزير مصطفى خزندار اواسط القرن الفايت اذ اقام بها مركزا للاصطياف وازدادت شهرتها واتسعت عمارتها بعد الحماية باقامة المباني الجميلة والمنتزهات والبساتين النضرة التي منها دوار الشط وصلنبع ودرمش وسانت مونيك الخ

هذا وبعد زيارة قرطجنة توجه الركاب الرئيسى قاصداً جبل المنار حيث مناخ خلاعة اهل تونس فارتقى الى البلد من الطريق الجديد ونزل قرب سراية جناب مسيو بلان كاتب الدولة العام المطلة على شاطي كرسي الصلاح واذاك تحادث فخامته مع جناب الوزير المقيم عن اهمية ذلك الموقع العزيز النظير وسرح طرف الطرف في هاتيك المناظر الجميلة وكانت البلدة عندئذ لابسة ثوب الافراح ومجلسها البلدي وقاضيها الشرعى وشيخ زاويتها على قدم وساق احتفالا بالزائر الكريم والرئيس الفخيم وفيما كان فخامته قادمـا اليها مر تحت انظاره بالطريق جم غفير من جمـوع طرق الذكر والمريدين يتقدمهم شيخ شيوخ الطريقة الرحمانية

اما جبل المنار فهو كما قدمنا مناخ خلاعة اهل تونس واقدم مراكز الاصطياف نشا اثناء المائة السابعة وموقعه وحيد في بابه سمعنا من السواحين الثقات الذين طافوا بلاد البحر المتوسط في الطول والعرض ان جمال موقعه لم تر العينان قط نظيره ببلاد اخرى فهو حينئذ الفاضل وما سواه المـفضول والى حسن منارته يشير الاستاذ الاكبر شيخ شيوخنا مولانا الشيخ سالم بوحاجب بارك الله في انفاسه

وبالنـاظور اشعـار بجود لان به مقام ابي سعيد



منظر من بلد جبل المنار باحواز تونس

ثم بعد التمتع بمشاهدة هاتيك المناظر بارح فخامة الرئيس جبل المنار وقصد المرسى فانتظم عندئذاك بـادارة شركة السكة الكهربـائية موكب جميل تلقى اثنائه مراسم السلام والاحترام من متوظفي الشركة ثم انعم فخامته على مديرها مسيو بلدوف بوسام الشرف وعاد للتفسح في اجراء هذا البلد الجميل الذي هو مناخ الخلاعة الملكية في القديم وفي الحديث وبعد ان اجتاز ركابه العالي بالسرايا الملكية واشرف من جهة قهوة الصفصاف على ساحل البحر واعجب بحسن ذلك المنظر الذي انشرح له اي انشراح قصد ركابه سراية السفارة الفرنساوية التي هي محل اصطياف جناب المقيم العام وهذه السرايا الوحيدة الموقع الجميلة المنظر كانت في الاصل من السرايات الملكية فاهداها المرحوم محمد باي للدولة الفرنساوية اكرامـا لحبيبه مسيو ليون روش قنصل فرنسا بتونس سابقا وقد اعتنت بها دولة الحماية على عهد وزارة مسيو ملي بتونس فاصلحت غراسة بساتينها الانيقة وحسنت عمارتهـا لدرجة جعلتها عروس البساتين ومجمع الرياحين

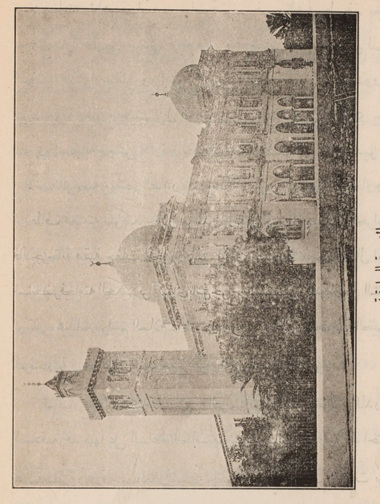
وكان فخامة الرئيس عنـد مروره ببساتين المـكان يستنشق رايحة الزهر وهواء الربيع ويسرح الطرف في تلك المناظر البديعة ــ قال الشيخ الباجي المسعودي من موشحة له

يـا شاطـي المرسة السلا م عليك يا نزهة العيون

هذا وبعد ان زار فخامته قصر السفارة بالمرسى وتناول قهوة الاكرام من يد جناب الوزير المقيم وزوجته الكريمة ركب رجال الموكب سياراتهم

وعاد فخامته واباهم قاصدين حاضرة تونس فمر ركابه في طريقه بجهات سيدي داود فطريق سيدي فرج فالعوينة فطريق تونس الموصل لباب الخضراء فالشوارع التي وراء سور الحاضرة فبطحاء باب ابي سعدون فباب حومة العلوج حيث نزل فخامته ودخل المستشفى الفرنساوي حيث كان في استقباله مجلس ادارته يتقدمهم جناب الكاتب العام مسيو بلان بملابسه الرسمية موشح الصدر بالشريط الاكبر من نيشان الافتخار وبعد ان طاف فخامته بموكبه خلال مراقد المارستان فبيت العمليات الجراحية فالاجزخانة فبقية جهات المحل وكانت آية في حسن التنسيق وجمال المنظر استحضر فخامته الحكيم برا كهواي باش جراح بالمستشفى وقلده وسام الشرف ثم تلقى هنالك مراسم السلام والاحترام من مجلس الجمعية الخيرية الفرنساوية وانعم على رئيسها مسيو كورتلان بالوسام المذكور

ثم بارح موكبه المستشفى الفرنساوي وقصد فخامته المدرسة الصادقية فدخلها على الساعة الخامسة مساء وكانت المدرسة قد اخذت اهبتها لتلقي زيارة جنابه ولبست اجمل حلة فكانت شرافات بهوها الكبير وارقتها مزينة افخر زينة تاخذ بمجامع القلوب وكان مدير المدرسة ومعلموها على قدم وساق وتلاميذها قد اخذوا مواقفهم بكل انتظام فكان لمجموعهم ببزتهم العربية الممتزجة بجمال الطلعة وطلاقة الوجه بدون تكلف منظر يستحسنه كل ذي ذوق سليم



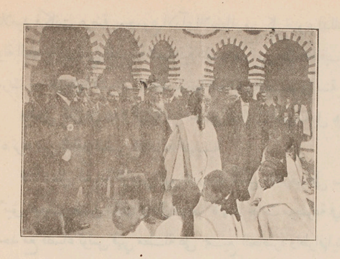
المدرسة الصادقية

ومن المعلوم ان المدرسة الصادقية احدثها الوزير الخطير خير الدين التونسي سنة ١٢٩٢ وخصص في البدء لانتصابها قشلة الزنايدية وهي بناية لم يكن القصد من تاسيسها لتكون مدرسة عمومية سيما وانها واقعة في قلب احدى الحارات الكثيرة العمران زيادة على تضايقها بالنسبة لعدد ساكنيها من

التلاميذ فكانت عرضة بمجموع الآراء للاخطار من كل نوع لذلك رات دولة الحماية ان تبني المدرسة الصادقية لنفسها مقرا من مال اوقافها الذي عمرت به خزينتها فشيدت لذلك بنايتها الحالية وانتصبت بها سنة ١٣١٥

والحق يقال ان هذه البناية من احسن البنايات العمومية بل هي اجمل بناء تراه عين الناقد الخبير بالعاصمة التونسية

فلما دخل فخامة الرئيس لبهو المدرسة الكبير المشرف على بستانها الانيق اعجب بحسن شكلها وجمال موقعها لانها جاءت موضوعة في صعيد واحد مع قصباء تونس فهي مطلة على جميع الحاضرة واطرافها يتخللها الهواء النقي في كل صباح وعشي ولدى حلول فخامته بالمدرسة استقبله كل من جناب الوزير المفوض مسيو روا الكاتب العام للامور العدلية وجناب مسيو شرليتي مدير العلوم والمعارف فقدم له جناب مدير العلوم متوظفي المدرسة مبتدئا بمديرها المستعرب الاستاذ الكبير مسيو دلماس فصافحه فخامته مصافحة الكرام ثم تعرف فخامته بالشيخ محمد بن شعبان امام المدرسة وحياه وبش في وجهه ثم صافح الاستاذ الشيخ الطاهر بن عاشور فالاستاذ الشيخ حسين بن الخوجه فالاستاذ الشيخ الصادق بن القاضي فبقية الاساتذة فالمعلمين فوكيل الوقف فالعدول فالمامورين باقلام الخدمة ثم تقدم الموكب نحو صفوف التلاميذ فاعجب فخامته بانتظامهم وببزتهم التونسية واذاك تقدم احد نجبائهم وهو التلميذ سي صالح مزالي المنستيري والقى على مسامعه الخطاب الاتي باللسان الفرنساوي الفصيح



التلميذ سي صالح مزالي يخطب بين يدي رئيس الجمهورية

يا سيدي رئيس الجمهورية

انه بالنيابة عن تلاميذ المدرسة الصادقية اتشرف جدا بتقديم سلامنا واحترامنا وبتهنئتكم بالقدوم المبارك ـ هذا وان حظوركم بيننا تطاولت به اعناقنا واكسبنا فخرا ولا شك ان زيارتكم هذه تدل على ما لفرنسا العظيمة من العناية بهذا القطر الذي احيته بمساعدتها ولكن من واجبنا بالخصوص يا سيدي الرئيس ان نتشكر اليكم عن تشريفكم لمدرستنا لان زيارتكم الينا فيها برهان نفيس على ما لفخامتكم من العناية بالناشئة التونسية وباعث على تنشيط هممنا للاقبال بجزم وعزم على التعلم والشرب من منهل العلوم التي اصبح موردها بكرمكم طافحا لدينا

ولا شك ان هذا المسلك هو المنهج الوحيد لتحقيق نجاحنا وتقديمنا لمصاف الرجال النافعين لبلادهم والجديرين بالنصايح التي تهيأهم لنوال

تلك الصفات وبالتاخي والتوادد مع الامة العظيمة التي اخذت بلادنا في كنف حمايتها وهو كنف يا سعد من دخل في حماه

هذا وانا نتقدم بعبارات الشكر والامتنان للدولة الفرنساوية ولذاتكم الشريفة ونلتمس من فخامتكم في هذا اليوم المشهود ان تتكرموا بقبول هذه الباقة من الزهور اكراما واحتراما واعزازا من تلامذة المدرسة الصادقية اه

واذاك تقدم النجيب التلميذ سي اسكندر حيدر حفيد المرحوم سيدي محمد الهادي باي ودفع لفخامة الرئيس تلك الباقة الجميلة المشار اليها في خطاب رفيقه. فاخذها الرئيس وعلائم البشر بادية على محياه وافصح للتلميذ الخطيب ولبقية التلاميذ عما يتمنى لهم من الخير والسعادة وحثهم جميعا على التعلم والقراءة وعلى مزاولة اللغة الفرنساوية بكل جد واجتهاد ثم قال فخامته « انا جئنا هذه الارض لنغرس محبتنا في قلوب اهاليها ـ اما انا فسابقى متحفظا على ودكم ولا انساكم بعد اليوم ورجاءي انكم تقابلون ذلك بالمثل فتجعلون نصب اعينكم حب فرنسا التي تحبكم كثيرا والتي ساصدع فيها عند الرجوع اليها بما شاهدت هنا من الادلة الناطقة بسلامة الاستقبال »

ثم ان فخامته تقدم لصف رفعاء الشبان ابناء الامراء الحسينيين وكانوا نحو العشرة وقصد بالخطاب البرنس الاسعد الانجب سيدي محمد باي رابع انجال الحضرة العلية البالغ سنه للثالثة عشر من عمره فحثه على الاقبال على العلم وهناه وهنى بقية البرنسات المزاولين للعلوم بالمدرسة بما حصلوا عليه من الترقي بعناية صاحب السمو والدهم الكريم الذي قصد بتعليمهم التدرج بهم في مدارج الكمال وبعد ان صافحهم واحدا واحدا واثنى على اهتمام المستعرب الكبير مدير المدرسة جناب مسيو دلماس

استحضر لديه نخبة من الاعيان كان وقع استدعاءهم للحضور بتلك الحفلة وقلدهم بيده على رؤس الاشهاد وسام الشرف وهناهم بذلك مباشرة فاحسن بالرتبة الثالثة ترفيعا

للسيد محمد القروي رئيس خزنة المكاتيب العامة بالدولة التونسية

وللسيد مصطفى دنقزلي عامل احواز الحاضرة

واحسن بالرتبة الرابعة

للسيد علي بن مصطفى رئيس القسم الاول بالوزارة الكبرى

وللسيد محمد بن الخوجة رئيس قسم المحاسبة بالكتابة العامة

وللسيد عبد الجليل الزاوش العضو بمجلس الشورى

وللسيد خير الله بن مصطفى المترجم المحلف بالمجلس المختلط

وللمسيو فيتوسى العضو بمجلس الشورى

وللسيد الكيلاني شلبي العضو بالمجلس البلدي

وللسيد محمد الفوراتي العضو بمجلس الشورى

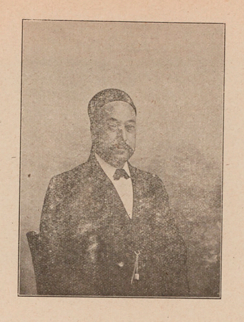
وكان فخامته عندما يوشح صدر كل واحد منهم بالنيشان المختص به يلاطفه بجميل القول فمن ذلك قوله لهذا العبد صاحب هذه الرحلة « انك تحمل شعار العلم فلتحمل معه الآن شعار الشرف » وقوله لصاحبنا عامل الاحواز « نرفع قدرك في مدارج الشرف لانك خليق بذلك واني لم ازل على ذكر من الليلة الانسة التي حضرتها بدارك سنة ١٩٠٣ ـ اما سهرية هذه الليلة التي ستفتحون لها ابواب داركم فانه يحول دون مجيئي اليها وجوب حضوري بالمادبة الملكية التي ستقيمها الحضرة العلية هذا المساء » الى غير ذلك من العبارات والمجاملات التي اثلجت صدور الجميع



السيد محمد القروي رئيس الخزنة العامة



السيد محمد بن الخوجة رئيس قسم المحاسبة

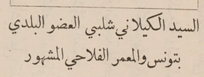


السيد علي بن مصطفى رئيس القسم الاول بالوزارة

هذا وقد هنى بعض الادباء هولاء الاعيان بابيات نصها

رئيس الخزنة القروي يهنا	باوفسيي اجيون دنور
وذنفزلي عاملنا النشيط	يهنى مثله بنمو نور
وبالشفلي يهنا الشيخ عالي	وزاوش ويصحب بالسرور
وكاتب قطرنا الخوجي يهنا	بذا النيشان اكليل الصدور
وخير الله والفوراتي ايضا	نهنيهم وفيتوسي بالكثير
وبالكيلاني نختم ذي التهاني	وندعو للجميع الى النشور

وكان هذا الانعام من فخامته بتسعة نياشين في مجلس واحد على نخبة من الاهالي محل الشكر العميم لانه اقام بذلك دليلا على تقدير الدولة لمزايا المخلصين في خدمة الحماية سواء كانوا من المامورين او من غيرهم

السيد الكيلاني شلبي العضو البلدي
بتونس والمعمر الفلاحي المشهور



السيد عبد الجليل الزاوش العضو بمجلس
الشورى وعميد النشاة التونسية



المسيو فيتوسي العضو بمجلس الشورى
والمحامي المشهور

وقبل ان يبارح فخامته المدرسة الصادقية تلقى جنابه بها مراسم السلام والاحترام من مجلس الجمعية الخلدونية واستعلم من رئيسها السيد عبد الجليل الزاوش عن كيفية نظامها وسير التعليم بها ثم اثنى على همة الفضلاء الذين اسسوا مشروعها بمساعدة الدولة الحامية وتكرم على صندوق الجمعية بالف فرنك اعانة لها على القيام بشؤنها العلمية

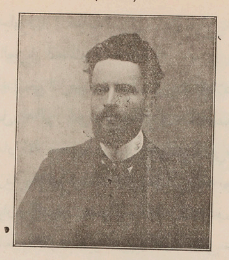
ثم بارح موكبه المدرسة وقصد المستشفى الصادقي ونزل فخامته من عربته على رصيف بطحاء القصباء وسار وحاشيته على القدم مخترقا لصفوف العساكر وكانت واجهة المستشفى ومحلاته مزدانه بالرايات الفرنساوية والتونسية وشعار الافراح وهذا المستشفى الذي اصبح محل عناية جناب الكاتب العام للامور الادارية من تاسيسات الوزير خير الدين الّا ان انتصابه لم يتم الّا في سنة ١٢٩٦ وقد اقيم بقشلة البشامقية فدخله فخامة الرئيس مصحوبا بالكاتب العام المذكور وكان هنالك لاستقباله مجلس ادارة المستشفى يتقدمهم جناب مسيو فلوري كاهية الكتابة العامة يعضده شيخ المدينة ورئيس جمعية الاوقاف وبقية اعضاء المجلس واذاك طاف فخامة الرئيس بمحلات المستشفى واعجب بانتظام اموره ونظافة قاعاته وتمام عدة قاعة الجراحة واستكمال نصاب عقاقريته فاثنى على همة وبراعة مديره الباش حكيم برنصفيك ثم احسن له بوسام العلوم من الدرجة الاولى كما احسن بمثله من الدرجة الثانية لمعاونه الحكيم حسين بوحاجب

وقبل ان يبارح المستشفى زار بيوت المرضى وسال عن معاشهم ثم زار بيت النسوة المريضات وتلطف نحو زنجية عليلة انقذها حكيم المستشفى من

الموت لتاخير اجلها فتنازل فخامته لسوالها مباشرة عن صحتها بما انطق لسانها بالدعاء الجزيل لفخامته

واذاك قد ارخى الليل جناحه وبزغت في سماء البلاد اشعة الكهربائية التي حلت محل اية النهار فخرج موكبه من هنالك قاصدا مدرسة جول فيري الاناثية مارا بشارع باب منارة حيث اقام النشيط سي صالح الكشباطي زينة فاخرة عربية امام قهوته هنالك وكان كلما مر ركابه بجمع من الخلايق المتماوجة بالشوارع والطرقات هتفوا له بالدعاء والسلام فدخل المدرسة على الساعة السابعة مصحوبا بمدير العلوم والمعارف وتلقى مراسم التهنئة من المديرة والمعلمات كما تلقى تهنئة تلميذاتها اللطيفات بلسان رفيقتهن الماجدة الاصيلة مادموزيل البتيت كريمة المقيم العام وبعد ان احسن مجاملة المعلمات والمتعلمات تكرم عليهن براحة ثلاثة ايام تضاف لراحة عيد الفصح ثم بارح مدرسة البنات بين عبارات النشيد الوطني بلسان التلميذات فكان صدا غنائهن مستملكا للمهج والقلوب

ومن هنالك قصد ركابه مدرسة كارنو العليا فدخلها مصحوبا بمدير العلوم وكان التلاميذ في عد المئين منتظمي الصفوف فلما حل بينهم هتفوا مرارا بالدعاء لفخامته فانشرح لذلك انشراحا بانت آثاره على اسارير وجهه وحصل له من شدة الوقع والاستحسان ما ادركه التلاميذ فاعادوا كرات الهتاف بحماسة وطنية غريبة كان لها دوي في الاذان وتاثير في القلوب واذاك تعرف فخامته بالمديرين والنظار والاساتذة وحل وسطهم وقلد رئيسهم الا كبر العلامة الاستاذ الاشهر مسيو شرليتي المدير العام للعلوم والمعارف وسام الشرف الفرنساوي وقبله وهناه



جناب مسيو شارليتي المدير العام للعلوم والمعارف

فحدثت عندئذ بين عموم الحاضرين هزة فرح بلغ صداها لعنان السماء وانقلب سرور التلاميذ لحالة جذل وهيام ثم ان فخامة الرئيس منح التلاميذ ثلاثة ايام راحة زيادة على المعتاد وخرج موكبه من مدرسة كارنو قاصدا زيارة المعرض الصحي بسراية الشركات الفرنساوية

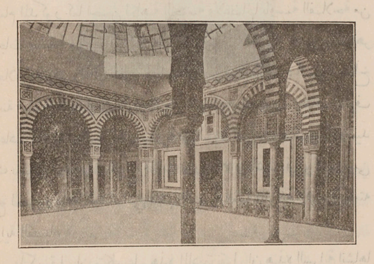
وكانت السراية وما ادراك ما هي في الحسن والبهاء والفخامة والرياش وضروب الزينة يحفها كوكبة من العساكر والناس حولها متجمعون الوفا الوفا فدخلها فخامة الرئيس بين ضجات تلك الجموع بالهتاف البليغ المسموع وقد تلقاه بباب السرايا مدير المعرض مسيو لتورنور وطاف به حول المعروضات الصحية فاستحسن نظامها واعرب عن ابتهاجه لحسن انتهاجها واتساقها وكان القسم الخاص بالمياه المعدنية على انواعها محل انظاره ومزيد تدبره واعتباره ثم تلقى من جمعية غراسة الزهور اكليلا من الرياحين وتعرف بجمعية الفواكه البواكر وتلقى بعدئذ مراسم التهنئة والاحترام من جمعية

بث التعليم واللغة الفرنساوية بين الاقوام ورفع رتبة رئيسها مسيو كمونو لدرجة افيسي من اللجيون دونور بين هتاف الحاضرين

ثم ان جناب المقيم العام قدم لفخامته مسيو دو فارين رئيس الجمعية الفلاحية واثنى على همة هذه الجمعية واعانتها على المشروعات الزراعية وتنمية عمران البلاد فشكره فخامة الرئيس واحسن له بالصنف الرابع من الوسام المذكور كما احسن لكاهية الجمعية ولاعضائها باوسمة الفلاحة من درجات مختلفة وبارح الموكب سراية الشركات الفرنساوية بين مظاهر الاجلال والتوقير واذاك رغب فخامته ان يمر موكبه باحياء البحيرة مناخ الزينة البلدية فتجول في شوارعها بين الجموع والصفوف وهتاف الالوف ثم عاد ركابه لدار السفارة الفرنساوية على الساعة السابعة ونصف مساء وبعيد ذلك بدقائق معدودات خرج فخامته ووزراءه وحاشيته في موكب رسمي بهيج لحضور مادبة العشاء التي اقامتها الحضرة العلية الملوكية اكراما لفخامته بسراية القصباء

ولكن قبل ان نتكلم على هذه المادبة نقول ان هذه السراية انشاها المرحوم حمودة باشا سنة ١٢١٨ وهي فسيحة الجوانب رحيبة الزوايا والمناكب ازدادت محلاتها اتساعا بما احدثه فيها الوزير خير الدين من البيوت المطلة على بستان القصباء وعلى الاسواق التجارية الجميلة التي حاول بواسطتها احياء معالم التجارة الاهلية التي عفت رسومها وهي اسواق صارت فيما بعد دواوين لادارتي الاشغال العامة والمالية عند احداثهما حوالي زمن الاحتلال وايضا تعاظم وتشامخ بناءها بما اضافت لها دولة الحماية من البناءات الجديدة لاستكمال نصاب اقسام الادارة العامة التي تحولت

اليها بعد اجلائها عن سرايات باردو القديمة في سنة ١٣٠٠ بحيث ان
سراية المملكة بتونس ويطلق عليها في العرف الاروباوي لفظ « دار الباي »
لانها بالفعل كانت في القديم مسكنا للبايات ثم في النصف الثاني من القرن
الفارط دار ضيوف للملوك والعظماء الواردين على تونس ومقرا للباي
وحاشيته مدة شهر رمضان وليلة المولد الشريف هي عبارة عن



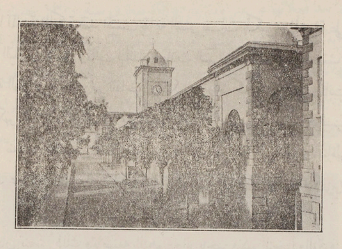
بهو الطاق العلوي بسراية المملكة

قسمين شامخين من البناء احدهما على الاسلوب العربي الجميل وهو
الطاق العلوي الذي اسسه المرحوم حموده باشا والاخر على النمط الاروباوي
او ما يقرب منه وهو ما بني على عهد خير الدين وعلى عهد الحماية ويرى
الناظر في الرسم الذي زينا به هذه الصحيفة جمال ذلك الصنع الذي
يحاكي احسن ما ابرزه الذوق العربي من مبتدعات هندسة البناءات
الاندلسية

اما المادبة الملكية فقد اقيمت بقاعة التشريفـات الكبرى المشرفة على البستان البلدي الانيق وكانت ليلتئذ محلات السرايا وسقيفها وبهوها مغشاة بالابسطة الحريرية والزرابي الفاخرة والمتكئات والاكسية والرياش وكانت انوار الكهربائية البالغ عـدد مصابيحها لنحو الالف بين ثريات وفوانيس واسرجة تناطح الشموس فكان لمجموع ذلك منظر يحاكي احدى المناظر المتحدث عنها في كتاب الف ليلة وليلة ايام دولة هارون الرشيد ووزيره جعفر

وكان تنميق ذلك وترصيعه بالزهور والرياحين ونشو النخيل والوقوف على استكمـال ترتيبه وصنعه منوطـا بذوق الشـاب النشيط مسيو دولور كاتم سر جناب الوزير المفوض كاتب الدولة العام بالعدلية حتى ان الحضرة العلية لم تتمالك عن اظهار استحسانها واعجابها بمـا قام به الشاب المذكور من الخدمة لمقامها العالي ممـا استوجب عليه الشكر باسـان سموها مباشرة منها اليه

وكانت زينة مدخل السرايا بذوق عسكري جميـل فكانت واجهة الجدران مزينة بالاسلحة وبالسيوف والخناجر من كل نوع وعصر ولما كانت الساعة الثامنة وصل الركاب الرئيسي لبطحاء القصبا مخفورا بالعساكر



بطحاء القصباء

واذاك ادت له عساكر العسة المصونة مراسم الاحترام وترنمت الموسيقى بالسلام ثم دخل فخامته وحاشيته للسرايا حيث كان المقام الملوكي في انتظاره براس المدرج فتلقاه بوجه بسيم وتصافح وفخامته مصافحة ودية قلبية ثم دخلا بيت المادبة يتبعهم الذوات من المعزومين للطعام في صحبة جنابهما الفخيم

فجلس بصدارة المقام فخامة الرئيس والحضرة العلية وجلس حولهما الى اليمين والشمال الذوات الاتية اسماءهم

جناب مسيو دلكاسي وزير البحرية

جناب مسيو بامس وزير الفلاحة

جناب مسيو شومي الكاهية الوزيري بالبوسطة والتلغراف

جناب البرنس سيدي المنصف باي

جناب سيدي يوسف جعيط الوزير الاكبر

جناب سيدي الطيب الجلولي وزير القلم

جناب مسيو مولار مدير التشريفات

جناب مسيو رامندو باش كاتب قصر الرئاسة

جناب الجنرال بيستور قايد جيش الاحتلال

جناب الجنرال شاي من امراء جيش الاحتلال

جناب الجنرال تروملت فابير مثله

جناب الوزير المفوض مسيو روا الكاتب العام للامور العدلية

جناب مسيو بلان الكاتب العام للامور الادارية

جناب مسيو ده فاج مدير الاشغال العامة

جناب مسيو دوبرديو مدير المالية العام

جناب مسيو شرليتي مدير العلوم والمعارف

جناب مسيو بربرات مدير البوسطة والتلغراف

جناب مسيو لوجون مدير الفلاحة والتجارة

جناب مسيو فلوري كاهية الكتابة العامة

جناب مسيو مولو رئيس البعثة المالية

جناب القبطان البحري موتز باش كاتب وزارة البحر

جناب مسيو بيريل باش كاتب وزارة الفلاحة

جناب مسيو دوفو باش كاتب البوسطة والتلغراف

جناب مسيو بيو باش كاتب السفارة الفرنساوية

جناب مسيو اندري فليار نجل رئيس الجمهورية

جناب مسيو دلكاسي نجل وزير البحر

جناب الكلونيل قيز من ضباط العسة الرئيسية

جناب الكلونيل هيلوت مثله

جناب مسيو دجان الكاتب الثاني بالسفارة

جناب مسيو لوجي

جناب مسيو بونيون

جناب الحكيم مسيو ريكار طبيب فخامة رئيس الجمهورية

جناب الكمندان طيسون رئيس اركان الحرب بجيش الاحتلال

جناب مسيو مارك فارين كاتب الرئاسة الخصوصي

جناب القبطان جوان معين المقيم العام

جناب السيد عزوز بن عيسى امير لواء العسة المصونة

جناب امير اللواء السيد الصادق غيلب شيخ المدينة

مسيو تريلات مدير شركة بون قالمة

وكان مجلس العشاء موسوما بمظاهر الوداد العالي من الجانبين والخدمة المناولون للاطعمة من العبيد وكانوا في عدد اثني عشر زنجي متجملين بلبوس ذات الوان ساطعة تناسب سواد بشرتهم مما زاد في انبساط الحاضرين وحملهم على الاعجاب بكمال تهذيبهم وقيامهم بوظيفتهم خير قيام



راموز مصغر من قائمة الاطعمة بالمادبة الملكية

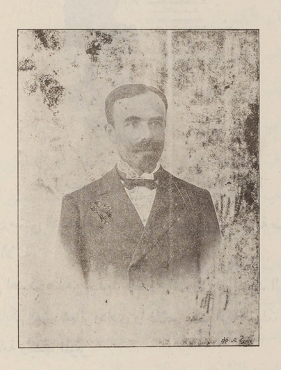
وفي منتهى العشاء القى المقام الملوكي على مسامع فخامة ضيفه الكريم العبارات الاتية

اني اهنيكم هنا من جديد بالقدوم المبارك واني لسعيد الحظ بان اكرر لجنابكم العالي شعائر ودادي واخلاصي نحو الامة النبيلة الفرنساوية ونحو فخامة رئيسها الموقر

فاجابه فخامة الرئيس بقوله

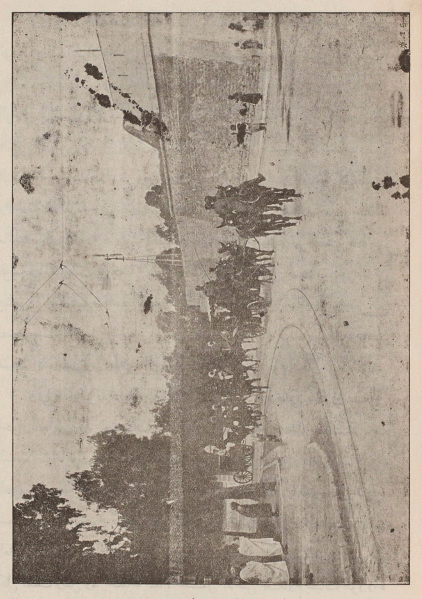
اني اتشكر لحضرتكم العلية عما ترجمت عنه من شعائر احساساتها الكريمة واني لسعيد الحظ بان اكرر لسموها تحت قباب هذ القصر الذي كان سلفها الجميل الذكر تلقى فيه زيارة سلفى الرئيس مسيو لوبي شعائري الذاتية الممتزجة بالدعاء لحضرتكم ولال بيتكم بالعز والسعادة

واذاك ترنمت الموسيقى بالنشيد الفرنساوي ثم بالسلام الملوكي الحسيني
ثم دارت فناجين القهوة على الحاضرين وفيما بين ذلك استحضر فخامة
الرئيس الحكيم لوفي رئيس اطباء الحضرة العلية وانعم عليه بوسام الشرف



الحكيم مسيو لوفي رئيس اطباء الحضرة العلية

وبعد ان تجاذب المقامان الكريمان اطراف الحديث والمنادمة تصافحا
مصافحة الكرام وعاد ركابهما ففخامة الرئيس لدار السفارة والمقام الملوكي
بارح الحاضرة عائدا لسراية المرسى العامرة



منظر من موكب الرِّكابِ الملوكي خارج الحاضرة

وفي هاته الليلة نفسها اعد المجلس البلدي مادبة اكرام بخان « قصر تونس » لضباط الاساطيل الاجنبية والاساطيل الفرنساوية الراسية بمياه بنزرت ولاصحاب الجرائد الفرنساوية الوافدين على تونس في جملة اهل الركاب الرئيسي وكان مدير نظام تلك المادبة الانيقة النشيط مسيو جوزاف فلنسي مدير الاقسام الادارية بالمجلس البلدي حضرها بالاستدعاء نحو الثلاثمائة من ضباط البحر ومن اعيان الفرنساويين واعيان الجالية الانكليزية والجالية الطليانية وفي ختامها شرب كاهية المجلس البلدي نخب جلالة ملك انكلتيرة وجلالة ملك ايطاليا وجلالة ملك اسبانيا ثم خطب خطابا نفيسا في الترحيب باولئك الضيوف الكرام وطلب من اصحاب الجرائد ان يشهروا باصقاعهم محاسن الحاضرة التونسية ويلفتون انظار السواحين لصحو سمائها الجلي ولجمال اسواق تجارتها الاهلية ثم شرب على ذكر ضباط الاساطيل وعلى سلامة الصحافيين بالنيابة عن عموم سكان مدينة تونس

وفي تلك الاثناء كان الهمام الاحزم السيد مصطفى دنقزلي عامل احواز الحاضرة قد اخذ تاهباته لاقامة ليلة انس فاخرة بدار سكناه بباب البنات اكراما لوزراء الدولة الجمهورية ولضباط البحر والجنرالات قواد الجيوش ولبقية الذوات والاعيان وبالغ في ذلك للحد الذي جعل منزله سماء مرصعة بالنجوم تخفق فوقها الاعلام ويظلها الجلال والاكرام فكان العامل المذكور وخلفاؤه ورجال ادارته على قدم وساق يستقبلون الزائرين بكل لطف ولين ولما احتبك المقام كمل الانس بقدوم جناب الوزراء والجنرالات والكاتب العام ونجل فخامة رئيس الجمهورية ونجل رئيس الوزراء الفرنساوية واذاك دارت على الحاضرين كؤوس المسرة فكان

المجلس يحا كي بجماله اثمن درة وكانت اناشيد الفرح تتلى واغاني السرور والفخار تترنم بها الافواه فتعيدها نغمات الاوتار

وممن حضر هذه الليلة الانسة ارباب الصحافة الفرنساوية مكاتبو الجرائد الكبرى الباريسية كالطان والماتان والجورنال وغيرها وقد آنسوا من مكارم رب الدار واحتفاله واحتفائه بهم ما حملهم على قضاء ليلتهم كلها بذلك المجلس الانيس

وقد امتاز بين اولئك الضيوف من اصحاب الجرائد الاخباري اللبيب مسيو دوفوفي محرر جريدة « توليون » اذ اعرب عن لطف وسمر ومشاركة في مظاهر الزهو والحديث الانيس ضرب صداه فيما بين تونس وجرجيس حتى ان بعضهم لقبه بدوفوفي باشا لانه اتى من ضروف الظرف بما شاؤوا وبما شاء

وكانت هذه الليلة الانسة خاتمة احتفالات اليوم الثاني من قدوم فخامة الرئيس لتونس حيث تقرر ارتحال جنابه صبيحة اليوم التالي للجهات القبيلة

الباب الثالث

في ارتحال فخامة رئيس الجمهورية لزيارة قصر الجم وافتتاح سكة حديد صفاقس (يوم الخميس ٢٠ افريل ١٩١١)

قبل ان يبارح فخامته العاصمة التونسية تلقى جنابه بالتلغراف رسائل الشكر من ملوك انكلتيرة وايطاليا واسبانيا عن التلغرافات التي ارسلها لجلالتهم يوم ١٨ افريل ١٩١١ بعد استعراض الاساطيل بمياه بنزرت وكانت هذه الرسائل آية في التلطف تعرب عن علايق الود الراسخ بين دول اولئك الملوك والدولة الجمهورية ـ ولما اصبح صباح اليوم المذكور كانت الادارة العسكرية قد اخذت تاهباتها وحشدت الجيوش على ممر الركاب الرئيسي فيما بين السفارة العامة وموقف سكة الحديد الجنوبية

ومعلوم ان ارتحال فخامته لقصر الجم هو من الابواب المهمة المقررة في برنامج زيارته للعمالة التونسية لان القصد من ذلك حضور فخامته لافتتاح السكة الحديد المحدثة اخيرا بين سوسة وصفاقس كما سيرى القاري تفصيل ذلك في محله من هذا الباب

فتحرك الركاب الرئيسي من السفارة مخفورا بعساكر الخيالة على الساعة السادسة ونصف وقصد المحطة على نغمات النشيد الفرنساوي وقرع الطبول والدفوف واذاك بزغت شمس الركاب الملوكي من جهة شارع باريس فلما كان موكبه على مقربة من النادي العسكري بشارع فرنسا ادت موسيقى الزواف لسموه السلام الملوكي وقرعت الطبول والدفوف فتوجه الركابان يتلو احدهما الاخر للمحطة المذكورة وعند الوصول اليها

ارتقى فخامة مسيو فليار ووزراوه وحاشيته للعربة الرئيسية بعد ان ودعه جناب مسيو دلكاسي وزير البحرية حيث عاد ذلك اليوم لبنزرت ومنها لجزيرة كرسيكة كما ودعه الاميرال بو قائد الاسطول الانكليزي واركان حربه لتقرر رجوعهم لمياه مالطة حيث تمت ماموريتهم

اما الحضرة العلية فقد ركبت القطار نفسه حيث استوت بعربتها الملكية مصحوبة بوزرائها وبرجال المعية السنية واذاك سار القطار بين هتاف الهاتفين ودعوات الداعين يشق ضبابا كثيفا تحت غيوث وابلة تعذر بها على الراكبين ان يسرحوا النظر في طريقهم ويشاهدوا خصب وبركة هذا العام المبشر بوفرة الزرع والضرع

وكان تقدم سفر هذا الرتل الرئيسي الملوكي قيام رتل خصوصي خرج من تونس بكرة ذلك اليوم حاملا لاعضاء مجلس الشورى ولارباب الصحف ولمن دون رجال الحاشيتين من الاعيان

فلما وصل الرتل السامى لمحطة بير بورقبة من الوطن القبلي نزل فخامة الرئيس وتلقى مراسم السلام والاحترام من اهالي المكان وكانوا في جمع عظيم يتقدمهم شيوخ الطرق وعمدهم واعيانهم وكانوا يضربون طبولهم وينفخون في مزامرهم المسماة « زكرة » ويهتفون بالتحية والسلام للمقامين العظيمين ويرتلون الادعية والاذكار فشكر فخامة الرئيس سعيهم وارتقى لعربته بعد ان تناول شيئا من الاكل بمطعم المحطة ثم سار الرتل حتى بلغ محطة النفيضة باولاد سعيد من عمل سوسة واذاك نزل موكب فخامة الرئيس لهذا المركز الاستعماري الخصيب الذي له علاقة مستحكمة بالاسباب

التي اعقبها نصب الحماية على تونس وهذه النفيضة عبارة عن هنشير واسع الاطراف يتراوح بين ستة آلاف وسبعة آلاف ماشية ملكها المرحوم الصادق باي للوزير خير الدين ومنه ابتاعتها قبيل الحماية الشركة الافريقية الفرنساوية التي احيتها واقامت بها العمارات العظيمة والمصانع واسست بها المدارس والاسواق وكل ما يلزم لجعلها مدينة قابلة لسكنى نخبة من كبار المعمرين الفرنساويين واتباعهم فهي اول مركز استعماري فرنساوي بالعمالة التونسية فلما حل بها فخامة الرئيس والحضرة العلية كانت البلدة متهيأة لقبول هذه الزيارة واعلام الفرح تدر و على اعاليها وكان المعمرون واعيان الاهالي على اهبة تامة فاخفق اخوان الطرق سناجقهم و رددوا ذكرهم وهتفوا بالدعاء للمقامين الكريمين واذاك تقدم مدير شركة النفيضة والقى على مسامع الرئيس خطابا اشار فيه للمجهودات والمصاعب التي غالبتها الشركة وتغلبت عليها ايام انشاء هذه المستعمرة الزراعية المرتبطة ارتبطا له معنى بتاريخ الحماية الفرنساوية ثم تعرض للترقيات التي احرزت عليها النفيضة فيما بعد حتى اصبح بقلبها مدينة زاهرة لا يقل عدد طلبة العلم فيها عن ثلاثمائة تلميذ بين اروباويين وتونسيين وختم خطابه بشكر فخامة الرئيس والحضرة العلية التي لها المنزلة العالية في قلوب رعاياها والاحترام العظيم في انفس سائر الاروباويين نزلاء المملكة التونسية

وقد اجابه فخامة الرئيس وكان مكشوف الراس بالرغم عن تهاطل الامطار وابدى له عبارات شكره عن هذه العواطف والتصريحات الفايقة

واضاف لذلك ما ننقله بحروفه (واني لمبتهج برايكم المصيب الذي حملكم على الاعتقاد بانه لا نجاح للمشروع الذي كتبتم على انفسكم انجازه إلّا بالاتحاد المتواصل بين العنصر الاستعماري والعنصر الاهلي وفي ذلك ما لا يخفى من تحقيق وتنمية ثروة وعمران هذا القطر) ثم صافحه مصافحة قلبية وعاد الموكب للرتل فجد القطار في السير بين هتاف تلك الوفود وجموع ذلك العقد المنضود

ثم بعد هنيهة لما وصل الرتل لمحطة سيدي ابي علي وقف ليتزود الماء اللازم لماكنته واذاك تقدم تحت انظار فخامة الرئيس والحضرة العلية جموع اهالي تلك الجهة ومن انظم لهم من الجهات السحيقة وكانوا في عدد عظيم فتلقى منهم المقامان الكريمان شعائر الطاعة والاخلاص وجاملهم فخامة الرئيس ببعض عبارات تناسب المقام اداها لهم بالعربية مسيو لويطو المعمر المشهور ومما خاطبه به اولئك الجموع اعرابهم لفخامته عن استبشارهم وتفاؤلهم خيرا بزيارته المباركة المخضرة العقب المبشرة بسلامة المزروعات وخصب هذا العام الذي سقت غيوثه الارض بخيرات وفيرة فانشرح فخامته لذلك الرجاء ودعا لهم بتحقيق الامال ثم تنازل فخامته فتكلم مباشرة مع شاب اهلي حياه باللسان الفرنساوي الفصيح وشكره عن ثمرة تعلمه بالمدارس الفرنساوية وحثه على ترغيب بني جنسه في الاقتداء بمثاله ثم اذن باستيناف السير فتحرك القطار قاصدا سوسة حيث ارسى على الساعة الحادية عشرة صباحا

ولما كان المطر غزيرا وسيوله مفعمة تعذر حينئذ اقامة موكب كبير كما قرر برنامج الزيارة ولذلك استقر الراي على تاخير الموكب العمومي لمجيء فخامة الرئيس بعد رجوعه من الجهات القبلية وزيارته للقيروان وحينئذ اكتفى فخامته بتلقي مراسم السلام والاحترام من الجنرال ديزورتي القايد العسكري بالساحل ثم من المراقب المدني ومن عامل سوسة وقد كانت المدينة اذاك بالرغم عن تهاطل الامطار بدعة في الزينة والاحتفال اقيمت باحيائها اقواس النصر واخفقت على دورها ومعالمها الوية الفخر وكان اهاليها من كل الملل والنحل وتلامذة مدارسها قد خرجوا من قبل للتشرف بمواجهة الجنابين الكريمين فعمروا الشوارع والبطاح ولم تصدهم تلك الامطار الغزيرة التي كادت ان تكون طوفانا عن ابداء اميالهم وتعلقهم وولائهم للرئيس المرغوب والملك المحبوب وفي تلك الاثناء استدعى فخامة الرئيس لعربته كلا من مسيو كاليني كاهية المجلس البلدي بسوسة ومسيو لوكور كربانتي مدير « الديبش تونزيان » وكلاهما من اعضاء مجلس الشورى ومن اصحاب الافكار الراجحة والمساعي الناجحة فحظيا بالجلوس لديه وتجاذب معهما اطراف الحديث في المسائل والامور التونسية

ولم يدم وقوف القطار بمحطة سوسة سوى جلسة خطيب ثم استانف سيره مارا على شريط السكة الحديدية قاصدا قصر الجم وكان المطر في ازدياد والارض باسمة مخضرة والشجرة المباركة تسحر بجمالها العقول وكان فخامة الرئيس يدير دولاب الاحاديث في فنون الزراعة

التي له احاطة بها من قبل حيث كان باشرها في شبابه وبقي مولعا بها ومحنا عليها واذاك وصل الموكب الرئيسي الملوكي لمحطة قصر الجم ودخلها على الساعة الواحدة بعد الزوال

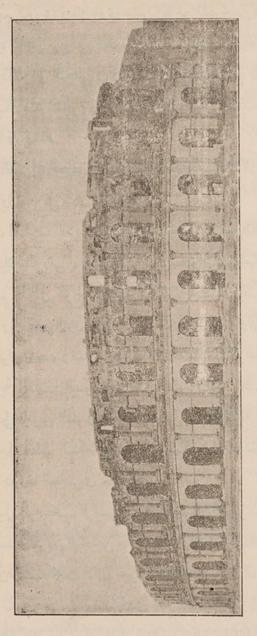
وهنا لا مندوحة لنا قبل التكلم على احاديث ذلك الموكب من التعريف بهذا القصر الازلي الذي بقي خالدا حول العصور ولم يعبا بكر الدهور

فقصر الجم عبارة عن هيكل شكله بيضي طوله ثلاثمائة ذراع في عرض مائتين بناه الرومان ايام شباب استعمارهم بافريقيا اي حوالي المائة الثانية للميلاد على اثر بناء نيرون الجبار لهيكل رومة الباقية اطلاله لعهدنا هذا وكان تشييدهم للقصر المذكور بنية جعله مرسحا لمصارعة الثيران وللاحتفالات والمشاهد العمومية في قلب مدينة زاهرة عفت رسومها بعد كانت تعرف لعهدهم باسم « ثيسدروس » وكانت هي مناخ خلاعتهم وتفسحهم يقدمون اليها من دواخل البلاد التي عمروها كدقة وسبيطلة وغيرها قال السيد البشير صفر في جغرافيته التاريخية كان الرومان « يجلبون اليه العبيد الآبقين وغيرهم من ذوي الجرايم فيدخلونهم في ساحة المرسح ويناولونهم اسلحة دفاعية ثم يطلقون في تلك الساحة بعض السباع الكاسرة فتصارع اولئك المساكين ويصارعونها فان قتلوها خلي سبيلهم وان قتلوا افترستهم السباع ونفذ فيهم القضاء »

اما مدينة « ثيسدروس » المذكورة فلم يقع العثور عليها إلا في السنين الاخيرة لذلك كانت قبل الكشف عليها اذهان علماء الآثار حائرة في فهم السر الذي حمل الرومان على تشييد ذلك الصرح الفخيم بفلاة من الارض

لا عمارة بها لانهم لم يفعلوا شيئا سدى مثل الفراعنة الذين ابتنوا اهرام مصر فكشف الغيب في السنين الاخيرة على اطلال باقية تحت الارض لمدينة متلاوحة الاطراف كانت موجودة حول قصر الجم يظهر من آثارها انها كانت طافحة بالعمران لتوفر اسباب المدنية فيها اذ هم عثروا في ثنيات ذلك الطلل البالي على حمامات وكنائس وبيع شان المدن المتمصرة في هاتيك العصور

ويقول الاثريون ان قصر الجم وحيد في نوعه لا يعرف له مثيل غير مرسح رومه المشار اليه على ان التلاشي الذي اصاب هذا اكثر من الذي اصاب ذاك — واما المرسح الجميل الذى اقامه الرومان ايضا ولم يزل قائم الذات الى الان بمدينة نيمه من اعمال فرنسا فهو ايضا على شكل قريب منهما إلَّا انه دونهما في العظم والشموخ وقد زرته سنة ١٣٢٥ ووقفت على اطلاله موقف النظر والاعتبار إلَّا ان العناية به منذ زمن بعيد جعلته مصانا عن عبث من لا يفهمون معنى لآثار الامم الخالية والقرون الماضية وهم بقطرنا اكثر من الكثير لذلك قد عبثت ايدي الهمجية بقصر الجم ازمانا طوالا حتى تلاشى منه ما ليس بالقليل ودام ذلك الى انتصاب ادارة الانطكخانة وهي من التاسيسات الاولى التي زينت بها الحماية وجه هذه البلاد في جملة ما ادخلت عليها من الاصلاحات فاستصدرت اواسط دولة المرحوم علي باي قرارا في حفظه واعتباره اثراً تاريخيا يجل قدره عن التلاشي والاهمال



منظر قصر الجم

وقصر الجم كان في زمانه ياوي ستين الفا من المتفرجين وهو ذو ثلاث طبقات وعلوه شاهق يربو على الخمسين قدما ويظهر ان ارتفاعه قبل كان اكثر من ذلك قال التجاني في رحلته وارتفاع قصر الجم مائة ذراع ومنه كانت العرب ترصد النجوم وبه ظهر لهم نجم سهيل ولم يكن يظهر لهم بتونس ولا ما قاربها اه

هذا وللقصر المذكور شهرة مطبقة عند علماء الاثار باروبا اجمع ويجيئه الزوار من كل مكان سحيق

ونعرف لصاحبنا الاديب الشيخ محمد الحشايشي قصيدة يربو عدد ابياتها على الثلاثمائة رثى بها قصر الجم بقي بمحفوظي مطلعها وهو قوله

للجم اطلال تلوح كانجم   لاكنها وجمت فلم تتكلم

يبدو به القصر الذي شرفاته   شدت باذيال السها والمرزم

وعلى توالي العصور نشات حول اطلال القصر مداشر اسلامية صارت فيما بعد قرية ياهلها اليوم من البدو نحو الاثنتي عشرة مائة نسمة لكن جريا على ناموس النمو والارتقاء سيحصل لهذه القرية من التقدم في القريب العاجل بفضل السكة الحديدية ما سيكون لها به حديث وشان ويدخل به دورها الحاضر في خبر كان

ولما وصل الموكب الرئيسي لبلد الجم كان القصر محدقا بجموع المشايخ والعمد والعربان الوافدين من كل اعمال الساحل للسلام على فخامة الرئيس الّا ان السماء كانت اذاك تجود بمدرارها فحالت الغيوث المفعمة دون اجراء الملعب العربي العظيم الذي قدم بقصد المشاركة فيه هنالك اكثر من الف فارس بخيولهم المطهمة ولبوسهم البهيجة فاكتفى الجميع

بالهتاف والدعاء للمقامين الكريمين ودخل الموكب ساحة الهيكل حيث نصب خيام كبير جدا كان القصد من وضعه وقاية الزائرين من حر الشمس فقدر الله ان يكون لهم سترا من البرد والمطر اقيمت داخله على نفقة الدولة التونسية مادبة عظيمة بالغة حد الغاية في التكليف والتنسيق والترصيع زادتها يد مسيو موكري مهندس السكة الحديد جمالا لانه زجج حواجبها وعيونها بكل غال وثمين فكانت آية في الحسن والبهاء وكانت الوان الاطعمة حسب البيان الاتي

مفتح متنوع

مرق سمك المهدية

فروخ دجاج على اسلوب التايهين

جلبانة على الاسلوب الفرنساوي

شواء من اللحم الطري

سلاطة على اسلوب بتاوي

حلاويات مثلجة

جبن متنوع

فواكه

حلاويات ناضجة ومرطبات

واذاك جلس حضرة الرئيس والحضرة العلية بصدارة المائدة وجلس ليمين فخامته جناب مسيو بامس وليسار المقام الملوكي جلس مسيو شومي وجلس بقية الوزراء والذوات بالمناصب المخصصة لكل منهم حسب الترتيب الذي وضعه لذلك مدير التشريفات فكان عدد المتجمعين حول الطعام نحو

المائتين والخمسين وفي الختام نهض الافكات مسيوغاليني كاهية المجلس البلدي بسوسة والعضو بمجلس الشورى والقى خطابا هذا ملخصه

ترجم الخطيب اولا عن متمناه الذي يحوم حول الجمع بين المدينتين الاختين سوسة وصفاقس اللتين كانتا تجمعهما روابط العمران في اقدم العصور كما يدل عليه وجود قصر الجم فيما بين هذين البلدين التوامين

ثم قال ان هذا الجمع اصبح اليوم متحققا بفضل قوة الذكاء الفرنسوي الذي ربط المدينتين بالسكة الحديد فلذلك ترى اليوم نواب صفاقس ونواب سوسة مجتمعين في صعيد واحد ملتفين حول فخامة رئيس الجمهورية الكريم الذي ختم بطابعه صك اتحاد المدينتين الزاهرتين

ثم اشار الى ما تطوي اطلال قصر الجم من عبر الزمان الماضي وقال انه ولئن داست الاقدام آثار تلك العصور فان في موكب هذا اليوم المنعقد فوق تلك الاطلال الباقية ما ينطق باتحاد الاجناس المختلفة في ظل العلم الفرنسوي

ثم ترجم الخطيب عن مراسم التهاني الجديرة بمقام الرئيس الفخيم الذي استهل افق هذا القطر بمقدمه الحاكي نسيم الربيع ووقت الزهر

وتخلص بعد ذلك للكلام على المنهج الذي سلكه الفرنسويون بتونس تلقاء العنصر الاهلي فقال انه يحوم حول تبادل المصلحة والاشتراك في العمل والخدمة لما فيه الصالح العام مع مراعاة عوائد البلاد واخلاق اهاليها وبذلك يكون صنيع فرنسا نحو العنصر المذكور مرموقا بعين الاستحسان لانه جاء موافقا على خط مستقيم لنفس السياسة التي اتخذتها دولة الجمهورية للاستعمار في بلاد الاسلام

وبهذا يظهر انه لا محيد عن هذا المسلك لان نقضه يفتح باب الاخطار والمساعي العقيمة ولان فرنسا ليس من قصدها استعمار البلاد بالفتوح القهري ولكن ببث آلاء التمدن بين اهاليها نعم ان المدافع الفرنسوية اسمعت في عدة مناسبات اصواتها الرهيبة ولكن حلم فرنسا اعقبها فمحى آثارها من العقول وبسط عوضها اجنحة السلام والامان والحرية على انحاء البلاد

ثم تكلم الخطيب على الخلافات العارضة التي ربما نشات بين الفرنسويين وقال ان تلك الخلافات هي دليل واضح على حياة الامة وعلى كل حال فانها عارية عن اي تاثير لان النتيجة كانت دائما حسنة على ان جناب الوزير المقيم العام اوثق كفيل لحماية كل المصالح وغيرته الدستورية هي الامان بعينه

ثم قصد الخطيب بالكلام سمو الحضرة العلية فاشار لانه كان حظي بتهنئتها نيابة عن مجلس الشوري يوم صعود سموها على كرسي الملك وها هو اليوم يجدد عرض مراسم احترامه لدى مقامها العالي الذي مركزه قلوب عموم التونسيين والذي هو محل الصداقة والاخلاص للدولة الحامية

ثم وجه مسيو كاليني مراسم ثنائه واحترامه لجناب مسيو كروبي وزير الخارجية بصفته قيما على القطر التونسي ولجناب وزير البحرية مسيو دلكاسي وشكر غيرتهما وهمتهما العالية واخيرا حي الخطيب اعضاء البرلمان الفرنسوي

وختم كلامه بتقديم ابلغ عبارات التهاني واصدق شعائر الولاء لفخامة الرئيس المعظم داعيا له بالبقاء وللجمهورية بدوام العز والارتقاء

ثم تلاه المسيو تريلات رئيس مجلس ادارة شركة بون قالمة والقى خطابا اعرب فيه عن فرط الشرف الذي لحقه من القيام بمامورية فتح سكة حديد صفاقس امام رئيس دولة الجمهورية وذكر بداية خدمة السكك الحديدية بالقطر التونسي والمنح التي حصلت عليها شركة بون قالمة وما في هذه السكك من الفوائد التى يقتضيها العمران

وبعد انتهاء خطابه قام مسيو تريلات رئيس شركة بون قالمة الحديدية ونطق بخطاب هذا محصله

قال انه لم يكن له في الحسبان ان ينال هذا الشرف الذي مكنه من قبول مهمة استغلال هذا الخط الحديدي الجديد من يد الدولة بحضور فخامة رئيس الجمهورية

ثم قال وهذا الخط سيبقى له ذكر في تاريخ الترقيات الاقتصادية التى اعانت شركة بون قالمة على تحقيقها بهذه الديار اما ليست هي التي ساعدت بارتالها وقطاراتها الحديدية على تعبئة وحشد جنود جيش الاحتلال ايام نصب الحماية على المملكة في سنة ١٨٨١ وبسط اجنحة السعادة والامان على ديارها

ثم شكر للدولة عنايتها بالشركة المذكورة التي اصبحت تملك بيدها لمدة ٢٥ سنة قابلة اجازة الاستغلال والانتفاع في العمالة بخطوط حديدية طولها ١٦٥٠ ميلا واثنى في هذا المقام على همة الوزير المقيم وعلى مجلس الشورى واعضاء الدولة التونسية

ثم صرح لفخامة الرئيس بوقوف شركته في مشروعها موقف الجد

80

لتنمية ثروة البلاد و وعد نيابة عن متوظفيها ومستخدميها باستعمال اقصى مجهودهم في خدمة الصالح العام

وعند انتهاء مسيو تريلات من الخطابة قام فخامة رئيس الجمهورية ونطق بخطاب عظيم هذا نصه وفصه

ايها السادة

ان حركة الذكاء الاستعماري الفرنسوي قد تحققت بفضلها ظنون كثيرة بهذه الارض العتيقة وان من المعجبات اختيار هذا الهيكل العظيم الذي هو من بدايع مدنية العصور الخالية لاجراء احتفال هذا اليوم الملتحف باردية المدنية الحديثة التي قد اغمرت بمحاسنها المؤثرة كل جهة مدت اليها رواقها

فلقد صور لنا الخطيب بذوقه السليم مثالا جامعا بين المناظر العالية والافكار الصائبة والاقوال البليغة مما سيبقى خالدا بحافظتي مدة سفري كلها ولذلك اراني سعيد الحظ من جهة الاتحاد مع الخطيب مسيو ڤاليني في المنشا وفي الشعور ولاجله نفتخر جميعا بسلوكنا الذى جاء موافقا لقواعد الانقلاب العظيم الفرنسوى ذلك الانقلاب الذى سرنا بفضل نوره في مسالك الحكمة والاحتياط والانسانية كما ستقر وتعترف لنا بذلك الازمان القابلة وان حفلة الجم ستكون فاتحة عصر للرقي مؤيد بالسكك الحديدية الجديدة التي نعلن بافتتاحها للسير في هذا اليوم وهي سكة جديرة بان يبقى ذكرها محفوظا بافهام اهل هذا العصر لانها ربطت ربطا لا ينحل بعد بين جهتين من العمالة كانتا بالامس مفترقتين وهذا الامر وحده بما ينجر

عنه من تسهيل النقل على جموع المسافرين وعلى المتاجر فيه كفاية لاستصغار الاكلاف التي تحملتموها من جهة بناء هذه السكة

واني اهني نفسي بما وفقتم له من جعل استخدام هذه السكة واستغلالها في عهدة شركة بون قالمة التي بيدها ايضا سكك الحديد بالقسم الشمالي وبالقسم الاوسط من العمالة فان كل الناس يعلمون ما لهذه الشركة من الايادي البيضاء منذ عهد بعيد اما انا فاني اصرح بذلك مباشرة لرئيسها المكرم الذي له من الغيرة الوطنية مقدار ما لديه من المنزلة العالية ومع ما لي من العلم بما يحف هذه المامورية من المصاعب فان وجودها بيد رجل مثل جناب الرئيس الموما اليه ونخبة من الموظفين كالذين في اعانته ومستخدمين مخلصين كمستخدمي الشركة المذكورة التي شملتهم بعنايتها الحقة مما يحقق ان مصالحنا بعيدة عن عبث الايام

واني ارفع كاسي بيد مملوءة بعبر الازمان واخرى قابضة على الوثوق بحسن المستقبل واشربها على سعادة السكة الحديدية الجديدة كما اشربها على ذكر المدينتين الاختين سوسة وصفاقس وعلى ذكر شقيق الفصاحة رئيس المجلس البلدي بسوسة الذي ما زال صدى خطابه النفيس يتلذذ به سمعي وعلى ذكر رئيس شركة بون قالمة مسيو مارسيل تريلات المتجمل اصالة بحسبه ومجده العزيز بين اهل العلم والجدير ذاتيا بودادنا اجمعه

ثم دارت على الحاضرين فناجين القهوة واخذ القوم يتآنسون فيما بينهم بلطيف الحديث وكان في العزم ان فخامة الرئيس والحضرة العلية يطوفان خلال اطلال الهيكل ويستعلمان خبره وامره في ايام شبابه من

مدير الانطكخانة إلّا ان توالي الغيوث حال دون ذلك فاكتفى المقامان بالاستفادة عنه بمجرد الحديث دون الوقوف على الاثار التي عفت رسومها

واذاك استحضر فخامة الرئيس جناب مسيو تريلات السالف الذكر ووشح صدره بوسام الافيسي من اللجيون دونور بين هتاف وتصفيق الاستحسان من الحاضرين ولما حانت ساعة الرحيل تبادل المقام الملوكي والمقام الرئيسي عبارات الوداد الوثيق وخاطب سموه فخامة الرئيس بما معناه

اني اجدد هنا لفخامتكم وانتم على اهبة الارتحال لاقصى جهات بلادي التي عمتها الخيرات الناتجة عن الحماية الفرنساوية عبارات ودادي الوثيق ومزيد اخلاصي نحو الدولة الجمهورية وارجو من الله ان يصاحبكم بالسلامة في الضعن والاقامة

وقد اجابه فخامة الرئيس بعبارات دلت على ما لدولته العظمى من العناية وعلى ما لفخامته من الوداد والاعزاز للمقام الملوكي ثم تصافحا مصافحة الكرام وركبا على الساعة الرابعة بالسكة الحديد فالحضرة العلية ارتقت لرتل خصوصي قام بسموها وبجناب الوزير المفوض كاتب الدولة العام وجناب وزراءها وحاشيتها قاصدا تونس على طريق سوسة وفخامة مسيو فليار ارتقى للرتل الرئيسي ومعه وزراءه وحاشيته وكاتب الدولة العام للامور الادارية قاصدا مدينة صفاقس وسار الرتلان بين مظاهر الاجلال متقدمان احدهما نحو الشمال والاخر نحو الجنوب واذاك كانت السماء تجود بمدرارها فصدعت تلك الالوف المتالفة من الفرسان والبوادي بالهتاف الكثير والدعاء الوفير لفخامة الرئيس ولسمو الامير

وفيما كان الرتل سائرا بين الجم وسوسة قدم جناب وزير القلم

للحضرة العلية صاحبنا السيد البشير صفر عامل سوسة فتشرف بلثم راحتها الكريمة وبقي ملازماً لخدمة ركابها الى ان وصل القطار لسوسة واذاك كانت محطة السكة الحديد لابسة ثوب الزينة ومحلاتها وبطاحها الرحيبة تتماوج بجموع الاعيان والاهالي للسلام على المقام الملوكى وكانوا يهتفون بالدعاء من اعماق قلوبهم لسمو اميرهم المحبوب فتكرم جنابه العالي بالنزول لموقف السكة حيث تشرف الجميع بلثم راحته الكريمة وكان في مقدمتهم شيوخ المجلس الشرعي والشيخ حامد زين العابدين نقيب الاشراف فتلى على مسامع سموه دعاء بليغا ناتي على عبارته هنا اتماما للفايدة ونصه

اللهم يامن وسع كل شئ علمه . وشمل الداني والقاضى شرفه وحلمه . وجعل السرور اجناسا وانواعا . ومتع بالتلذذ بموجباته ابصارا واسماعا . نسالك ان تطيل بقاء مولانا وسيدنا محمد الناصر باشا ولي النعم والهبات . وتديم افاضة عنايتك على ما لمقامه من سمو الذات . وتمتعنا باستمرار سروره وهناه . وتبلغه من استقامة رعيته ما يتمناه . اللهم لك الحمد على ما انعمت به علينا من الشرف بمشاهدة ذاته الملوكية . وسحايب بركات مروره باوطاننا الساحلية . واختم هذه العجالة بمسك ختام اعادة الدعاء للحضرة العلية . بدوام الاقبال والسعادة السرمدية . وحفظ انجاله وءال بيته ووزرائه . واتصال النجاح باصالة كمال آرائه آمين

كما ان الشيخ خليفه القروي باش مفتي القى على اسماعه الملكية قصيدة غراء هذا نصها

لك العز والاقبال يا طلعة البدر ... ومنا لك الاخلاص يا مالك القطر

بمقدمك الاسنى ترادف بشرنا ... واخصب مرعانا بغيث من الدر

بكم سوسة اضحت تميس تفاخرا ... بلثم يمين الناصر الملك الوتر

بكم سوسة فاقت على سوس مغرب ... واضحت بوجه الارض باسمة الثغر

وجرت على العلياء ثوب فخارها ... بناصر دين الله في السهل والوعر

مليك له (ارمان) جاء ملبيا ... فاعظم به من حايط حوزة القطر

لدعوتكم قاد الاساطيل خلفه ... تمر مرور السحب في سرعة السير

علا متنها (فليار) عمدة دولة الـ ... فرنسيس اهل الحزم في مرتقى الدهر

طوى الارض طي الرق في يمن حازم

على الصافنات الدهم في لجج البحر

فاكرم به ضيفا الى الملك الذي ... اليه ملوك الارض تخضع في الامر

هو الملك القرم الهمام سيمدع ... مجلي ميادين الملوك مدى العمر

عطاياه في الافاق جلت عن العد ... فلا المزن يحكيها ولا المد في البحر

فلا زال للعلياء تاجا مرصعا ... وكهفا لمن يرجوه في العسر واليسر

وبعد ان تلقى سموه مراسم الطاعة والولاء من الخاصة والكافة تناول والوزراء ورجال الحاشية طعام العشاء ثم تفضل باسداء شكره العالي واعرب عن رضاه وعما داخله من التاثر الجميل لهاتيك الاحساسات الشريفة التي ترجم عنها اعيان سوسة ثم اذن بالرحيل فسار به الطائر الميمون قاصدا تونس وكان في اثناء هذا السير تلوح على محياه الكريم مظاهر البشر والانشراح ويتجاذب اعنة الحديث مع جناب الوزير مسيو روا

الكاتب العام مظهرا سروره وانبساطه لهذه الرحلة السعيدة التي طفح فيها كاس البشر بغيوث الرحمة وسيولها المتدفقة مما توفرت به بركات ذلك العام وفي حدود منتصف اليل وصل القطار لتونس فعاد المقام الملوكي لسراية المرسى العامرة

اما قطار فخامة الرئيس فقد جد في السير نحو جهة صفاقس وكان اسلوب سيره على شريط السكة الجديدة دالا على قوة رسوخها واحكام وضعها ودراية المهندسين الذين رسموا خرايطها وتعقبوا اشغالها ولما كان القطار على مقربة من صفاقس حكمت الاقدار بانكفاف الغيث برهة زمانية فوصلها الركب الرئيسي ودخلها على الساعة السادسة مساء



الباب الرابع

في الكلام على جهة صفاقس وغابة زياتينها وثروتها وزيارة فخامة رئيس الجمهورية لمدينة صفاقس واحوازها

صفاقس وما ادراك ما هي . بلد الكد والجد . بلد الخيرات والبركات . بلد الرجال اصحاب العزايم الثابتة . في العصر الحاضر وفي الازمان الفائتة . بلد الثروة الواضحة . والتجارة الرابحة . بلد الاسواق النافقة . والزيوت الدافقة . فجدير بكل تونسي ان يفتخر بها وبابنائها وان يحث ابناء جلدته على الاقتداء بمثالها والنسج على منوالها اذ هي المدينة الفاضلة وما عداها المفضول هذه انجم وتلك شمس لا يعتريها افول

اصلها من المدن التي احدثها الرومان وكانت تعرف على عهدهم باسم « طبارورة » واسمها الحاضر محرف عن لفظ « سيفا كس » وهو علم على امير بربري اشتهر بعداوته للرومان فلما سقطت دولة الرومان تلاشت صفاقس في جملة المدن والبقاع التى دمرها البرابرة حلفاء الهمجية واعداء العمران وعاد احياءها بعد الفتح الاسلامى شيئا فشيئا فكانت اولا عبارة عن محرس اي قصباء وبرج لسكنى الغزاة يرابطون فيه ويترصدون به اساطيل العدو كما سياتي بيان ذلك في الباب التاسع عند الكلام على قصر الرباط بمدينة سوسة ثم بتوالي السنين نشا حول ذلك البرج مداشر وقرى ضئيلة تكون من مجموعها فيما بعد مدينة واسعة الاطراف بنى لها الامير ابو ابراهيم احمد بن الاغلب سورا من الطوب في سنة ٢٤٥ على يد ابي الحسن علي بن سالم الجبنياني جد الشيخ ابي اسحق الجبنياني

صاحب المقام المشهور بصفاقس لعهدنا الحاضر وفي تاريخ الشيخ مقديش الصفاقسي ما يؤيد صدق هذه الرواية وزاد على ذلك قوله « ان ذلك السور جدد بناءه بالجص على عهد السلطـان ابي فارس عبد العزيز من آل بني حفص »

ومن هذا يفهم القاري ان الوصف الجميل الذي وصفها به ياقوت الحموى في معجم البلدان انما ينصرف للعصر الـذى اشتد فيه ساعدها وطفح فيه عمرانها الا ترى انه يقول مـا ننقله عنه بحروفه « بها اسـواق كثيرة ومساجد وجامع وسـورها صخر وآجر وفيها حمامات وفنادق وقرى كثيرة وقصور جمة ورباطات على البحر ومنابر يرقى اليها في مائة وستين درجة في محرس يقال له بطرية (لعل مركز التعمير المسمى مطرية الواقـع اليوم على مقربة من صفـاقس محرف عن لفظ بطرية المذكور) وهي في وسط غابة الزيتون ومن زيتها يمتار اكثر اهل المغرب وكان يحمل الى مصر وصقلية والروم ويكون فيها رخيصا جدا يقصدها التجـار من الافاق بالاموال لابتياع الزيت وعمل اهلها القصارة (بكسر القاف) والكمارة (بكسر الـكاف) مثل اهل الاسكندرية وينسب اليها ابو حفص عمر بن محمد بن ابراهيم البكـري السفـاقسي المتكلم لقيه السلفي وانشده وقـال كان من اهـل الادب وله بالكلام انس تام وبالطب انتقـل الى مصر واقام بها الى ان توفى في شهر ربيـع الاول سنة ٥٠٥ وكان يعرف بالذهبي وكان مولعا بالرد على ابي حامد الغزالي ونقض كلامه اهـ

والخلاصة ان صفاقس كانت في اواخر المائة الخامسة مدينة حضارة

زاهرة وسوقها بالادب نافقة يدلك عليه ان من علمائها في ذلك العصر من كان كفؤا للرد على حجة الاسلام الغزالي وما ادراك ما الغزالي

وهذا الرحالة ابن بطوطة زارها اواخر عام ٧٢٥ ووقف جوارها على قبر الامام ابي الحسن اللخمي المالكي صاحب كتاب التبصرة في الفقه وامتدحها واثنى عليها فمن ذلك ما نقله عن ابن جزي منسوبا لعلي بن حبيب التنوخي وفيه اشارة لطيفة لحركة المد والجزر ببحرها

سقيا الارض صفاقس ذات المصانع والمصلى
محمى القصير الى الخليج فقصرها السامي المعلى
بلد يكاد يقول حين تزوره اهلا وسهلا
وكانه والبحر يحسر تارة عنه ويملا
صب يريد زيارة فاذا راى الرقباء ولى

ومن شعراء صفاقس المجيدين ابن الضابط واسمه عثمان بن ابي بكر الصدفي بعث له شعراء القيروان يسالونه ان يرسل اليهم ديوان شعره فقال للرسول انه في مسوداته فقال هاته كما هو فزوده اياه وكتب له ارتجالا

خطبتم بناتي فارسلتهن اليكم عواطل من كل زينة
لتعلموا اني ممن يجود بمحض الوداد وليس ضنينة

فلما وصل اليهم الديوان اجابوه

اتتنا بناتك يرفلن في ثياب من الوشي يفتن زينه
فلما سفرن فضحنا الشموس وسرب الضباء واخجلن عينه
ولما نطقن سحرن العقول وظل القرين ينادي قرينه

افي بابل نحن ام في العراق وفوق البسيطة ام في سفينه
فدعني اراقب ضوء الجميع لنسمع من كل مدح عيونه

وابن الضابط هذا توفى بعاصمة الروم سنة ٤٤٤ حيث سيره حا كم القيروان لقضاء حاجة له عند امبراطور بيزنطه التي صارت مدينة الاستانة منذ فتحها الاسلام سنة ٨٥٧ وتاريخ هذا الفح « بلدة طيبة »

ومن ادبائها المتاخرين ابى الحسن الغراب الذي طفحت دواوين الادب بجيد شعره وكان لا يخلو نظمه من جناس فمن ذلك قوله متغزلا في شاب كان يقتطف حب الزيتون وفيه ذلك اشارة لمسجدين من المساجد التونسية اولهما له ريع واسع وثانيهما لا وقف عليه

جمعت هـدى ضبي وقد كان جامعا
لزيتونة من فوق اغصانهـا استـوى
ايا جامـع الزيتونة الفـاتن الـورى
تفضـل بمعروف على جامـع الهـوا

واهل صفاقس كانوا ولم يزالوا اصحاب نغرة وشكيمة تـابى انفسهم الضيم ويستملك قلوبهم العدل وهكذا كان امرهم في كل عصورهم ومن طباعهم انهم اذا عاهدوا وفوا لذلك لما ثارت ثائرتهم عن طيش عند نصب الحماية وشق بعضهم عصا الطاعة في وجه الحكومة بما حملهـا اذاك على رميهم من البحر بمدافع الجنرال غارنولت يوم ١٥ يوليه ١٨٨١ تسابق عقلاءهم لرد الزائغين عن جادة الحق فندموا عما صدر منهم واعلنوا بالاخلاص وبالخضوع وطلبوا الامان من الدولة فامنتهم واعادت عليهم مكاسبهم وارزاقهم بل واسقطت عليهم جانبا مهما من العشرة ملايـين التي ضربتها غريمة حربية

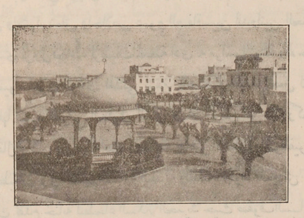
85

عليهم اثر ذلك الهيجان فانقلبوا للاقبال على شانهم ووجهوا مهجهم وافئدتهم للمساعدة على توفير الثروة العامة بناحيتهم التى اصبحت بفضل كدهم وجدهم عروس البلاد فغرسوا البساتين الزاهية بكروم العنب والتين والرمان والبرتقان والنارنج والليمون والورد والياسمين واستخرجوا من ارواح زهورها العطورات الفائقة والروايح الذكية وانشاوا فيما وراءها غيب الزياتين الممتدة لبعد ستين ميلا عن صفاقس وشجرها اصبح عده في درجة الملايين بحيث ان جهتهم بعد نحو عشرين سنة من نصب الحماية صارت ذات متاجر رابحة واسواق نافقة استكمل نصابها بفتح مرساها في سنة ١٨٩٧ ثم بتاسيس سكة الحديد الجامعة بينها وبين قفصة والمتلوي لنقل الفسفاط واصداره على طريق صفاقس لجهات المعمورة

فلما قدم لزيارتها فخامة رئيس الجمهورية مساء يوم الخميس ٢٠ في افريل ١٩١١ كانت مدينتها قد لبست من لبوس الزينة ثوبا قشيبا واهاليها واعيانها قد تاهبوا لتلقي الرئيس العظيم والضيف الكريم بما يناسب فخامته من الاجلال ويشهد بتعلق واخلاص عموم الصفاقسيين للدولتين الحامية والمحمية ولدى نزول فخامته لرصيف المحطة ادى له مراسم التهنئة والاحترام جناب مسيو سلمون المراقب المدني يتبعه كاهيته وخليفة العمل لتعذر حضور عاملها السيد العربي الجلولي الذي عاقه المرض عن المشاركة في ذلك الاحتفال وكان وراء المراقب والخليفة جماهير الاعيان والمتوظفين من كافة الطبقات وفي جملتهم الادارة البلدية والعلماء وقواد الجيوش

واذاك تقدم جنابه لبطحاء السكة الحديد حيث صفوف السبايس وجموع المريدين ووفود الاهالي واستحضر نخبة من العساكر الذين كانوا

حاربوا بالمغرب الاقصى ووشح صدورهم بالميدالية المراكشية ثم رفع رتبة الماجور شانبنوا كمدان الاي السبايس للصنف الثالث من وسام الشرف وبعد ان نظر لجموع المريدين و وفودهم وشكر صنيعهم انتظم موكبه وسار خلال شوارع المدينة وكانت تتمايل طربا وسرورا وانهاجها مرصعة بالجيش من كافة الاسلحة وكان الناس في خليط عظيم فوق صعيد فالفت اختلاطهم انظار فخامته لامتزاج العنصر الصفاقسي بالعنصر الاروباوي مما حمله على الاعتقاد بكمال استعداد الاهالي هناك وكانت نوافذ البيوت ومشارف الدور غاصة بالمتفرجين وهتاف السرور تلهج به صدورهم فيردد صداه قرع الطنبور وعزف المزامير وقعقعة السلاح وكان رجال الكنيسة وهم قوم يركضون في كل ميدان ويهبون مع كل ريح يضربون نواقيس بيعهم وديورهم بافراط غريب فكان مجموع ذلك يحاكي منظرا من مناظر مدينة بابل ايام تبلبل الالسنة قبل مناجاة الكليم ودك الطور



البطحاء البلدية بصفاقس

وبعد ان طاف ركابه باحياء المدينة قصد دار المراقبة المدنية وهنالك انتظم في الحال موكب القبول فتقدم اولا للسلام على فخامته نواب المعمرين واذاك القى عميدهم مسيو شاتيل رئيس الحجرة الزراعية التجارية خطابا قال فيه

يافخامة الرئيس

ان في زيارتكم ضمانا نفيسا ودليلا على العناية العزيزة التي لكم نحو الجالية الفرنسوية النشيطة المشهورة بالشجاعة وباتيلاف عناصرها المتحدين على تحقيق امنية وحيدة الا وهي احياء هذه الناحية وغرس محبة فرنسا في قلوب اهاليها ـ وان لنا الرجاء الوطيد بان هذه الزيارة يبقى لها بمحفوظكم ذكر جميل يبعث فينا روح النشاط والحث على العمل

فاجابه فخامة الرئيس بخطاب نفيس هذه عبارته

انه لا يروق لي ان اشكركم على هذه الاحساسات الوطنية التي عرضتموها علينا باسم النزلاء الفرنساويين بصفاقس واني ابلغكم عبارات التحية والاعزاز بالنيابة عن ام الوطن واهنيكم عن اخلاصكم الذي جعلتم به مدينة صفاقس عاصمة فرنساوية بكل معاني الكلمة اذ كلنا نخدم لاعلاء العلم الفرنساوي الخافق فوق رؤسنا ـ هذا ولا شك انكم قد فهمتم معنى حضور الاساطيل الثلاث التي وفدت للسلام علي بمياه بنزرت واستدللتم منه على عظمة شان فرنسا في نظر دول العالم اما انا فاني لمفتخر بذلك نيابة عن بلادي وعنكم انفسكم لانه حرك فينا شعار الغيرة والنخوة الوطنية اذ ترجم على ما لفرنسا من الاعتبار في الدنيا واني لغني عن الاعراب اليكم بما ذا سيبقى خالدا بمحفوظي من زيارتي لصفاقس وكذلك عما

سيبقى منه بخلد وزراء الدولة الجمهورية القادمين معي لاستطلاع احوالكم والكشف عن رغائبكم

ثم ان فخامة الرئيس تلقى زيارة خليفة العمل يعضده شيوخ المجلس الشرعي والخلفوات والمشايخ والعمد والاعيان فالقى الخليفة المذكور على مسامعه العبارات الاتية

ان قدوم فخامتكم لصفاقس قد سمح لنا بالاعراب عما يختلج بضمائرنا من الاعتراف بالجميل للامة الفرنساوية التى بسطت على مدينتنا الوية التمدن والخيرات الوفيرة وهذا الاعتراف دين عن قرض اخذناه منها لذلك لا نبرح عن الوفاء به باظهار تعلقنا البالغ حد النهاية بامتكم العظيمة ـ هذا ونبتهل الى الله ان يضاعف انشراحكم في رحلتكم هذه وان يديم علينا التفاتكم ويبقى ذكر صفاقس متعلقا بذهنكم بعد رجوعكم للديار الفرنساوية كما نسالة تعالى ان يديم حياتكم وحياة الدولة الجمهورية

واذاك قامت ضجة بلغت عنان السماء لان عموم الاهالي الحاضرين نادوا بقولهم « ايعش فليار ولتعش الجمهورية »

وقد اجابه فخامة الرئيس بالعبارات الاتية

نهنيكم عن هذه المقاصد الحسنة بالنيابة عن الامة الفرنساوية والدولة الجمهورية ونصرح لكم بما هو متعلق في اذهانكم من كوننا لا نرضى إلا دوام الالفة بين الفرنساويين والتونسيين لان فرنسا امة كريمة وهمتها منصرفة لازالة العثرات التى يمكن ظهورها بينكم وبيننا ــ هذا وقد قلتم لنا انكم تحبون فرنسا فانا اقول لكم ايضا ان فرنسا تحبكم اما ما يخص عقائدكم وشعائركم الدينية فانه لايخطر ببال احد العبث بها

لان مرادنا الوحيد هو القيام في هذه الارض بمشروع مسماه الحماية والمسالمة وهو مشروع قدمنا لكم فيه عربون صداقتنا - من اجل ذلك يكون اشتراككم في العمل معنا بضم مجهوداتكم لمجهوداتنا مصدر خير يعم الجميع لانكم تمثلون عنصرا من العناصر الدائبة على تحقيق عمران بلادنا وهو الامر الذي يمنحكم حق الاعتماد علينا ويحملنا على الاعتقاد بما لكم مع رجال الاستعمار الفرنساوي من التعلق بالمشروع العظيم المشترك بينكما بانكم ستخدمون بقلب واحد في سبيل اعلاء شان وعظمة فرنسا

ولي الرجا بانه اذا جاءكم في مستقبل الايام الرئيس الذي سيخلفني في الخطة تتولون معه الكلام مباشرة وتعربون له عما في ضمائركم بدون واسطة ترجمان

فتلقى اولئك الاعيان من الصفاقسيين خطاب فخامة الرئيس بمظاهر الشكر والامتنان وانصرفوا وكلهم السنة ناطقة بالدعاء

هذا وبعد ان تلقى الرئيس مراسم التهنئة من بقية الطوائف اقام فخامته مادبة خصوصية دعا اليها رجال حاشيته وبعض الدوات وكان في جملة هؤلاء ضابط زنجي من ضباط الاي السبابيس سمح فخامة الرئيس باستدعائه لتلك المادبة وفقا للتقاليد المتبعة في مثل هذه الحال حيث كان ذلك الضابط السنغالي هو الكمندان للعسة التي تولت الخدمة بدار المراقبة في تلك الليلة

ولما كان فخامته في مجلس سمره بعد العشاء حضر ببطحاء المراقبة وفد من الاهالي لا يقل عن اربعة ءالاف نفس وقدموا لفخامته هدية من نتايج مصنوعاتهم المحلية وهي عبارة عن اربع زرابى بديعة النسج

والصنع طول كل منهـا عشرة اذرع في عرض سبعة وبعض صنـاديق من العطور فتكرم فخامته بقبول تلك الهدية وشكر سعيهم بعبـارات ضاعفت سرورهم فرطبوا السنتهم بالدعاء لفخامته وهتفوا بالثناء عليه

وفي تلك الليلة اقام المجلس البلدي بصفاقس مادبة فاخرة دعا اليها الوزراء والكاتب العام للامور الادارية واكابر الذوات واهـل الصحافة وبعض الاعيان

وكان المترائس على هذه المادبة جنـاب مسيو بامس وزير الفلاحة فخطب في اخر الطعام كما خطب جناب مسيو كوشري وجناب مسيو بوشي وكلاهما من الوزراء السابقين ومن ملاكة الزيتون بصفـاقس ودامت المؤانسة في هذه المادبة الى ساعة متاخرة من الليل

وفي هذه الليلة اي ليلة الجمعة ٢١ افريل ١٩١١ هـدئت المطر نوعا ما وانقشعت الاسحبة المتلبدة بين السماء والارض منذ الثلاثة الايام المتقدمة إلّا ان السماء جاد بمدراره من جديد في بكرة اليوم الـذي اسفر عنه صباح تلك الليلة فتوانى فخامة الرئيس في الخروج الى نحو الساعة الثامنة صباحا واذاك انتظم موكبه لان المطر المتنازل من قبـل عصفت فيه الرياح فاذرت سحبه وقامت الغزالة مقام الضباب

فلما ادت العساكر مراسم التحية لفخامته تحرك ركابه قاصدا زيارة غابة الزيتون الواقعة غربى صفاقس والممتدة بدواخل الارض لبعد ستين ميلا عن المدينة وهذه الغابة هي مناخ الاستعمار الفرنساوي بالمملكة التونسية وجل ملاكتها من اصحاب السطوة والثرة و بفرنسا وبتونس

وكان انشاءها بطريق المغارسة والمشاركة في المال والرقبة بين اولئك المعمرين والصفاقسيين فعلى هـؤلاء اليد العـاملة وعلى اولئك الامدادات المتواصلة وتعرف ارضها في القديم بارض السياليين تولت الدولة اقطاعها اوايل دولة المرحوم علي باي واحياء تربتها الخصبة الصالحة جدا لغراسة الشجرة المباركة وقد تقـدم لك فيما نقلناه عن معجم البلدان من ان صفاقس كانت سوق زيت نافقة في المائة الخامسة فما بالك وهي اليوم في القرن الرابع عشر للهجرة وان شئت قلت في الـقرن العشرين للميـلاد قرن المواهب العلمية والمقاصد العملية التي حركت الجواري المنشآة في البحر كالاعلام ومزقت احشاء الفضاء بالسيارات الجوية وما يدريك ما ذا سيكون بعدها من الكرامات البشرية في مستقبل الايام

فلما خرج الركب الرئيسي للكشف عن غابة صفاقس كـان محل وجهته النقطة الهندسية الواقعة فوق الربـوة المسماة اطوال الشريدي على نحو عشرين ميلا من المدينة والمشرفة على الغـابة لمد البصر وكانت حوالي النقطة مساكن نجع من العرب الرحالة في عد ستين بينا ياهلها اكثر من خمسمائة رجل جاءوا بنسائهم وذراريهم ورواحلهم من جهة ترياقه حيث مواطن فريق اولاد بن جروي بقصد حراثة الزيتون فكان منظر خيامهم في حال اختلاطهم بـابلهم وخيولهم واحمرتهم وانعـامهم ونسائهم وولدانهم منظر الاستغراب والاعتبـار من الزائرين ومما زاد هولاء رغبة في استقراء احوالهم اصداع النساء بالولولة عند دخول فخامة الرئيس وسط النجع وقد استفهم فخامته معنى تلك الولولة واجيب بانها كناية في عرفهن على الفرح

والسرور ثم دخل فخامته بيت شيخ النجع وكانت مفرشة بالزرابي من نوع المرقوم وتامل طويلا من نسيج بدوية كانت بصدد العمل ثم من حركة اخرى كانت تصنع كسكسون وثالثة كانت تهيأ شواء على مقربة من الخيام وبعدئذ ارتقى فخامته الربوة للاشراف على الغابة فنهض من ورائها جم غفير من الناس يناهز عددهم الالفي رجل يصحبهم نحو خمسمائة من الفرسان الراكبين ظهور الصافنات الجياد وحينئذ اجرى اولئك العربان ملعبا بهيجا حمل فيه الفرسان حملة الشجعان واطلقوا فيه من البارود ما اسود له وجه الافق وكان ختام الملعب بحضور الجمل الحامل « للجحفة » المحجوبة بوسطها العروس (الخيالية في واقعة الحال) فتلاحم المتزاحمون على نيل شبابها وانتهى الامر بتغلب القوي على الضعيف فاختطفها وطار بها مع الطائرين

وبعد ان استفاد فخامة الرئيس من التقريرات المستفيضة التي قام بها لديه كل من الوزيرين السابقين مسيو كوشري ومسيو بوشي وسرح طرف الطرف خلال تلك الغروس الباسقة والثروة الخافقة شرب فخامته نخب جمعية الاستعمار بصفاقس بعد ان القى على مسامعه مسيو جان بوشي الخطاب الوجيز الاتي

يا سيدي الرئيس

في اعماق هذه الارض التي اختلط اديمها بطينة البشر والتي كانت مهدا للمدنيات التي عفت رسومها قد غرس معمرو صفاقس اسم فرنسا وسمعتها بصورة تدوم الى ما شاء الله وختموا على ذلك بعروق شجرة الزيتون التي هي شجرة الخلد

وقد اجابه فخامة الرئيس بعبارات التهنئة وزاد قائلا « ان فرنسا لا تروم الفتح بالسيف بل مرغوبها امتلاك القلوب بالحسنى وفتح الارض بالقواعد التي مستندها العلم والعلم حليف الترقي والترقي اليف المعمرين والمعمرون انما يعملون لاعلاء شان فرنسا وتخليد ذكرها في بطون التواريخ »

ثم قال « وقد اخذنا كلنا حظنا من هذه المناظر البديعة حتى اولئك الفرسان الذين ما احقهم من شبه بخطاطيف الصحاري تلك القفار التي كانوا وحدهم روادها قد شاركوا في مظاهر الفرح بنخوتهم العربية وحملتهم على هذا الجبل حملة الشجعان »

هذا وقد تضمنت عبارة خطاب مسيو بوشي فكرا تضمنه بيت من الشعر لابي العلاء المعري بما دل على توارد الخواطر بعد الف عام بين الضرير الناشي بين جدران معرة النعمان وبين الفرنساوي النابت على ضفاف نهر السين بباريس قال المعري

خفف الوطء ما اظن اديم الا ... رض الا من هذه الاجساد

وقبيح بنا وان قدم العهد ... هوان الاباء والاجداد

ثم انعم فخامة الرئيس على سي علي بن القروي خليفة ترياقة واولاد ابن جوردي بوسام اللياقة الزراعي وعاد في موكبه المهيب لصفاقس حيث تقدمه وصول تلغراف من الحضرة العلية في تجديد عهود المودة والسوال عن احواله اثناء رحلته واذاك توجه لزيارة مرسى المدينة والكشف عن حركة تجارتها النافقة فابتدا بزيارة معرض النشاف الذي احكم ترتيبه

قبطان المرسى ميسو كبرياتا وبالتامل من المعروضات والايضاحات التي القاها على فخامته مسيو لنبيس وكيل المعرض اعجب فخامته من الحكمة البالغة المحيطة بخلق النشاف ثم تامل من مجموعة نشاف من اشكال واجرام شتى وزار محلات التحليل الكيمياوي للنتائج البحرية وتنقل لمركب شراعي يوناني خاص بصيد النشاف وشبهه فنزل بمحضره اربعة من الغواصين لاعماق البحر واستخرجوا ما وصلت اليه ايديهم من النشاف الحي المتحرك فقدم له حينئذ شاب ارناووطي من الصيادين نشافة ضخيمة ومجموعة نشاف مستكملة على وجه الهدية تذكارا لزيارته المركب ثم عاد للبر واستكشف احواض تربية النشاف وتضخيمة بالطريقة العلمية وبعد ان القيت على مسامعه تقريرات ضافية واحصائيات غريبة تتعلق بحركة الاتجار في النشاف المقتنص من مياه العمالة التونسية تنقل فخامته لزيارة الرصيف الخاص بوسق الفسفاط الذي تصدره مناجم المتلوي بعمل قفصة وهناك شاهد امورا مدهشة من ذلك العربات النقالة للفسفاط التي تحمل الواحدة منها ما يناهز الثلاثمائة طنلاطة في الساعة وهي عربات تتلقى موسوقها بواسطة دواليب تديرها الكهربائية فينبعث اليها الفسفاط من مخازنه ومنها يتحول بنفس تلك الطريقة الى البواخر المكلفة بنقله لانحاء المعمورة وبعد ان افاض مدير شركة الفسفاط القول في ذلك وايد تقريراته بالشواهد والارقام المدهشة الناطقة بان مناجم الفسفاط بالجريد هي عبارة عن كنز لا يفنى وثروة لا تبلى اظهر فخامته انشراحه لوفرة تلك الخيرات التي اكتسبتها العمالة بفضل رجل من خيرة الفرنساويين وهو الفقيد فليب طوماس المتوفى

عام ١٣٢٨ الفارط ـ اما الفسفاط فسياتى الكلام على ماهيته ومادته في محله من هذه الرحلة

وعلى الساعة العاشرة من صبيحة ذلك اليوم عاد فخامته للمدينة وتوجه لزيارة المكاتب فزار المدارس العليا للذكور والاناث مصحوبا بجناب مسيو شارليتي مدير العلوم والمعارف ومنح كافة التلاميذ راحة ثلاثة ايام فنادوا جميعا « ليعش فليار » ومن هذه الزيارة توجه للمجلس البلدي حيث استقبله كاهيته مسيو جيرار وكافة الاعضاء البلديين وهنالك انعقد موكب القبول فدخل على فخامته وفد النزلاء الفرنساويين فكمندان قلعة صفاقس فاركان حربه فعمد الاهالي واعيانهم فنواب الجالية الطليانية فنواب الجالية المالطية فنواب الطائفة الاسرائيلية

وبعد ان تلقى من جميعهم مراسم السلام والاحترام نطق بين يديه كاهية المجلس البلدي المذكور بالخطاب الاتي

يا سيدي رئيس الجمهورية

انني بالنيابة عن سكان مدينة صفاقس التمس من فخامتكم قبول مراسم التوقير والتكريم وشعائر التعلق بالدولة الجمهورية واتشرف بتهنئتكم بالقدوم المبارك

هذا وان ذكرى زيارتكم هذه يا فخامة الرئيس ستبقى منقوشة على صفحات قلوب سائر الصفاقسيين لانها تقدمت بهم شوطا زائدا في سبيل المدنية وفتحت في وجوههم دور عصر جديد في مسالك الرقي بافتتاح السكة الحديدية الجديدة التي ستربط سوسة بصفاقس والتي سيتم بها ذلك المشروع الذي قامت به الحماية الفرنساوية في هذه الجهة

ان صفاقس كانت لثلاثين سنة فارطة عبارة عن مرفا كاد ان يكون مجهولا لا يتجاوز سكانه العشرين الفا اما اليوم فبفضل فرانسا وبهمة اولئك الرجال العظماء اي الوزراء المقيمين ومديري الادارات الدولية على اختلافها قد اصبحت تعد تسعين الفا من السكان

ففي مدة قصيرة جدا من الزمن منحت صفاقس مجموع طرقاتها الاستعمارية كما منحت سكتين حديديتين احداهما لخدمة المعادن وهي سكة يحق للشركة التي بنتها على نفقتها الافتخار بها والاخرى جمعتها بعاصمة البلاد يعني وقع بها تدانينا من ام الوطن وعما قريب سيتم بها جلب المياه الصالحة للشرب فتنمو بذلك ثروة جهاتها الجميلة

وهذه غابة الزياتين البهيجة التي شرفتمونا يا سيدي الرئيس بزيارتها هي ثمرة الكد المتواصل الذي استعمله جماعة من المعمرين الفرنساويين بمشاركة الاهالي والذي استعمله الاهالى ايضا بانفسهم لانفسهم وهو كد حصل تحت العلم المثلث وعنوان على المدنية والمواخاة ودليل على الوفاق الوطيد بين العنصرين لان سكان صفاقس المتكونين من اجناس شتى يعيشون على بساط التحابب البالغ حده حيث كان مبداهم « العمل » لذلك يكونون سعداء الحظ باغتنام هذه الفرصة لشكر جناب الوزير المقيم العام عن كل ما جاد به على مدينتنا ونواحيها من المشروعات الاقتصادية التي سيتحقق بها اتساع نطاقها وللافصاح لدى فخامة راس الدولة الجمهورية الذي هو الروح المتجسدة من فرنسا حاميتنا عن كامل اعترافهم بالجميل وعما لهم نحو فرنسا من التعلق والاحترام

وقد اجاب فخامة الرئيس معربا عن ارتياحه للعبارات التي القاها كاهية المجلس البلدي واضاف لذلك قوله انه عند ما يزور مدينة يتحتم عليه التوجه لمجلسها البلدي لرد السلام على نوابها وللدعاء لهم بالنجاح ثم قال ما لفظه « واني اغتنم هذه الفرصة لاثني على سكان صفاقس جميعا عما قاموا به نحوي البارحة واليوم من الحفاوة والاكرام »

ثم ان مسيو فليار اقترح على مسيو جيرار ان ينهي تشكراته لمساكنيه ولمح في كلامه لفقرة من خطاب مسيو جيرار فقال انه ولئن كان الفضل في ان جل الترقيات التي احرزت عليها العمالة عائدا على المقيمين العامين الذين تناوبوا الامر بالايالة فان الفضل في تلك الترقيات ايضا راجع الى السكان اصحاب النشاط والبسالة والى ابناء العنصر المكد في العمل ثم الى مجهوداتهم التي يحق ان ننسب اليها تعاظم وعمران العمالة التونسية - ثم علق مسيو فليار كلاما على تلك الترقيات فقال « عند رجوعي لفرنسا ساقول ان امتنا امة استعمارية بكل معاني الكلمة وفي محفوظي كثيرا ما سمعت مذ كنت صبيا ان فرنسا ليست بدولة استعمار فبرهنت لي زيارتي اليكم هذه المرة وزياراتي قبلها للجزائر بصفة عضو بدار الندوة على ان في طوعنا ادراك درجة الامم التي غلبت عليها شهرة الحذق والمهارة في الاستعمار »

« وان الفرنساويين ليس لهم في هذا القطر ان يشتغلوا بسياسة غير التي يبرهن بها للعنصر الاهلي عن كوننا لم نجيء تونس للغزو ولكن جيناها لتوطيد عرى الراحة والسلام »

ثم قال فخامته « في ساعة الافتراق يقول المتواجهون لبعضم وان شاء الله نتقابل بعد ايضا ولذلك فالبرغم عن كبر سني ارجو ان اعود في احد الايام لزيارة القطر التونسي عند ما تسمح لي الظروف بذلك »

وفي الختام صافح فخامة الرئيس مسيو جيرار وبارح قاعة الاستقبال بين نغمات النشيد الوطني الفرنساوي بلسان موسيقى جمعية الالحان الصفاقسية وبين هتاف الحاضرين وعبارات الدعاء له وللجمهورية بطول العمر

ثم لما انتهى موكب القبول بالمجلس البلدي عاد فخامة الرئيس وحاشيته لدار المراقبة حيث اقام مادبة خصوصية انيقة لوزرائه ورجال معيته والوزير المقيم والكاتب العام والمديرين الذين بصحبته من اعضاء الدولة التونسية والمراقب المدني وبعض الذوات وبعد ان استراح قليلا تصدق على جمعيات الفقراء والبائسين بالف فرنك واذن بالتاهب للرحيل فانتظم موكب ركابه باصطفاف نحو الثلاثين سيارة سريعة امام باب المراقبة وركب فخامته لمضى ساعة ونصف من الزوال وتحرك الركب على نغمات الموسيقي العسكرية وبين اسمطة الجند قاصدا قابس سائرا تحت الغمام وكان ذلك الوابل باعثا على سرور اهالى تلك الجهة التي اعتادت على الطل في مثل تلك الاوقات من الربيع فتفاءل اهلها خيرا من مرور الرئيس بديارهم وتوسموا فيه « البركة والصلاح » ونعته بعضهم اذاك (بالرئيس المرابط) قالوا ان المطر الذي جادت به السماء في تلك الآونة يناهز المياه التي نزلت مدا الثلاثة الاعوام الاخيرة جميعا

قلت فاذا صحت هـذه الاحصائية كان على الصفـاقسيين ان يحمدوا الله الذي انقذهم من الغرق ـ فلمـا مر الركب بالمطرية الواقعة على عشرة اميال من صفاقس خرج اهلها وتجمعوا تحت النخيـل واستظهروا بشعائر احترامهم واخلاصهم لعظيم الامة الحامية

هذا وكان البعد الفاصل بين صفاقس وقابس يبلغ لمائة واربعين ميلا كلها من الاراضى المدحوة بعضها صالح لغراسة الزيتون واغلبها ارض رملية مغمورة بالعوسج والذرو والنباتات الوحشية خلاءها اكثر من عمرانها يلوح عليها الفقر من بعد عدا الحمير بها فانها كثيرة جدا



الباب الخامس

في الكلام على قابس وواحات النخيل وبر الاعراض ونفزاوة والجهات الصحراوية

قابس بلاد الصحابة والتابعين من اقدم بلاد الاسلام طفحت بذكرها كتب التاريخ كان اسمها على عهد الرومان « تاكاب » فهي من مستعمراتهم الافريقية وكانت لعهدهم بدرجة راقية من المدنية

فلما فتحها الاسلام في خلافة سيدنا عثمان بن عفان كان البرابرة قد دمروها تدميرا إلّا ان العرب الفاتحين ومن انضم اليهم وجاء بعدهم احيوا رميمها فكانت في ايام عبيد الله البكري المؤرخ (مدينة جليلة مسورة ذات حصن حصين وارباض وفنادق وجامع وحمامات كثيرة قد احاط بجميعها خندق كبير يجرون اليه الماء عند الحاجة فيكون امنع شيئا)

وجاء في معجم البلدان ان (فيها جميع الثمار والموز فيها كثير وهي تمير القيروان باصناف الفواكه وفيها شجر التوت الكثير ويقوم من الشجرة الواحدة منها من الحرير ما يقوم من خمس شجرات غيرها وحريرها اجود الحرير وارقه واتصال بساتين ثمارها مقدار اربعة اميال)

والى قابس ينسب جماعة من مشيخة العلم اشتهروا في المشرق والمغرب وممن اثنى عليها واطنب في الكلام الشيخ ابن الشباط قال ناقلا عن والده

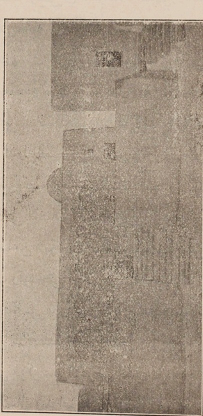
لقد كنت من قبل التفرق مذهبي   سوى ما عليه الاشعريون اطبقوا

فاني المسمى غير الاسم فها انا   اقول سواه حين جد التفرق

الم تراني كلما قلت قابس   نما قبس من جانب القلب يحرق

وان قلت ان الشمل منها ممزق   فان فؤادي عند ذلك يمزق

وبقابس دفن جماعة من الصحابة والتابعين منهم سيدنا ابو لبابة الانصاري واسمه بشر بن عبد المنذر مات رضي الله عنه في خلافة سيدنا علي ابن ابي طالب واليك منظر من مشهده



ضريح سيدنا ابي لبابة الانصاري دفين قابس

و وصفها الشريف الادريسي في نزهة المشتاق فقال « وقابس مدينة جليلة عامرة حفت بها من نواحيها جنات ملتفة وحدائق مصطفة وفواكه عامة رخيصة وبها من التمر والزرع والضياع ما ليس بغيرها من البلاد وفيها زيتون وزيت وغلات وعليها سور منيع يحيط به من خارجه خندقه ولها اسواق وعمارات وتجارات وبضاعات وبها مدابغ للجلود وبها ايضا نخل ملتف به من الرطب الذي لا يعدله شيء في نهاية الطيب وذلك ان اهل قابس يجنونها طرية ثم يودعونها في دنانات فاذا كان بعد مدة من ذلك خرجت لها عسلية وليس في جميع البلاد المشهورة بالتمر شيء من التمر يشبهه ولا يحاكيه ولا يطابقه في علوكته وطيب مذاقته »

هذا وقد لهجت التواريخ التونسية بذكر قابس في مواطن كثيرة على عهد الدولة الحفصية ثم على عهد الدولة المرادية ودولة الدايات لما انها ام الجهة الواقعة على ابواب طرابس لذلك كانت الانظار منها بالمرصاد سيما عند ظهور شوكة الدولة العثمانية بطرابلس ولم يكن سفر احمد باشا باي اليها في سنة ١٢٥٦ لغير مقصد ارضاخها للسلطة المحلية وآخر عهد لها بالحوادث الهامة المتقدمة على الاحتلال الفرنساوي ثورة غومه المحمودي في سنة ١٢٧٣ وكان غومة هذا من شعة بيت القرمنلي ملوك طرابلس وقد قاومه الامير محمد باي بكل عنف وقوة حتى اجلاه عن المملكة وكفا الاعراض شره

اما اليوم فقابس عبارة عن مدينة ياهلها نحو الاثني عشر الف نسمة وهي مركبة من ثلاثة بلدان قابس البحر والمنزل وجاره وعلى مجموعها يطلق اسم قابس وهي مركز عمل الاعراض الذي لا يتولاه في نظام الدولة التونسية إلّا احد كبار العمال وقد اعتراها من الفشل في القرون الاخيرة ما اعترى

بقية البلاد التونسية الا انها قد انتبهت لنحو عشرين عاما من سنة دعتها وشمرت عن ساعد الجد لتدارك ما فات فزاحمت جارتها عاصمة طرابلس الغرب واصبحت على وشك التمكن من ان تحـول لمرساها راس خط مسير القوافل والتجارة المتبادلة مع الاقطار الشاسعة بالصحراء الكبرى وما والاها من البـلاد السودانية

فلما وفد لزيارتها فخامة رئيس الجمهورية مساء يوم الجمعة ٢١ من افريل ١٩١١ وكان ركبه على مقربة منها تسابق اهاليها لاستقبال جنابه ولم يصدهم اذاك نزول المطر الغزير عن تظاهرهم لديه في جموع عديدة وكانت قابس في تلك الاونة لابسة حلة الافراح والاعلام خافقة فوق دورها ومبانيها وكانت منافذ البيوت واعالي الطيقان غاصة بالمتفرجين الهاتفين بالدعاء لفخامته وارصفة الازقة والطرقات تتماوج بالخلايق من كل الملل والنحل حتى النساء فانهن كن يولولن حذو جموع المريدين والذاكرين الخافقة فوق رؤسهم سناجق السادة والصلاح

وكان الجيش قد اخذ مصافه لرد السلام على الرئيس الفخيم اما جنابه فكان على غاية من النشاط لم يحصل له تعب قط بالطريق لذلك اذن في الحال بانتظام موكب القبول

فابتدا فخامته اولا بقبول مراسم الولاء والاخلاص من جناب الكمندان بوان رئيس الالاي التريس الخامس ومن الضباط واستعرض الجيش ثم قلد وسام الشرف للقبطان مورزاي وخاطب رئيس الالاي بقوله

« اني كنت ولا ازال احب الجيش لانه هو الممثل لمجد الامة في الماضي والحاضر لذلك كان الجيش محل عناية الدولة في كل الاعصار

واني لسعيد الحظ بالسلام عليكم لانكم على مقربة من الحدود واشفع هذه التحية بالاعراب عن ثقتي وثقة وزرائي بكم »

ثم تلقى فخامته بعد مراسم الاحترام والتهنئة من نواب قنصلات ايطاليا وانكلتيرة والبلجيك فصرح فخامته لاوليهم بما داخله من السرور لشواهد الوداد التي قام بها ماكاهما اذ ارسلا اسطوليهما للسلام عليه بميالا بنزرت

ثم ان فخامته تلقى زيارة النزلاء الفرنساويين واذاك قدمت له احدى البنات من غصون الجنس اللطيف باقة من الزهور شفعتها بابيات من الشعر الفرنساوي وها انا ذا موديها هنا بمعانيها اللطيفة واشاراتها الظريفة في نظم عربي مبين

نفوسنا صغيرة عشيقها فرنسة
رضاع امهاتها مع لبن محبة
قلوبنا خافقة فرحها زيارة
ورحلة حافلة تحفها جلالة

***

في اعين كبيرة ذات الرئيس امة
بوطن مقدس شعاره حرية
ممجد اكليلكم في نظري وءاية
رموزها فخارنا وراية منصورة

***

هدية اليك ذي من الزهور باقة

تاخذها من يدنا كما اب وجدة
قليبنا داع لكم وهو لعمري حجة
دليلها قولي هنا تحي لكم فخامة

فشكر فخامة الرئيس والد البنت الشاعرة ثم قصد بالخطاب مجموع المعمرين وقال

« لنا العلم بما تعملون بهذه الارض وبما لكم من الثبات وصحة العزيمة لذلك نتلقى شعائر احساساتكم بجوارح قلوبنا الخافقة حول اتحادكم مع الاعتقاد بان تعلقكم بفرنسا يزداد متانة بقدر ابتعادكم عنها ــ اما انا فاحثكم على اعانتنا لانتشال اذهان الامة التي تعيشون بين اظهرها »

فاثر كلامه في الحاضرين تاثيرا غريبا حتى انه تقدم نحوه من اخريات القوم شيخ هرم كلمه باللسان الدارج الغصكوني الذي هو لغة مسقط راس فخامة الرئيس قائلا له « اسمح لي بمصافحتك لاني لا امل لي في رايتك بعد حيث كنت أسن فرنساوي اقلته ارض قابس » فضحك الرئيس واجابه بلسانه قائلا « انا ايضا مسن مثلك ويعجبني ان اصافحك واحييك تحية قلبية » ثم صافحه مصافحة كريمة ودعا له بطول العمر فآنس منه الشيخ الغصكوني لطفا وشكره وقدم له احفاده للسلام عليه

ثم تقدم للسلام عليه المعلمون والمعلمات فافاض القول في اطرائهم واوصاهم بالناشئة خيرا

وتلقى على اثر انصرافهم مراسم الاحترام من المتوظفين والمستخدمين بالادارات العمومية فخاطبهم بقوله

« ان لكم نصيبا وافرا في فتح هذه الارض بالطريقة السلمية وسيبقى ذلك محفوظا بخلدي فلا انسى بعد تونس وقابس بالرغم عن هذا المطر المتنازل بل لاجل هذا المطر الذي هو نعمة ورحمة – لا شك ان قطراته ستتحول ذهبا لتعمير كثير من الجيوب الفارغة »

ثم تقدم لفخامته جناب السيد محمد بن خليفه عامل الاعراض يعضده المجلس الشرعي والمجلس الافاقي ونائب الاعراض بمجلس الشورى وخلفاوات العمل وشيوخه وعمد القبائل والعروش واخوان الطرق ومشايخ الذكر وبعد ان قدم له العامل مراسم التهنئة والاحترام بلسان الجميع اجابه فخامته بالعبارات الاتية

« ان سياسة الحماية جلية لا غبار عليها وهي الامان بعينه اذ لا احد يجهل انه ليس من مرادنا العبث بشعائركم واخلاقكم لان سلطان العقيدة لا يهتك حرمه نعم ان المجال فيما عدا ذلك فسيح اذ في الامكان ملاقاة كل الناس على بساط الخيرية والعدالة لذلك نرى حقا عليكم انتهاج مسلك التوفيق بين العنصرين الاسلامي والاروباوي »

ثم ان فخامة الرئيس ختم الموكب بقبول مراسم التهنئة والاحترام من الطائفة الاسرائيلية فخاطب حبرها بعبارات جاء فيها قوله

« ان فرنسا لا تميز بين اصحاب المعتقدات المختلفة لان مرادنا ان نشمل كل المستظلين بحمايتنا بالعدل والاحسان »

ولما ادى المترجم عبارة هذه الجملة بالعربية اليهم نطقوا بلسان واحد داعين لفخامته فتفضل بمصافحتهم واذاك تناولوا يده بكل احترام وقبلوها تقبيلا

هذا وبعد انتهاء موكب القبول اعد فخامة الرئيس مادبة انيقة دعا للعشاء بها ثلاثين من الاعيان منهم العامل السيد محمد بن خليفة والسيد الحبيب بن رجب العضو بمجلس الشورى واحسن لاولهما بوسام اللياقة الزراعي من الدرجة الثالثة



جناب السيد محمد بن خليفة عامل الاعراض

ثم قضى فخامته ليلة السبت بدار المراقبة وفي صبيحته تاهب ركابه للرحيل بقصد زيارة الجهات القاصية من العمالة وجعل وجهته قصر مدنين

فتحرك ركابه مصحوبا بوزرائه وحاشيته في نحو الساعة الثامنة صباحا وطاف باحياء قابس حيث زار معرض الزراعة والفواكه واعجب بنوع من الفراولة انفس مما هو موجود بغيرها كما تامل بدقة من انواع حبوب الحنطة والشعير مظهرا اعتناءه وتمعنه للافادات التي كان يلقيها في هذا المقام جناب مدير الفلاحة ومدير المعرض ثم خرج موكبه قاصدا واحة قابس لمشاهدة النخل الباسقات فاعجب بالتفافها وبما تكنه عرائشها من التمر الشهي صنع الله الذي اتقن كل شيء

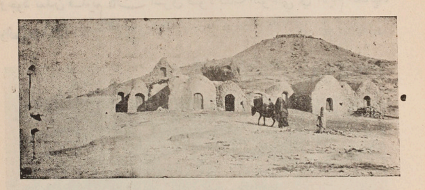


واحة النخل بقابس

97

وبعدئذ سار الموكب مجنبا مشرقا قاصدا قصر مدنين حيث مناخ الادارة العسكرية المهيمنة على الجهات القبلية والقابضة على ازمة الحدود الطرابلسية واخلاف تونس الصحراوية

وجهة قصر مدنين كانت في غابر الازمان من المستعمرات الزاهرة التي انشاها الفينيقيون بنحو الف عام قبل الهجرة ومنهم اخذها الرومان حوالي القرن الثاني بعد المسيح وشيدوا بها البناءات الشامخة الباقية اطلالها ليومنا هذا وجلبوا لها المياه في قنوات من الصخر من الوادي المعروف بواد الحلوف

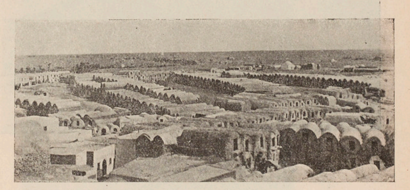


قصر الحلوف على مقربة من قصر مدنين

فكانت في زمنهم من المستعمرات الافريقية الطافحة بالعمران وكان مرساها التجاري بحيرة بوغرارة جنوبي جربة

ولما فتح المسلمون افريقية كانت مدنين على ممر الغزات وبالطبع انهم فتحوها في جملة ما فتحوا اثناء حملتهم الاولى بقيادة عبد الله بن سعد بن ابي سرح سنة ٢٩ على المشهور إلّا انها كانت اذاك قاعا صفصفا لان البربر دمروا البلاد واحرقوا الغروس ظنا منهم ان تفقير البلاد يحمل العرب على الرجوع

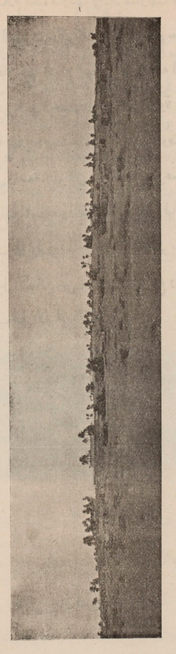
لاوطانهم بجزيرة العرب وهو وهم لان نور الاسلام كان يومئذ نضاحا يتزايد
حينا بعد حين ورجاله في مقتبل العمر لاهم لهم إلّا نشر الويته على العالم
وهذا زيادة على ما انتابها قبل من هجوم الوندال واستيلاء الروم عليها يقال
ان مرسى بوغرارة وحده وهو فرع تابع اذاك لمدنين كان ياهله على عهد
الدولة الرومانية خمسة عشر الفا من السكان ولا يبعد ذلك لان البعرة تدل
على البعير وهذه آثار ابنيتهم الشامخة بتلك الجهة لم تزل ناطقة بما يؤيد
وجود تمدن قديم كان اشرق ضوءه بتلك النواحي في الايام الخالية
والعهود البالية



منظر الغرف وهي مساكن البدو بقصر مدنين

ولم يكن ذلك التمدن بالقاصر على مدنين ونواحيها بل كان سلطانه
ممتدا للجهات الشاسعة كنفزاوة وفم تطاوين وبن قردان ومطماطة
والدويرات وغمراسن والتوازين والخزور وعكارة والذهيبات والجناين
وسواهم مما يحسبهم الغافلون في زوايا النسيان

فلما جاء الاسلام احيا دارسها واعاد عمارتهـا فكانت جهاتها طافحة بالسكان كثيرة الخيرات والبركات وهكذا دام حالها الى عصور متاخرة انظر رعاك الله ما قال فيها الامام العياشي في رحلته التي كتبها بعد حجته الواقعة في عام ١٠٧٢ للهجرة حيث قال (وبلاد نفزاوة هذه قرى كثيرة تقرب من الالف كل قرية منفردة وحدها على نشز من الارض بنخل مجتمع بازائها وماوها فيها حياض واسعة) ثم قال : والحجاج يزعمون ان اصل تسمية هذه البلد بنفزاوة انها كانت فيها الف زاوية فقيل لها الف زاوية ثم تصرف في التسمية فسميت نفزاوة وما ذكروه وان كان قريبا لا يصح لان تسميتها بذلك قديمة من قبل الاسلام على مـا في التواريخ والاصـل المذكور عربي ولا عربية في المغرب قبل الاسلام اتفاقا)



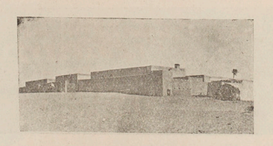
منظر من واحة دوز بصحراء نفزاوة

اما الان فعمرانهـا ضئيل جدا بالنسبة لما كانت عليه في زمن الامـام العياشي لان قراهـا التي كانت اذاك تناهز الالف وهي رواية تدل على الكثرة ولو كانت فيها مبالغة فانها لا تتجاوز الخمسين قرية اهمها مدينة قبلي التي هي مستقر الحاكم العسكري الفرنساوي المتامر على نواحيها امـا واحات نخيلها كواحة دوز وواحة تلمـين فانها في تناقص لهجوم الرمـال عليها لذلك اقامت لها الدولة التونسية سـدودا في سنة ١٣١٣ لرد تلك الهجمات التي لو دامت لقضت عليها



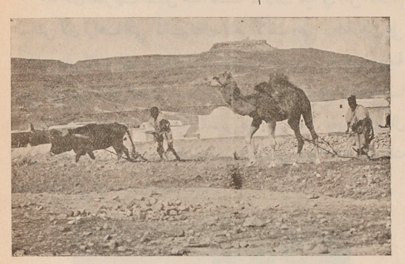
واحة النخيل بتلمين من عمل نفزاوة

اما قاعـدة نفزاوة لعهدنا هذا فهي بلد قبلي وبهـا مركز العمل ومركز الحكومة العسكرية كما سبقت الاشارة لذلك



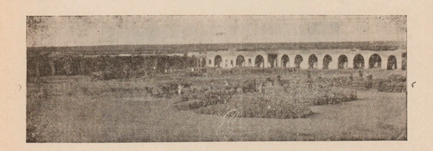
البرج الحربي بقبلي من عمل نفزاوة

ومن اعمال مدنين فم تطاوين وهى عبارة عن واحة من النخيـل لا



كيف يحرثون الارض بفم تطاوين

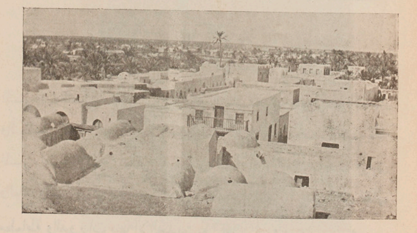
اجمل من موقعها وبها مساكن الودارنة في الجبل الابيض وهم من نسل قبايل زناته ويليها للشمال الشرقي بلد بن قردان وهي واقعـة على بحيرة البيبـان احيتها الادارة العسكرية في السنين المتاخرة لذلك كان بناءها ارقى مما عليه قرى بقية قرى تلك الجهة



سوق بن قردان

وبشمال مدنين لجهة الشرق مرسى جرجيس ولها سوق تجارة نافقة وكانت على عهد الرومان مناخ نزهتهم ورياضاتهم وعرايشهم ولم تزل مواجلهم بها قايمة الذات الى الان بل وبعضها وقع الانتفاع به كما وقع الانتفاع بمواجل المياه بقرطجنة حيث جعلتها الدولة التونسية خزانا لري اهل تونس وهذه المواجل تاوي من الماء الزلال المجلوب من عيون زغوان وجقار وبرقو كمية لا تقل عن خمسين الف ميتر مكعب

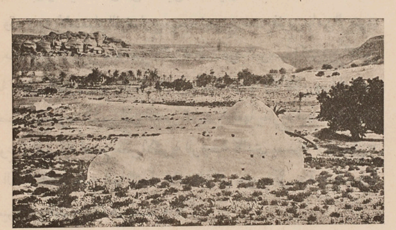
وقد وجه الاستعمار الفرنساوي مهجته نحو جرجيس فغرس بها من الزيتون في مدة هذه الثلاثين سنة نحو ثلاثمائة الف عود اثمر منها اكثر من الثلثين كما تعاطى المعمرون بها خدمة الارض باحياء مواتها والانتفاع بها لزراعة الحنطة وخصوصا الشعير لان الشعير النابت بارضها يخرج ابيضا فضيا وهو النوع المرغوب فيه لصنع بعض الاشربة الروحية كالذي يسمونه « ويسكي » ثم الجعة لذلك يقدم اليها التجار الانكليز في موسم كل سنة ويشترون شعيرها ويحملونه لبلادهم لصنع ما ذكر



منظر مرسى جرجيس



ولغربي مدنين توجد جبال مطماطة ويقال ان جدود اهاليها من البرابرة الذين اعانوا الكاهنة على تدمير افريقية اختلطوا فيما بعد بالعرب من بني هلال وبقوا على تقاليدهم وعوائدهم يسكنون الغرف والاعشاش حيث يختزنون اقواتهم بما يدلك على ما كان في طباع اسلافهم من الظنون والشكوك التي يستعدون نحوها لجمع المؤن بالبيت حتى يكون الفضاء واسعا في وجوههم لمجرد الكر والفر

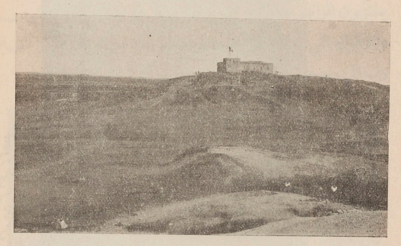


منظر جهة غمراسن

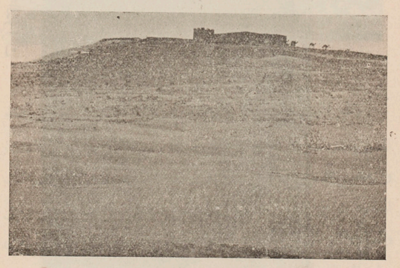
ولئن كان رجالهم كذلك فقد كان لنسائهم من المهارة في صنع المنسوجات الصوفية من فرش ولبوس ما اكسب جهتهم شهرة عند التجار والنخاسين الذين كانوا يتبادلون معهم البضايع فياخذون منهم تلك المنسوجات وما تنتج ايديهم من مصنوعات الحلفاء ويعطونهم قبلها الرقيق والعاج والتبر الى غير ذلك من الروابط التجارية التي لم يبق لدى اهالي مطماطة والدويرات منها إلّا الحديث على تقديز ان فيهم من يحسنه

قصور بني بركة من جبل الدويرات

ووراء هذه النواحي الشاسعة التى اصبحت اصقاعها تسبح اليوم في بحر الامان والسكينة والهدو توجد النقط العسكرية القائمة بحراسة اخلاف المملكة التونسية كابراج الذهيبات والجناين وزاير وما والاهامن واحات النخيل ومراشف الماء بالصحراء



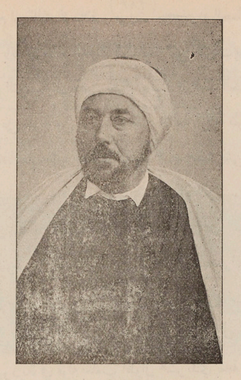
برج الذهيبات



برج الجناين

ومعلوم ان تلك الاخلاف حررت حكومة الحماية حدودها في سنة ١٢٢٩ باتفاق مع الدولة العثمانية التي اعترفت بوقوعها ضمن المستملكات التونسية الى اقصى جهاتها بحيث ان الحد الجنوبي لهذا القطر صار موقعه على مقربة من ابواب غدامس التابعة لولاية طرابلس الغرب

وهذه القفار جابها صاحبنا الشيخ محمد الحشايشي في سنة ١٣١٣ وكتب فيها رحلة حافلة نشرت ترجمتها باللغة الفرنساوية تعرض فيها لاسماء قبائل الملثمين واخلاقهم وعوائدهم كما افاض القول فيها عن الطريقة السنوسية المنتشرة من فزان الى اطراف الصحراء الغربية وهؤلاء الملثمون من نسل بعض اولئك الجيوش الجرارة التي كانت ملتفة حول عبد المومن بن علي موسس الدولتين الموحدية والحفصية والى مثلهم اشار فخامة رئيس الجمهورية في قوله بملعب اطوال الشريدي بغابة صفاقس « اولئك الفرسان خطاطيف الصحاري تلك القفار التي كانوا وحدهم روادها » ولقد اصاب فخامته في وصفهم لانهم من الذين يعتقدون ان الارزاق معقودة باسنة الرماح



الشيخ محمد الحشايشي الشريف

هذا واراني قد بعدت بالقاري عن موضوع الرحلة وانما اداني لذلك حب الالمام باخبار المملكة التونسية اجمع لان الرحلة الرئيسية استقصت اغلب جهاتها كما تقدم لك ذلك وكما ستراه بعين المشاهدة في الابواب التالية وبهذا الالمام نكون قد احطت بالكلام على الوجه البحري من شمال وشرقي القطر التونسي كما اشبعت القول عن اعماله الجنوبية واخلافها بالقفر والصحاري لذلك عن لي الرجوع بالقاري لحديث زيارة مسيو فليار لمدنين فنقول

103

لما حل ركاب فخامته بمدنين كان في استقبـاله على بعـد من البلدة جناب الكولنيل فوشي الكمندان الاكبر لـكافة الجهـات العسكرية الجنوبية يكتنفه ضباط المراكز من الجهـات السحيقة حتى المنقطعة عن المواصلة والعمران فقد جاءوا على المهاري والابل يقطعون البراري من بعد مسافة ثلاثة ايام ولله در الامير عبد القادر حيث يقول في وصف ذلك

سفائن البر بل انجى لراكبها سفائن البحر كم فيها من الخطر

وكان في صحبة الكمندان نحو الثلاثة الآلاف من سكان تلك الجهات فتقدم الكمندان وحي فخامته بحسامه وفعل مثله بقية الضباط اما فخامته فقد رد عليهم السـلام واظهر استحسانه لبزة اولئك الاعراب حيث كانت عممهم وبرانيسهم في نهاية من البياض وكانوا مستظلين من الشمس بمظلات عريضة من التبن الجميل وكان عمالهم ومشايخهم وعمدهم متحلين ببرانيس حمر يعلوها وشاح بطرز الذهب وفي مقدمتهم البطل المقدام السيد سعيد ابن نصر عامل نفزاوة موشح الصدر بوسام الشرف الذي كانت اهدته له الدولة الفرنساوية عند ما خاطر بنفسه وترامى على المهالك لاسترجاع شلو الماركيز دە موريس الذي قتله المثمون بجهة الوطية على مقربة من سيناون لمدة ستة عشر عاما فارطة فلما راى فخامة الرئيس ذلك الجمع العظيم من الخلائق وهـم لاهجون بمظاهر الطاعة والاخـلاص انشرح خاطره لمنظرهم واخذ يتتبـع بدقة حركاتهم وسكناتهم معجبا بمهارتهم في الكر والفر وبفرستهم وحذقهم في ركوب الخيـل واذاك قام اولئك

الالوف بملعب عربي عظيم تحت انظار فخامته ووزرائه بما راق في اعين جنابه

ثم تقدم الموكب ودخل بلد مدنين بين هتاف الرجال وولولة النساء فاجتاز طرقاتها ووقف بباب الكمندان حاكمها العسكري واذاك اذن فخامته بانتظام موكب القبول فتقدم جناب الوزير المقيم وعرف فخامته بضباط المركز وخاطبه بقوله (ان هولاء الضباط متاثرون جدا للعناية العالية التي قمتم بها نحوهم اذ قدمتم لاجلهم من مكان بعيد لتعرب لهم فخامتكم مباشرة عما لفرنسا نحو ابنائها البعيدين عنها من الاعزاز الذي جعل منزلتهم امكن من قلبها وهولاء الضباط يمثلون الحكومة بهذه الجهات على احسن نظام وابدع اسلوب ناهيك انهم يجمعون في ذواتهم ماموريات شتى فمن مدارس احدثوها للتعليم ومن مستشفيات قاموا بخدمتها في سبيل الانسانية ومن طرقات مهدوها للعابرين وابناء السبيل ومن رياضات واجنة اسسوها لغرس عروق المدنية بهذه الارض ومن ارشادات ونصايح لقنوها للعنصر الاهلي ليسلكوا به مسالك الرقي والحضارة وبعبارة افصح فهولاء هم الاباء المربون لهذه الاصقاع واهاليها وكل مشروع حسن تم بهذه الارض راجعة مزيته عليهم)

وقد اجابه فخامة الرئيس بمظاهر الشكر قائلا « انه لعريف بمقدار جد الضباط واخلاصهم واستعدادهم بشراشر قلوبهم لاعلاء مجد فرنسا على ان لهم حظا وفيرا في كل المشروعات والترقيات التي انجزتها ادارة الحماية بالمملكة التونسية فهم من هذه الوجهة هنا نواب التقدم والمدنية »

ثم تقدم لاداء مراسم التهاني عمال و رغمة ونفزاوة ومطماطة يصحبهم اعيان اعمالهم فاعرب لهم فخـامة الرئيس عن رضائه على مسلكهم وانعم على اولهم وهو السيد مسعود بن العربي بوسام الشرف الفرنساوي وهناه عن اخلاصه في خدمة الحكومة المحلية كما هناه باخلاص ابنه في خدمة الادارة العسكرية واذاك اجاب العامل متشكرا وقائلا ما معناه « ان من جاء على اصله فلا سوال عليه لذلك كان صنيع ابنه من قبيل القيـام بالواجب والمرء لا يستحق الثناء عما هو فرض عليه »

هذا وعند انفصال موكب القبول اعد فخامة الرئيس مـادبة حافلة دعى اليها وزراءه والمقيم العام والجنرال بيستور والكولنيل فوشي والسيد سعيد بن نصر والسيد مسعود بن العربي والسيد الحبيب بن ابراهيم ونحو ثلاثين آخرين من الذوات والاعيان اما بقية رجال القافلة الرئيسية واهل الصحافة فقد اقيمت لهم مادبة خصوصية انيقة بخان قبلي الذي هو اجمل بناية بالبلد

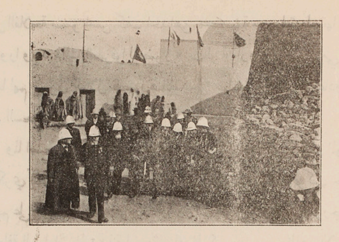
وكانت الونة الطعام الذي تناوله فخامة الرئيس ورجاله من انواع الطبيخ العربي كسكسون وشكشوكة وشواء على اسلوب البـدو وهذا الشواء كان عبارة على ثلاثة خرفان تامة الذات قدمت للمائـدة ملتفة في لحاف من الكتان فوق عامود طويل

ثم تحرك الموكب لزيارة المستشفى الاهلي الذي احدثته الادارة العسكرية بمساعدة الكتابة العامة في سنة ١٣٢٧ فطاف فخـامة الرئيس بغرف هذا المارستان الذي هو لدى عموم سكان تلك الجهات بمنزلة الماء من الضمأن واثنى على همة الرجال الذين قامـوا بمشروعه ثم اثنى بوجه

خاص على جناب مسيو بلان الكاتب العام لعنايته بالشئون الصحية وهناه عن حزمه ونشاطه كما هناه الوزراء ايضا بذلك ومن هنالك تحرك الموكب لزيارة مدرسة البلد حيث تلقى فخامة الرئيس تهنئة مديرها كما نصت لخطاب القاه عليه بالفرنساوي طفل بدوي اعجب لفصاحته الحاضرون ومن المدرسة توجه فخامة الرئيس لافتتاح محل البوسطة الجديد فتلقاه بباب الادارة جناب مسيو شومي الكاهية الوزيري للبوسطة والتلغراف بباريس وطاف به خلال غرف واقلام الادارة التي جاءت غرة في جبين قصر مدنين

ثم ارتقى فخامته لرواق المحل واستعرض جيش المهاري وكانوا في عدد اربعمائة فارس تحت امرة القبطان جيرار كما استعرض الجند العربي المسمى « القوم » وهذا الجند الذي احدثته فرنسا بالجزائر كما احدثت مثله بالجهات الجنوبية بتونس قد احدثت اخيرا نظيره بالمغرب الاقصى وهو عبارة عن شبان يوخذون من القبايل والعروش تبقيهم الدولة على نظامهم العايلي إلّا انها تسلحهم وتجعلهم تحت امرة ضباط فرنساويين وتوكل بهم القيام بوظيفة الطلايع في الحروب اعني تجعلهم في ميدان الوغى مقدمة للجيوش النظامية وقد ابلوا البلاء الحسن في مواطن كثيرة مما حمل فرنسا على توسيع نطاق افرقتهم بمستعمراتها وبالبلاد الخاضعة لنفوذها بافريقا الشمالية

وختم الرئيس رحلته لمدنين بزيارة احيائها العربية وتعجب كثيرا بالخصوص من المساكن الاهلية المسماة في اصطلاحهم بالغرف كما سبق التعريف بذلك في محله من هذا الباب



فخامة الرئيس وحاشيته متوجهون لزيارة الغرف بقصر مدنين

ثم تلقى فخامته مراسم الـوداع من الكلونيل فوشي وتحرك ركابه مخفورا بالقوم المشار اليهم وبجيش المهاري عائدا لقابس فوصلها مع الغروب وقصد دار المراقبة المدنية حيث اقام مادبة فاخرة للوزراء والمقيم العام والكاتب العام والجنرال بيستور والمراقب المدني وغيرهم من الدوات

وبينما كان فخامته يستريح اثر الوصول خرج الوزراء ورجال الحاشية قبل حضور المـادبة المذكورة وزاروا احياء المدينة وبالاخص المعرض الصحراوي الذي اقامه الاخوان التاجران الكبيران السيد محمد والسيد احمد علان وهو عبارة عن معرض بضايع ونتايج صحراوية وسودانية جلبتها القوافل التي رتب سيرها بانتظام الاخوان المذكوران بين قابس وتنبكتو قاعـدة السودان الغربي فاعجب الجمع بحسن تنسيق تـلك المعروضات واشتروا منها اشياء كثيرة كما حضر الاعيان المذكورون بعد العشاء حفلة « عيساوية » اعقبها رقص سوداني قام به عشرة من الزنجيات فضض جناب

وزير الفلاحة مسيو بامس كف احداهن بكمشة مجهولة طيرتها فرحا وسرورا وبعد ذلك انصرفوا لحضور « بالو » اوروباوي عمومي اقيم اكراما لهم بسوق الغلال فقضوا هنالك جزء عظيما من الليل وعادوا في وقت السحر لدار المراقبة المدنية

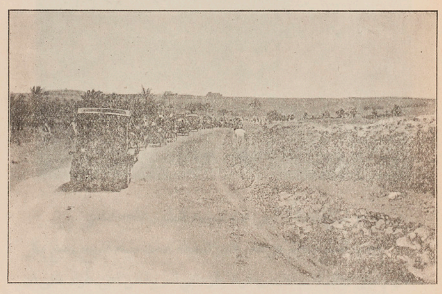
ولما اصبح الصباح تاهب فخامة الرئيس لمبارحة قابس فانتظم الموكب العسكري ببطحاء المراقبة وترنمت الموسيقى بانشودة المرسلياز فركب جنابه الفخيم على الساعة السابعة عربة سيارة وركب الوزراء والحاشية ورجال الصحافة السيارات المعدة لنقلهم وتحرك الموكب بين مظاهر الاجلال والتعظيم قاصدا محطة الغريبة البعيدة عن قابس بثمانين ميلا والواقعة على السكة الحديدية الموصلة للجريد



الباب السادس

في الكلام على الجريد ومناجم الفسفاط بالمتلوي
وزيارة فخامة رئيس الجمهورية لقفصة ولمعامل الفسفاط

كان السماء زاهيا والهواء عليلا عند خروج الركب الرئيسي من قابس صبيحة يوم الاحد ٢٣ افريل ١٩١١ بقصد التوجه لموقف الحديد بالغريبة فتمكن فخامته كما في اليوم قبله من تسريح الطرف في رياض هاتيك النخيل الباسقات المتلاوحة الاطراف على اليمين والشمال واجال النظر في جمال هاتيك المناظر الرايقات والغصون المستقيمات وكانت علايم الانشراح والانبساط بادية على محياه والعربان والبدو يهتفون على ممر ركابه ويدعون له بالسعادة



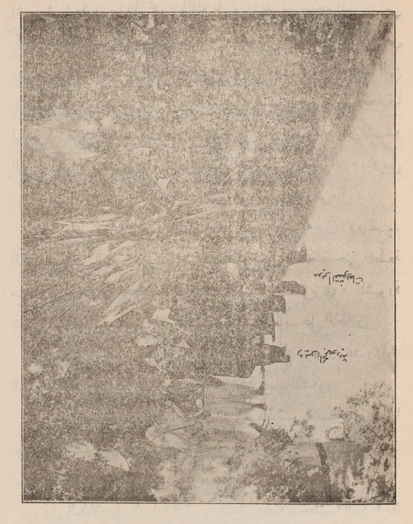
موكب فخامة الرئيس راكبا عربات الاتمبيل فيما بين قابس والغريبة

ولما كانت ساعة الضحى وصل الموكب لمحطة الغريبة حيث كان في انتظار فخامة الرئيس رتل خصوصي لنقل جنابه من هنالك للمكناسي وقفصة والمتولي فامتطى فخامته ووزراءه وحاشيته متن القطار وساروا قاصدين بلد المكناسي التابعة لعمل الهمامة فوصلوها في حدود الزوال

واذاك نزل الموكب لمحطتها وكانت لابسة ثوب الزينة وجدرانها مغشاة بالزرابي الجميلة من صنع عروش جلاص والاعلام خافقة فوق اعاليها فدخل فخامة الرئيس لقاعة القبول وتلقى مراسم السلام والاحترام من النزلاء الفرنساويين ومن اعيان عمل الهمامة يتقدمهم عاملهم السيد الطيب المغراوي وخلفاوات ومشايخ وعمد عروشهم ثم من مدير مدرسة المكناسي ومعلميها فشمل الجميع بلطفه المعهود واحسن للتلامذة براحة ثلاثة ايام ثم توجه للفطور



107



موكب فخامة الرئيس عند توجهه للفطور بالمكناسي

وهذا الفطور اقيم على مقربة من المحطة تحت خيام فسيح رصع بكل غال وثمين وكان اديم الارض مفرشا بالزرابي العربية من اعلى طراز حتى ان الاقدام كادت ان لا تستقر عليها لثخن فروها وكانت مائدة الطعام تحاكي

اشهى شيء يكون بما دل مجموع ذلك على ثروة شركة مناجم المتلوي التي
كان فخامة الرئيس في ضيافتها من ساعة حضوره بالمكناسي اما المكناسي
وهو من مراكز الاستعمار الحديثة فهو عبارة عن سوق لوسق الحلفا التي
يقطعها البدو من جهات عمل الهمامة وماجر ويعيشون من ثمرتها وتجارتها
لها حركة غريبة فقد سمعت من الثقات ومن اعيان بيوت ماجر ان البدو
الذين كانوا لا ينتفعون بها اصبحوا بفضل اختلاطهم بالتجار الاروباويين
من احسن الناس تقديرا لتلك النعمة التي هي تجارة بلا راس مال

ولما جلس فخامة الرئيس للطعام اجلس ليمينه وشماله وزراءه والمقيم
العام والكاتب العام ومدير شركة الفسفاط ورجال الصحافة حتى اللطيفة
مدام مريم هاري مكاتبة جريدة « التمثيل التصويري » المشهورة
بتحريراتها الخيالية وبحب ابناء تونس خصوصا والعرب على الاطلاق

وبينما كان القوم يفطرون كانت آلاف البنادق تبرق وترعد ووفود
العرب يتظاهرون بمظاهر السرور اكراما للرئيس المشكور

وبعد انتهاء موكب الفطور تحرك الركاب الرئيسي قاصدا قفصة مارا
على مركز السند حيث وقف لحظة لقبول مراسم احترام اعيان المكان
ثم استانف السير الى ان حط رحله بقفصة

قبل الكلام على الزيارة الرئيسية لاعيان قفصة بمحطتها الحديدية
لان برنامج الرحلة لم يتضمن زيارته لمدينة قفصة نفسها ولا لتوزر ايضا لان
تضايق الوقت حكم بالتوسط بين البلدين وجعل موكب القبول بالمتلوي
الذي هو اثرى بلاد الجريد في الزمن الحاضر يجدر بنا جريا على القاعدة
التي توخيناها في هذه الرحلة من تصدير كل مدينة نذكرها بملخص

تاريخي وجيز لماضيها وحاضرها ان ننقل للقاري الكريم ما تعلق بذهني من اخبار المدينتين المذكورتين ثم نرجع لحديث الرحلة الرئيسية فقفصة كانت تسمى على عهد الرومان « كابصة » ومن زعم غير ذلك وادعى ان لفظ قفصة جاء من مادة « القفص » الذي هو الوثب اي النشاط فهو وهم ليس من الصحة في شيء وقد لعبت قفصة دورا عظيما في الازمان الاولى سيما في ايام الامبراطور ماريوس الذي أخربها واعاد عمارتها في حدود سنة ٧٣٠ قبل الهجرة

اما في دولة الاسلام فقد تناقص عمرانها بفشو الفتن في ربوعها سيما على عهد الدولتين الموحدية والحفصية وقد جاء ذكرها بعبارات التمجيد في معجم البلدان الى ان قال « وبها ينبوعين للماء احدهما يسمى الطرميد (وقد حرفوه لعهدنا هذا فجعلوه « الترميل » وهو لحن كما ترى) والاخر الماء الكبير وخارجها عينان اخريان احداهما تسمى المطوية والاخرى بيش وعلى هذه العين عدة بساتين ذوات نخل وزيتون وتين وعنب وتفاح وهي اكثر بلاد افريقيا فستقا ومنها يحمل الى جميع نواحي افريقية والاندلس وسجلماسة وبها تمر مثل بيض الحمام وتمير القيروان بانواع الفواكه قال وقد قسم ذلك الماء على البساتين بمكيال توزن به مقادير شربها معمولة بحكمة لا يدركها الناظر لا يفضل الماء عنها ولا يعوزها تشرب في كل خمسة عشر يوما شربا وحولها اكثر من مائتي قطر عامرة آهلة تظر وحواليها المياه تعرف بقصور قفصة » قلت وهذه القصور هي المدائن والقرى والمداشر الموجودة بالجريد حتى لعهدنا هذا ومنها الحمة التي تسمى اليوم الحامة باشباع الحاء ونقطة وكانت

تسمى نفطى والوديان وكانت تسمى دقيوس وتوزر بسكون الواو وغيرها مما امر بتخريبه يوسف بن عبد المومن بن علي لانهم عصوا عليه قال ياقوت وعزاه للبكري ان توزر كان يخرج منها في اكثر الايام الف بعير موقرة تمرا قلت وعلى تقدير وجود مبالغة في هذه الرواية والناقل امين فان تعبيره بوقر الف بعير يدلنا على وفرة كمية التمر الذي كانت تصدره واحة توزر في القرون المتوسطة اما اليوم فحصولها من التمر دون ذلك بكثير إلّا ان موسمها عظيم بالنسبة للزمان والمكان واغلب ما يقتطف اليوم من نخيلها لا تراه اعيننا بل نسمع به مجرد السماع لان احسنه يشتريه التجار فوق رؤس شجره ويبيعونه كذلك ومنها يشحن في الصناديق ويوسق لاروبا على طريق الجزائر

وفي مدح توزر يقول الكاتب ابو علي بن ابراهيم

خير البلاد لمن اتاها توزر يا حبذا ذاك الجنان الاخضر

والنخل مثل عرايس مجلوة في سندسيات اللباس تبختر

وكانما نظم الحلي لنحرها من لؤلو وزبرجد يتخير

وهي طويلة نقل منها ابن الشباط ثلاثين بيتا وعلى ذكر ابن الشباط نقول انه قد اصبح متقررا في الاذهان ان ابن الشباط هذا هو الذي ضبط طريقة توزيع المياه بالجريد اي بالجهاة المسماة لعهدنا هذا ببلاد السقي وهو قول يحتاج لنظر لان ابن الشباط كان يعيش في اواخر المائة السابعة وهذا كتاب المسالك والممالك للبكري الاندلسي المتوفى سنة ٤٨٧ فصل كيفية توزيع تلك المياه على اوضح بيان فيكون ما نسب لابن الشباط

انما حصل بمجرد الشهرة او باحيائه لشيء تلاشى فاعاد وضعه ومن الجائز انه اعاده باسلوب احسن مما وضعه من تقدمه

ولنرجع لحديث الرحلة فنقول ان فخامة رئيس الجمهورية لما نزل موكبه بموقف الحديد بقفصة تلقى هناك مراسم السلام والاحترام من اعيان المعمرين الفرنساويين ثم من متوظفي الادارات الفرنساوية فخطب لديه المراقب المدني مسيو بريكيز خطابا نفيسا حياه فيه نيابة عن الخاصة والكافة



اقتبال فخامة الرئيس عند دخوله لقفصة

وقد اجابه فخامة الرئيس بالعبارات الآتية « ان رحلتي هذه تشمل في آن واحد مقصدين وهما التفسح بالعمالة التونسية ثم البحث عن احوالها لان مرادنا استطلاع شؤن هذه الديار من كل الوجوه اما فيما يخصكم فاني

على ثقة من لياقتكم لما انتم اهـله من الاعمـال الموكولة اليكم وهي اوصاف قدرها جناب الوزير المقيم حق قدرها منذ زمن بعيد لذلك اصبح سروري عظيما تلقاء صنيعكم المحمود

ومن جهة اخرى فحيث ان جناب الوزير المقيم راض عن اعمالكم يسوغ لي ان اشكركم بلسان الامة الفرنساوية قاطبة وان اوصيكم بالاستمرار على اقناع العنصر الاهلي بان مشروعنا بهـذه الارض انما يرمي للصعود بها الى ذروة التقـدم والمدنية لانه متى قمتم بهذه الوظيفة يصير الاهلي متحضرا للسعي معنا بالقول والعمل اي باللسان والقلب

وفي هـذا المقام نقول ان من الوسـائل المشروعة للحصول على تلك الغاية فتح المدارس في وجوه صغار الاهالي لتثقيف اذهانهم وتعويدهم على الخدمة بالاساليب النافعة والمختصرة وكلامي هنـا ينصرف بوجه خاص لاساتذة التعليم لاني لا انفك قائلا ان وظيفتنا بالمملكة التونسية هي امتلاك القلوب لا الاشباح »

فـكان لهذا الخطاب وقع عظيم في النفوس اعقبه هتاف اعظم منه بلغ لعنان السماء ثم انصرف المامورون الفرنساويون وتقدم اعيان الاهالي للسلام على فخـامة الرئيس وكان في راسهم عاملهم السيد حميده بن ابراهيم والمجلس الشرعي وخلفاوات ومشايخ وعمـد المدائن والقرى والعروش بعمله فخاطب العامل معربا عن شعائر الطاعة والاخلاص وتلاه في الخطابة العدل السيد الاخضر بن المفتي جاء ضمن كلامه هذه العبارات (ان النفوس قد جبلت على حب من احسن اليها وحيث ان فرنسا عاملت العنصر الاهلي بالحسنى فلا يسع التونسى إلَّا حبها بشراشر قلبه)

وقد اجابهم فخامة الرئيس بقوله

« ان مرادي اقناعكم بان مسلكنا نحوكم لم يتطرقه تغيير قط وان امتنا تبتهج بمودتكم التي من مامولنا التحفظ عليها والتي نشفعها بتشريككم في العمل معنا لخدمة الانسانية والمدنية اعني لخدمة الصالح العام

هذا وسيبقى ذكر رحلتي هذه محفوظا بخلدي سواء ذلك بفرنسا ام بتونس لاني اينما حللت لاقيت من المسلمين اقبالا واكراما ولم يكن ذلك منهم إلّا لاعتقادهم بان مشروعنا سلمي لا حربي وان فرنسا تحترم العقايد والاديان ولا تطلب منكم سوى تهذيب ابنائكم وتعليمهم اللغة الفرنساوية التي هي لغة العالم المتمدن اجمع لان من الضروري جعل رابطة تجمعنا في احساس واحد ولا يكفي في ذلك توارد الخواطر بل يلزم ايضا الافصاح عنه باللسان

فهذه مدارسنا مفتحة الابواب في وجوه ذراريكم وما عليكم إلّا ارسالهم اليها لانها طريق الترقي والمدنية »

فتلقى الحاضرون هذا الخطاب بمظاهر الشكر الجميل ونادوا جميعا بالدعاء لفرنسا و رئيسها الفخيم واذاك انفصل الموكب وعاد الرئيس لرتاله وسار قاصدا بلد المتلوي الذي سمي حديثا باسم « فيليب طوماس » وعند الوصول اليها كان في استقباله السيد احمد اللونقو عامل الجريد والمجلس البلدي بها فتقدم العامل لفخامته وحياه وترجم عن شعائر اخلاصه وولائه للحكومتين الحامية والمحمية ثم خطب مسيو ميري الكاهية بالمجلس البلدي بالمتلوي فقال

يا فخامة الرئيس

قد حصل لنا سرور عظيم اذ تفضلتم بالوقوف بهذا البلد بما دل على تقديركم لفضل فيليب طوماس الذي له على العمالة حق الكريم لانه احي هذه الجهة وبذر فيها ثروة لا تبلى وستشاهدون بعد حين الاشغال العظيمة والنتايج الجسيمة التي ستنطق لسانكم بعد رجوعكم لفرنسا بانه حتى في هذه الجهات السحيقة يعمل الفرنساويون لاعلاء شان فرنسا ـ فلتحي الجمهورية

وقد اجاب فخامة الرئيس بالعبارات الاتية

ان رئيس الجمهورية قصد بوقوفه ببلد المتلوي الاعلان بفضل الرجل العظيم الطيب الذكر الذي زرع بذور الثروة في هذه الاصقاع يعني البيطار العسكري فيليب طوماس الذي اكتشف في سنة ١٨٨٦ مناجم الفوسفاط التي تستغلها اليوم شركة قفصة

ثم ان فخامة الرئيس اخذ يجامل الحاضرين بلطيف الحديث فقال له السيد احمد اللونقو انه لشدة فرحه قد اسرع بالمجيء من بعد ستين ميلا للتشرف بالسلام عليه فاجابه فخامة الرئيس على البديهة وبتبسم (انا جيت بكل سرور من بعد خمسة آلاف ميل لرؤيتك) وبعد ان تكلم فخامته مع اعيان الحاضرين كل بما يناسبه امتطى رتله متقدما ميلين آخرين ونزل بمناجم الفسفاط حيث مناخ اليد العاملة الفسفاطية ومركز القوة العملية الفرنساوية بالايالة التونسية



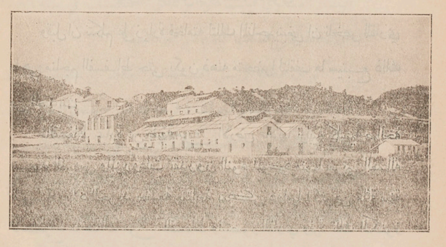
فخامة الرئيس وحاشيته بالمتلوي

وقبل ان نتكلم على زيارة فخامته لتلك المناجم ينبغي ان نلخص للقاري ما هي مناجم الفسفـاط حتى يكون ذهنه متحضرا لتلقف ما سيتبـع ذلك من الحديث

فالفسفاط عبارة عن طبقة من الارض مادتها ترابية كلسية صالحة لتسميد الغروس والمزروعات يقدرون النوع الموجود منهـا بغربي العمالة التونسية وبلاد الجريد بخدمة متتابعة يمكن دوامها اكثر من مائة سنة لاستخراج ما هنالك من الفسفاط وليتصور القاري وفرة تلك الكنوز الطبيعية نذكر له على وجه الاعتبار مقدار ما يستخرج من موقـع فسفاط الدير فقد اقتضى الاتفاق المتعلق به ان الشركة التى اعطيت منحة استثماره من واجبها ان تستخرج على الاقل مائة الف طنلاطة في العـام (وقد بلغ

الان محصولها المليون طنلاطة اى عشرة اضعاف القدر المتعاقد عليه) وهذا دون المنح الاخرى المعطاة لها بالقلعة الجرداء وبقلعة سنان وبام العرايس وغيرها وهي مناجم قدرت لها الدولة في ميزانية الدخل السنوي ١٢٥٠٠٠٠ فرنك

وكان الكشف على مناجم الفسفاط بالعمالة التونسية في سنة ١٣٠٢ بعناية مسيو فيليب طوماس البيطار العسكري ومات فيليب طوماس سنة ١٣٢٨ بعد ان راى مسعاه مكللا بالنجاح اعني باستثمار تلك المناجم التي كادت ان تكون وحيدة بالعالم من جهة ثروتها الطبيعية وبتاسيس سكة حديدية طولها ٢٥٠ ميلا لربط الجريد بصفاقس حيث مصب الفوسفاط المعد للوسق لانحاء المسكونة كما سبقت الاشارة لذلك عند الكلام على زيارة فخامة رئيس الجمهورية لصفاقس



محلات شركة الفسفاط بالمتلوي

هذا ولما نزل الرئيس بمقاطع الفسفاط بالمتلوي ركب ورجال حاشيته قطارا لطيفا كهربائيا وطاف خلال المعامل وكانت تمثل معنى القوة الفكرية

التي اودعها الله في الانسان فتامل منها فخامته تامل تمعن واستفادة ودار في غرفها الى ان وقف على ابواب غرفات الاعمــال الواقعة في بطن الارض ثم اجال النظر في حركة الخدمة وطاف خلال معاملها مستقصيا منهــا مسافة ميل على القدم واستعجب فخامته بالخصوص من تفوير الفسفاط بطريقة الانفجار بالعبارات النارية التي كان لها دوي ببطن الارض يحاكي الرعود القواصف وازداد عجبه واعجابه بما بلغت اليه الشركة صاحبة منحة المتلوي لما علم ان تلك المناجم يستخرج منها في العام مليون طنلاطة وان بهــا من العملة ثلاثة آلاف نسمة جلهم من الطرابسليين والفزازنة والمغــاربة وزنوج السودان وفي هذا المقام سال الرئيس عن حال هولاء الزنوج فاجيب بانهم من الفعلة الرحالة لا يقيمون بمعامل الشركة الا ريثما يستحصلون على راس مال ضعيف بالنسبة لتونس كثير بالنسبة لبلادهم حيث يرجعون للتاهل وهو اشهى شيء لديهم ومتى عادوا للسودان يجي عوضهم من بني عمهم من يقوم مقامهم في العمل وهلم جرا

وبعد ان استوفى فخامته زيارة المناجم الفسفاطية حضر على الساعة الثامنة ليلا مادبة اكرام اقيمت على نفقة الشركة وكانت هاته المادبة بــالغة حد الغاية من الابداع والخيام التى نصبت بها عبــارة عن متحف للزرابي الثمينة العجيبة الصنع التي نسجتها اليد العربية وبينما كان فخامته يتناول الطعام كانت الموسيقى تصدح بنشيد المرسلياز وعلائم البشر والسرور بادية على وجوه الجميع وفي ختام المادبة قام مسيو بيلي مدير شركة الفسفاط والقى خطابا هذا ملخصه

ابتدا الخطيب بتهنئة فخامة الرئيس بالنيابة عن الشركة الفسفاطية التي اصبحت تفتخر بزيارة فخامته لمناجمها وهي زيارة كللت مشروعها بفخر لا ينفصم حبله

ثم اشار لما لفيليب طوماس من الايادي البيضاء في احياء جهة المتلوي التي كانت قبل قفرا واصبحت اليوم عبارة عن بلد اخذ حظه من السعادة والعمران بفضل مليون طنلاطة من الفسفاط تخرج في كل عام من مقاطعه وتسلك طريق اروبا لاحياء اشجارها وكرومها

ثم تكلم على المستخدمين والعملة فقال انهم عناصر مختلفة منهم الفرنساوي ورفيقه الطلياني ومنهم عناصر اهلية شتى لا يقل عددهم عن اربعة آلاف نفس كلهم يعيشون عيشا هنيا على بساط التسامح لا يخشون من باس

ثم ختم خطابه بالشراب على ذكر فخامة مسيو فليار والدعاء للجمهورية

وقد اجابه فخامة الرئيس بخطاب نصه

يايها المدير العام

قد حصل لي انشراح عظيم بزيارتي لهذه المصانع الفرنساوية ولكم مني الشكر الجميل عن عبارات الثناء التي خاطبتموني بها

قد قامت تلك المصانع العامرة في ارض كانت قبل قفرا فاصبح العالم المتمدن تربطه نتايج الفسفاط بما عاد بالثروة العظيمة على العالم الفلاحي ولا شك ان كل هذا نتيجة سداد التدبير واستقراء ما في الغيب والمثابرة على العمل مثابرة غلبت كل شيء

اني اعلن بالثناء على مستحقيه اولئك العلماء والمهندسون اصحاب الاستنباط والقلوب الحية اذ هم مهدوا وسائل العمل لاهله فكانوا احسن اسوة يقتدى بها

هولاء الرجال لهم مزية على الناس قاطبة ومن الحق ان يخلد ذكرهم وينادى باسمائهم في كل مناسبة وحين — هذا واني لمفتخر بكوني من المتسببين للفلاحة ولا احد يمكنه ان ينوه اكثر مني بما لمادة الفسفاط من تنمية قوة الارض واستخراج ثمراتها باوفر ما يمكن الوصول اليه وهذه الخيرات عائدة بالبركة على الثروة العمومية ولا مبالغة اذا قلنا ان من الواجب ان يكون مجلس مكتشفي الفسفاط من بطون هذه القفار بمصاف اعاظم المكتشفين والمخترعين اما نحن فيحق لنا ان نفتخر بهذه البلاد التي اصبحت مصدرا للثروة العمومية والتي اصبح اهلها في سعة من الرزق وفي مهرب من المجاعات والفقر

واني ارفع كاسي على نجاح شركة الفسفاط وسكة حديد قفصة وفي ضمن ذلك مرادي ان يعلم الناس ان عنايتي وعناية الحماية وعناية فرنسا منصرفة نحو اصحاب هذه الشركة ومشتغليها ومديرها ومهندسيها ومستخدميها وخدمتها جميعا سواء كانوا فرنساويين ام اجانب ام اهليين لان في عملهم مصلحة الجميع

فوقع هذا الخطاب من كافة الحاضرين موقع الاستحسان وهتفوا له هتافا طويلا واذاك استدنى فخامة الرئيس مدير شركة الفوسفاط مسيو بيلي وانعم عليه بالصنف الثالث من اللجيون دونور ثم استدنى عامل الجريد السيد احمد اللونقو واحسن له بمثل ذلك النيشان فتلقى الحاضرون ذلك بمظاهر الاستحسان والتصفيق الطويل



السيد احمد اللونقو عامل الجريد

وبعد ان اخذ كل حظه من النشاط والسرور توجه فخامة الرئيس لغرفة نومه بسراية شركة الفسفاط ودخل الوزراء و رجال الحاشية البيوت المعدة لمقامهم تلك الليلة وفي صباحها انتظم الموكب الرئيسي وركب فخامة مسيو فليار رتله فسار به قاصدا سبيطلة

الباب السابع

في الكلام على سبيطة واطلالها

وزيارة فخامة الرئيس لجهاتها وءاثارها التاريخية

لما استوفى رئيس الجمهورية زيارته لمناجم الفسفاط بالمتلوي عاد موكبه لموقف السكة الحديد بها وتعرف اليوم بمحطة فليب طوماس نسبة لذلك الرجل الذي اكتشف المناجم المذكورة كما تقدمت الاشارة لذلك في الباب قبله واذاك ركب فخامته رتله وسار مودعا من مدير شركة الفسفاط قاصدا هنشير السواطير حيث حط التعمير الفرنساوي رحله في السنين الاخيرة وكان الخط متسربلا بين الجبال والكهوف والارض بطبيعتها قحلاء تكاد تكون عقيمة الا انها ارض تامل واعتبار لانها لعبت دورا عظيما في تاريخ الرومان فمر القطار اولا بمركز سلجة ثم وصل منها بعد سير بطيء لهنشير السواطير حيث ملتقى السكتين الحديديتين سكة شركة الفسفاط التي زايلها اذاك فخامة الرئيس وسكة شركة بون قالمة القوية المتينة واذاك تحول فخامته وكافة حاشيته لقطار مخصوص مزركش وفيه تلقى مراسم السلام والاحترام من مراقب الفراشيش وكاهيته ثم سار القطار قاصدا سبيطلة على طريق فريانة فلما وصل فريانة وقف الرتل وتقدم للسلام على المقام الرئيسي اعيان عمل الفراشيش يتقدمهم عاملهم السيد عبد السلام قعيد موشح الصدر بوسام الشرف الفرنساوي الذي كانت الحكومة الفرنساوية انعمت به عليه اثر قمعه للحركة العدوانية التى

خاب فيها سعي المتدروش عمر بن عثمان سنة ١٣٢٤ ثم استانف الرتل السير متوجها لسبيطلة عاصمة افريقيا الرومانية فوصلها بعيد الزوال

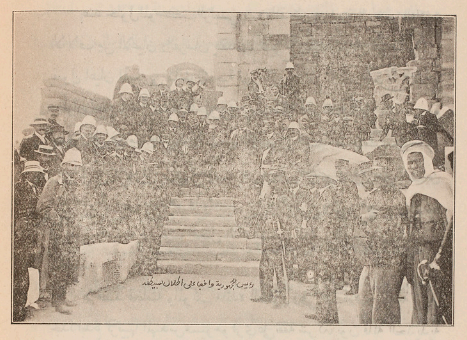
وسبيطلة هذه كانت تسمى على عهد الرومان « سوفيطلة » وهي قاعدة ملكهم جرجيس ولا يخلو تاريخ اسلامي للفتوح من ذكرها باشباع لان سقوطها من ايدي الرومان ودخولها في حوزة الاسلام كان على عهد الصحابة والتابعين وتعرف غزوتها في التاريخ التونسى بغزوة العبادلة لانه حضرها سبعة من الصحابة والتابعين باسم عبد الله والرئيس عليهم عبد الله بن الزبير وكان جند جرجيس ستة اضعاف جند ابن الزبير إلّا ان النصر كان حليف المسلمين وقاتل الرومان قتال المستميت وتولوا الادبار وقتل جرجيس واستقر المسلمون بسبيطلة وكانت يومئذ من اعمر المعمور وسلطانها لا يشق له غبار لانه كان ياتيه المدد من القسطنطينية عاصمة الروم وكان البربر حلفاؤه ونصراؤه

وكما ان حسان بن النعمان الغساني دمر قرطجنة عام ٦٩ لاستعصاء القرطجنيين عن الخضوع اليه كذلك فعل قبله باربعين عاما السادة العبادلة غزاة سبيطلة لكسر شوكة الرومان وتذليل نواصيهم فلم يكن لعاصمتهم بعد من شان ومازال امرها في تناقص الى هذا العهد الذي اخذت فيه دولة الحماية الفرنساوية على نفسها احياء ما اندرس من تلك الارض ببث المال والرجال كما ستراه

عند حلول الموكب الرئيسي بسبيطلة كان في استقباله نحو الثلاثة الالاف من الاعيان والفرسان يتقدمهم شيوخ وعمد العربان فابتدا الرئيس بقبول اعيان المعمرين بتلك الناحية ثم تلقى مراسم الاحترام من مسيو برطران مدير اشغال المياه المجلوبة من سبيطلة لصفاقس وعلى اثره تقدم للسلام على فخامته السيد محمد بن بلقاسم بن احمد المكلف بعمل ماجر يعضده خلفاوات ومشايخ العمل ثم اعربوا عن طاعتهم واخلاصهم للدولتين فشكر الرئيس مسعاهم واستحسن بزة اولئك الفرسان واعجب بمهارتهم في فنون الفرسنة وركوب الخيل اثناء الملعب العظيم الذين قاموا به امام فخامته

ثم قصد فخامته والموكب مائدة الفطور وهي عبارة عن مادبة انيقة جدا ابدع ترتيبها المهندس مسيو موكري على نفقة شركة بون قالمة الحديدية فجاءت آية في الزينة وفي ضروب الترصيع وهذه المادبة اقيمت وسط خيام مزركش ومحلى بالزرابي الرفيعة فجلس فخامته بصدر المائدة وجلس الوزراء عن يمينه وشماله وجلس بقية الذوات على الكراسي المعدة لهم وكان مجلس الطعام موسوما بالملاطفة وانيس الحديث

وفي ختام الطعام نهض فخامة الرئيس وتبعه الحاضرون وسار الموكب ودليله مسيو ميرلان مدير الانطكخانة لزيارة اطلال سبيطلة التي تقدم التعريف بها في اول هذا الباب فتامل فخامته بتمعن واعتبار من ذلك الطلل البالي الذي مسحت عظمته يد الدهر منذ ثلاثة عشر قرنا ووقف معتبرا لدى قوس النصر الذي بني على عهد الامبراطور « ديوكلتيان » الذي كان متربعا على كرسي الانبراطورية الرومانية اواخر المائة الثالثة بعد المسيح



فخامة الرئيس فليار واقف على اطلال سبيطلة

ومنه توجه لمشاهدة اطلال الهيكل الضخيم الذي كان اقامه الرومان لكوكب المشتري ثم ختم زيارته برؤية آثار الحصون التي كان اقامها الروم لدفع الغزوة العربية الثانية التى قضى فيها المسلمون القضاء الاخير على اروام القسطنطينية المتملكين على سبيطلة وافريقية

وبينما كان الموكب الرئيسى يزور الاطلال كان العرب والبدو يلعبون على الخيول وكان البارود يبرق ويرعد الى ان اسود افق الجوفلما كانت الساعة الثالثة ونصف ركب الموكب القطار وسار قاصدا القيروان بين ضجات اولئك الفرسان الشجعان وهتاف الالوف من العربان وعند وصوله لسبيبة وكانت تسمى عند الرومان سوفاس وقف القطار بها لحظة

تلقى فخامته اثناءها مراسم السلام والاحترام من اعيانها المعمرين والاهالي
ثم فعل مثل ذلك عند وصوله لسيدي سعد وسيدي علي بن نصر الله وكان
المطر اذاك متنازلا بافراط حتى انه كاد ان يكون طوفانا عند مرور القطار
بجهات الخزازية على ان تهاطل الامطار لم يمنع اهالى تلك الجهات عن
التسابق في اعداد لا تحصى للسلام على فخامته اينما حل او ارتحل لان
فخامته تقدمه بناديهم الذكر الجميل فجاءوا من كل حدب ينسلون
للاعراب لدى فخامته عن طاعتهم واخلاصهم وتعلقهم بالدولتين المتحابتين
الحامية والمحمية وبعد ان تجاوز الرتل جهة الخزازية تناقصت المياه التى
كانت قد غمرت سطح الارض بعمق بلغ مغازل عجلات القطار والتحق
بالارض الصماء وبعد قليل دخل القيروان بتحية وسلام

الباب الثامن

في الكلام على القيروان وءاثارها المباركة
وزيارة رئيس الجمهورية لمدينتها

اعلم ان القيروان من اشرف مدن الاسلام بناها الصدر الاول وبها شعرات المصطفى صلى الله عليه وسلم ومشهد صاحبه سيدنا ابي زمعة البلوي رضي الله عنه وقد اختطها عقبة بن نافع سنة ٥٠ للهجرة وعقبة هذا اما صحابي بالمولد واما تابعي بالاجماع وكان اختياره لبنائها في فلاة من الارض بداخل البر صونا لجماعة المسلمين من هجمات العدو من البحر وذلك العدو هم الروم الذين عاصتهم اذاك مدينة القسطنطينية العظمى وقال في معجم البلدان ما معناه ان عقبة قصد بتاسيس القيروان استدامة بقاء المسلمين بين اظهر البربر لان من اخلاقهم نكث العهد فخشى ان يعودوا للكفر بعد الايمان ويسري ذلك لاخوانهم الذين انتظموا في سلك جيوشه فيفسد نظام افريقية بارتدادهم على الاعقاب بعد ان انتشر فيهم دين الله حتى اتصل ببلاد السودان وكان عقبه نظر لهم بمرءاة الحق لان ولي الدين ابن خلدون اثبت ارتدادهم بعد مرارا عن الاسلام والخلاصة ان القيروان كانت متمصرة على عهد بني امية والدولة العباسية ثم على عهد بني الاغلب وهكذا دام امرها الى اوائل المائة الرابعة حيث انتقل ملك افريقية منها للمهدية التي اسسها عبيد الله المهدي ونصب دولته بها في سنة ٣٠٨ للهجرة وجاء خلفه من بعده فاعاد عليها شبابها واسس بها ملكا فخيما ضخيما حتى

117

جاء زمن المعز بن باديس الصنهاجي فكانت على القيروان الطامة العظمى والآفة الكبرى وداعية الخراب بهجوم الاعراب الوافدين عليها من مصر في سنة ٤٤١ وبعيثهم في الارض بالفساد واسفر ليل ذلك الضلام عن صبح الدولة الموحدية فالحفصية وجعلوا دار الملك بتونس ولم يزل بها الى هذا العهد

وتراجعت اذاك شئون القيروان بتقاصر يد السلطة الحاكمة فيها بعد ان امتد سلطانها في ثالث القرون ورابعها الى الجزائر وطرابلس ومالطة وصقلية وقلورية من اعمال ايطاليا ناهيك ان قاضيها اسد ابن الفرات هو الذي غزا جزيرة صقلية ومات بحصار سرقوسه من اعمالها سنة ٢١٣ على المشهور

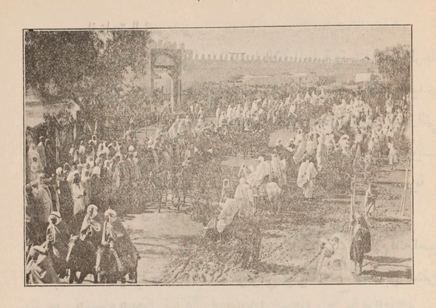
وكانت مدارسها يومئذ زاخرة بالعلوم حتى الطب والحكمة والفلسفة ومن اشهر اطبائها في القرن الرابع احمد بن الجزار الذي سياتي ذكره اثناء حديث زيارة رئيس الجمهورية لمستشفى القيروان

ودامت القيروان منحدرة مع تيار الانحطاط السريع فيما بين القرن السابع والثاني عشر حتى كاد ان لا يكون لها ذكر في تواريخ تلك العصور وهكذا الى اواخر الدولة المرادية فكانت اذاك مرسح الفتن ومسرح المحن التي انجرت لها من انقراض المراديين وقيام الحسينيين مقامهم في ملك تونس فاعتنى بها المولى حسين بن علي بعض الاعتناء وجدد عمارتها واحيا دارسها كما ستراه بمحله

هذا ولم يزل بالقيروان من المشاهد والمعالم والمعاهد الاسلامية ما لا يوجد بغيرها من بقية مدن المملكة التونسية وهذه المعاهد هي التي اكسبتها شهرة مطبقة بالعالم الاروباوي لانها كانت قبل الحماية مغلقة الابواب في وجه الاروباويين وحذار حذار ان تطاها اقدام اليهود فاعتقدوا بجهل منهم ان في فتح مساجدها ومعاهدها لغير المسلمين فتحا ادبيا عظيما وهو ليس بذلك لانه خلافا لما يتوهمون ليست القيروان من التقديس في شيء وليست مساجدها باكثر احتراما من مساجد بقية بلاد المسلمين في الشرق والغرب وقد زار ملك انكلتيرة ادوارد السابع وهو ولي عهد امه الملكة فيكطوريا قبر رسول الله سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام ايام السلطان عبد العزيز خان وبالرخصة منه ولم يجد المسلمون في نفوسهم من ذلك

على ان فخامة رئيس الجمهورية وهو الرجل المحنك الخبير العليم بسياسة الامم ترفع عن احراج نفوس القيروانيين بالدخول لمساجدهم فاكتفى بمشاهدتها من خارج او بمجرد المرور عليها كما ستراه بمحله ولا ريب ان في صنيعه هذا من المجاملة والملاطفة ما لا يخفى على لبيب

هذا وقد حان الاوان للكلام على زيارة فخامته للقيروان وها انا ذا ننقل حديثها للقاري الكريم متوسطا بين الاختصار المخل والتطويل الممل وحيث لم يتقدم الكلام في هذا التمهيد التاريخي لنشاة معالم المدينة وترجمة رجالها فانه اتماما للفائدة الحقت كل فرع باصله متكلا في زيادة البيان على فطنة المطالع والحديث مع اهله



استقبال الاهالي لموكب رئيس الجمهورية

عند دخول فخامته القيروان

ففي مساء يوم الاثنين ٢٤ من ربيع الثاني عام ١٣٢٩ وفي ٢٥ افريل عام ١٩١١ على الساعة السابعة وصل الرتـل الـذي يحمل فخامة رئيس الجمهورية الفرنساوية وحاشيته وكافة اعيان طبقات الاهالي والموظفين مصطفين بداخـل المحطة على خـط مستقيم مـواز لشريط السكة من الشرق الى الغرب فتلقاه عند النزول مراقب القيروان مسيو منشكور وبعد ان صافحه اخـذ في مصافحة صفوف المقتبلين كاهية المجلس البـلدي واعيان الفرنساويين واعضاء اللجنة البلدية وعامل القيروان السيد الهادي المرابط واذاك ارتجل العامل خطابا هذا معناه :

يافخامة الرئيس

ان زيارتكم تدل على عناية فرنسا بالامة المحمية وتبعثنا على الرجاء بزيادة احكام روابط الالفة التي تجمعنا بالفرنساويين وقد قلتم ياسيدي الرئيس ان القصد من رحلتكم هذه هو استطلاع احوال هذه الديار التي احمايتكم فلا شك ان زيارتكم والحالة هذه ستكون عاقبتها لدينا خيرا من الوجهتين الحسية والمعنوية — فليعش فليار ولتعش الجمهورية

وقد اجابه فخامة الرئيس بقوله

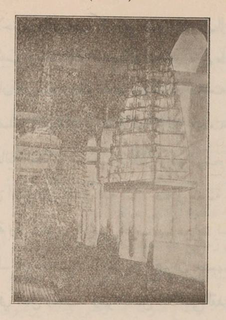
يسرني ان رحلتي قد اخذت في الاثمار لانكم اشرتم لكلام قلته اخيرا بالعمالة التونسية ومعناه ان مرغوبي ليس التفسح فقط بل استقراء احوال هذه البلاد وسماع صوت ابناء وطني وماذا يرغبون لذلك نرى من وسائل النجاح ايتلاف العنصرين الفرنساوي والتونسى حتى تصبح مصالح الطرفين ممتزجة ببعضها تحاكي مصالح وحيدة للجميع ومنه ترون ان وظيفة الكل هي العمل لرفع شان فرنسا وتونس معا وحيث انكم ناديتم قائلين « لتعش فرنسا » فانا اقول في نوبتي « لتعش تونس » ثم اعاد فخامة الرئيس مصافحة العامل والشيخ محمد صدام الباش مفتي وصافح بعدهما القاضي الشيخ محمد العلاني فالسيد صالح النجار العضو بالمجلس الشوري فالسيد حميده الجربي رئيس المجلس العدلي فالسيد محمد المقداد نائب جمعية الاوقاف فبقية الموظفين والاعيان الحاضرين من عمل القيروان

ثم صافح رجال عمل جلاص مبتديا بالعامل السيد الطاهر بن احمد وابنه السيد محمد خليفة سيدي علي بن نصر الله والقى العامل المذكور

عبارات الاحترام والترحيب كما القى ابنه جملا باللسان الفرنساوي في الدعاء لفخامة الرئيس وبعد ذلك تقدم الى فخامته اعيان طائفة اليهود وخطب منهم باللسان الفرنساوي للترحيب والاحترام لفخامته مسيو كوهين الوكيل بقضوية الصلح بالقيروان ثم تقدم للسلام على فخامته وفد خليط النزلاء فاعيان الجالية الطليانية يتقدمهم القبطان نريتو موشح الصدر بوسام الشرف الفرنساوي الذي كان اهدي اليه اثناء احتلال مدينة خانية بجيوش الدول الاروباوية ولما خاطبهم الرئيس اعرب لهم عن انشراحه لحضور الاسطول الطلياني للسلام عليه بمياه بنزرت وذكرهم ان جنسهم والجنس الفرنساوى يجتمعان في اصل واحد وهو الاصل اللاتيني القديم واستغرقت هاته التحيات نحو نصف ساعة قلد فخامة الرئيس اثناءها وسام الشرف الفرنساوي من الرتبة الثالثة للماجور ماسون كمندان عسكر التريور ومن الرتبة الرابعة للسيد صالح النجار العضو بمجلس الشورى كما احسن بالوسام الزراعى لمسيو روهن البيطار البلدي

ثم ركب فخامة الرئيس وحاشيته العربات التى اعدت لهم وقصد الموكب دار المراقبة بين صفوف الفرسان فنزل بها ضيفا مكرما ورئيسا معظما وبها قضى ليلته حتى الصباح

اما حاشيته فقد خرجت ليلا للتفسح ولزيارة المدينة ومعاهدها الدينية واسواقها المزدانة بانواع المنسوجات الحريرية المختلفة الالوان وبالزرابي وادوات الزينة الرفيعة الباهرة وكانت اذاك صوامع ومنارات المساجد تتلالا بالنور



بيت الصلاة بجامع سيدي عقبه بن نافع بالقيروان

واتفق ان كان احد الحوانب الحاضرين لخفر الركاب الرئيسي وهو الصبايحي احمد بوراس ممن تقدمت مصاحبته لركابه الفخيم اثناء زيارته لصفاقس حيث خدم فخامته اذاك على مائدة الطعام فعرفه جنابه العالي وتنازل لموانسته بالحديث عند حلوله بدار المراقبة حيث نال الحانبة المذكور ايضا بما عنده من التهذيب والمهارة شرف الخدمة بين يدي فخامته اثناء تلك الليلة فكان حديث هذا الحانبه يتناقل بين الجموع والافراد من الاهالي الذين اخذوا منه دلالة صريحة على لطف وحلم فخامة الرئيس زيادة على ما هو متعلق بمنصبه العالي من العظمة والمهابة

وفي صباح الغداة اي صباح يوم الثلاثاء من ٢٥ ربيع الثاني ١٣٢٩ ركب فخامة الرئيس في حدود الساعة الثامنة صباحا عربته وسار في موكبه

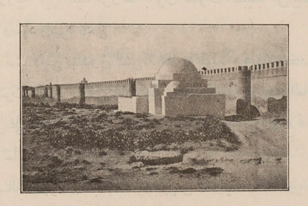
120

المحترم محاطا بكوكبة من السبابيس تحت قيادة عامل جلاص وعامل القيروان وكانا راكبين فرسين عربيين من عتاق الخيل وعند الوصول لبطحاء باب الجلادين نزل فخامة الرئيس وحل في الرواق الذي اعدته شركة « الزربية » القيروانية وكان الرواق محاطا باقواس النصر وجدرانه مغشاة بالزرابي المختلفة التنميق والالوان فتلقته جمعيتها واهدت له زربية قدمتها الى فخامته طي اطار مذهب فتكرم فخامته بقبولها واثنى على ذوق ناسجي بردها وكانت بها صورة صومعة جامع سيدي عقبة بن نافع ومكتوب عليها بالنسج عبارة تفيد تاريخ صنعها ولم يكتف فخامته بذلك بل اخذ على نفسه اظهار رغبته في تنشيط تلك الشركة فاشترى من مصنوعها من ماله الخاص زربية كبيرة ثمينة مزركشة بالوان الصوف الطبيعية من ابيض ورملي وقرفي واسود واسود كاحل

ولما نقد ثمنها لامين صندوق الشركة مازحه بقوله « قبيلة كنت تدفع والآن صرت تقبض » وهي عبارة تطوي حكمة بالغة لان هذا العالم الانساني مبني على الاخذ والرد ولذلك قالوا ان الانسان مدني بالطبع لانه يحتاج لغيره كما يحتاج غيره اليه

ومن هنالك تحرك ركاب فخامة الرئيس وحاشيته وعاد للمدينة فدخلها من باب الجلادين ـ وهذا الباب والسور المحدق بالمدينة وكان في طول اثنى عشر ميلا على ما قصه التاريخ اسسه عقبة بن نافع الفهري ـ ومعلوم انه بتوالي السنين وبتداول الدول طرا على اسوار القيروان ما طرا على غيرها من المدن فتارة كان شانها اليف السعادة وءاونة كان حليف الشقا ومن هذا القبيل الثاني كان امر سور القيروان الذي بناه الصحابة والتابعون

اذ قد هدمه زيادة الله ابن الاغلب سنة ٢٠٩ لما اتهم اهل القيروان بمظاهرة القايم منصور الطنبذي ولم يستانف بناءه إلا على عهد المعز بن باديس سنة ٤٤٤ واذاك جعل تكسيره اثنين وعشرين الف ذراع ثم خربت القيروان واقفرت سنة ٤٤٩ بيد اعراب مصر المسلطين على المعز ابن باديس باذن الخليفة الفاطمي المستنصر عند ما نبذ المعز الاعتراف بالدولة العبيدية بمصر ودعى للقايم العباسي ببغداد ولما تراجع العمران وجدد السور كان تكسيره اقل مما كان عليه زمن المعز حتى ان دار الامام السيوري المتوفى سنة ٤٦٢ وصارت له تربة فيما بعد بقيت خارج السور المستجد بعد ان كانت في داخله زمن المعز



مشهد الامام السيوري

وكان اخر الامر باسوار القيروان تجديدها على يد حسين بن علي موسس العايلة الحسينية ادامها الله ولا زال اسمه وتاريخ البناء على داخل ابواب المدينة فعلى باب الجلادين الذي دخل منه فخامة الرئيس ما نصه

سـور اتى في عزة وسـرور ... ليرى غريب البعث بعد نشور

احي مـآثره حسين باينا ... شفقـا على المخـلوق بعد دثور

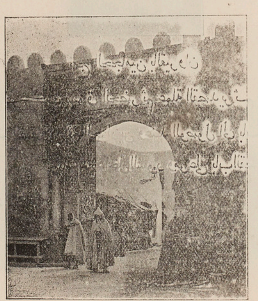
واتى به من ماله بكماله ... من غـير مظلمة ولا تغيير

يرجـو لذلك عفـو خالقه اذا ... مـا اضطر ذو ذنب لحي غفور

بالمصطفى توجـه بالتوفيق في ... حركاته من نهي او مـأمور

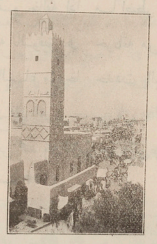
مادام يثنى ذا البنـاء مؤرخا ... جددت بالباي حسين امير

ثم جدد السور علي باي بن حسين باي وذلك لخرابه من حصـار يونس بن الباشا علي بن محمد باي للامير حسين بن علي باي بالقيروان حيث استشهد هذا الامير سنة ١١٥٣



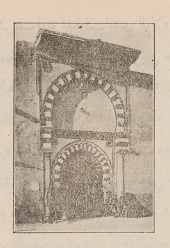
باب الجلادين

وسار الموكب بعد الدخول من باب الجلادين في النهج الكبير الممتد باستقامة بين باب الجلادين وباب تونس وكانت الزينة والرايات التونسية والفرنساوية على ا كمل نظام ثم مر بالحلفاوين ثم الحجامين



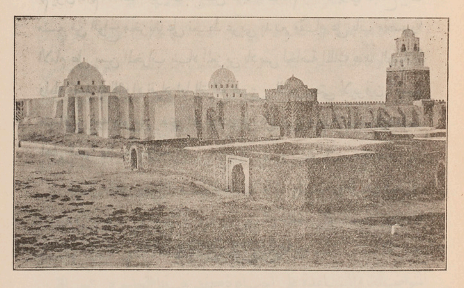
نهج الحجامين بالقيروان

ثم مر الموكب بسوق الخضر ثم عملة القصدير ثم الخرازين ثم الزرارعية ثم الصفارين ثم الجزارين وعند الوصول الى باب تونس عرج الموكب الى اليمين وسلك مع داخل السور ومر على باب القصبة حيث مقام الاي التريور



مدخل قصباء القيروان

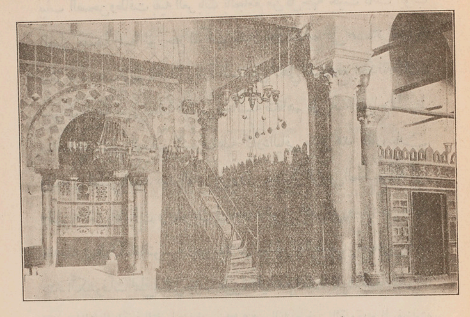
ثم مر على بطحاء غسالة العظاظمة فنهج الزاوية القادرية فنهج السور الى الجامع الاعظم جامع عقبة بن نافع



جامع عقبة بن نافع وصومعته

اما هذا الجامع الشريف فقد تداولت ايدي الولاة عليه فاونة بالاصلاح واخرى بالتوسيع والتفخيم واما بناءه الحالي فهو من حسنات زيادة الله بن الاغلب الذي دام ملكه من عام ٢٠١ الى عام ٢٢٣ فقد جدده جميعه عدا جدار المحراب الذي بناه عقبة بن نافع فانه ابقاه واقام عليه حايطا حتى لا يظهر اثر في الجامع لغيره فعمر هذا الجامع اليوم الف ومائة ونيف من الاعوام لذلك كان جديرا بالتشريف والتكريم ـ ثم جاء من بعده ابو ابراهيم احمد ابن الاغلب الذى دام ملكه من عام ٢٤٢ الى عام ٢٤٨ وحسن المحراب وجعل عليه شبابيك من الرخام يرى من ورائها جداره العقبي العتيق وجلب ذلك الرخام من العراق ـ و رصع وجه حايط المحراب بقراميد صينية ـ واقام بالجامع منبرا غريب الصنع من ساج اتى به من بغداد وهو لم يزل قائم الذات اجريت به بعض اصلاحات عام ١٣٢٧ وفي الجامع بيت متسع من الواح مخربة على نمط عربي بديع مقام على باب مقصورة الامام على يمين المحراب بناه المعز بن باديس لخاصة الملك عند الصلاة ولعله قصد بذلك الانفراد اما الترافع عن الناس حتى لا يرون انفسهم متساوين معه ولو بين يدى الله القادر على كل شيء واما التباعد عن مقاصد اهل السوء والسطو والجراءة



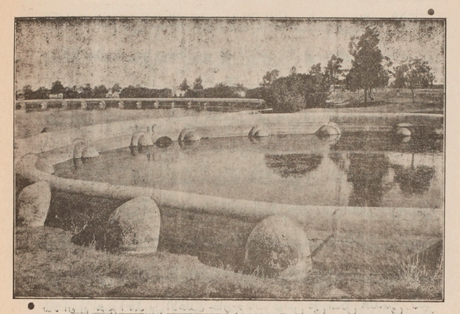


المحراب والمنبر بجامع سيدى عقبة بن نافع

وجامع عقبة هو الكعبة التي كان يحج اليها طلاب العلم من افريقية والمغرب والاندلس على عهد امام المغرب سحنون بن سعيد التنوخي القاضي المتوفى سنة ٢٤٠ ولاهميته العلمية والتاريخية كانت العناية به متواصلة حفظا لذاته وحثا على نشر العلم في كل عهد وجيل وعليه اوقاف جمة من ربع وعقار واشجار حتى في غير القيروان مثل اعمال الساحل وقابس وافريقية وهو الان محل عناية الدولة التونسية التي لم تنفك ساهرة بعين كتابتها العامة على حفظه والسعي في عود شبابه وليس احد بهذه الديار يجهل ما لجناب مسيو روا الوزير المفوض من الايادي البيضا والهمة المتواصلة والمساعدة على احياء ذكر هذا الجامع في الخافقين ولما وفد ركاب رئيس الجمهورية لجهة الجامع وقفت عربة فخامته

بباب الصحن وطافت بقية العربات بالجامع من كل جهة حيث كانت ابواب المصلى مفتحة جميعا ثم رجع الموكب بعد زيارة الجامع على هـذه الصورة وخرج من باب تونس قاصدا زيارة المستشفى الاهلي الذي وقع احداثه لثلاث سنوات فارطة فنزل فخامة الرئيس وحاشيته فتلقاهم على باب السياج المحيط بساحة المستشفى الحكيم الماسوف عليه كارداليافي مدير هذا المارستان والمعاون الطبي السيد عبد القادر المرزوقي فشكر الرئيس الحكيم المذكور وقال له بلغني اعتناؤك واجتهادك في مقاومة انواع الامراض وساله عن اطوار خدمته في المملكة التونسية وعن بلده بفرانسا فعرفه الطبيب بذلك وبين له ان عدد الكشوفات الطبية التي جرت على يده في العام الفارط كانت تسعة عشر الفا وعدد ذلك في الشهر الفارط « مارس ١٩١١ » الفان وخمسمائة وقدم الى فخامته معاونه السيد عبد القادر المذكور فسال فخامته عن نشاة المعاونين المسلمين ونجاحهم فشكر له الطبيب التلامذة المتخرجين وقال ان مشروع تخريج التلامذة المعاونين من انفس اعمال الحكومة وبعد ما شاهد بيوت الرجال والنساء خرج من باب دار النساء وكان دخوله من باب دار الرجـال وقبل ان يبارح المستشفى احسن فخامته بالوسام العلمي للحكيم كارداليافي المذكور وبمثله للسيد محمد المقداد الورتتاني نائب عموم الاوقاف اما بالقيروان المستشفى المذكور فقد كان الشروع في بنائه عام ١٣٢٦ وتم وفتح للمرضى يوم الاثنين الثالث عشر من ربيع الثاني سنة ١٣٢٧ والثالث من ماي ١٩٠٩ في موكب حافل حضره جناب الوزير المقيم العام وجناب مسيو بلان

الكاتب العام ومراقب القيروان وعاملها والمجلس الشرعي ونائب الاوقاف ووكلاء الاحباس بها وخطب يومئذ المراقب المذكور وهو من المستعربين المجيدين وتمنى ان يرى من ابناء القيروان الميل الى تعلم الطب حتى يرى منهم امثال احمد بن الجزار الطبيب القيرواني في القرن العاشر للميلاد (الرابع للهجرة) ثم اعلن بافتتاحه للبؤساء وابناء السبيل واثنى على همة جناب الكاتب العام ونشاط نائب الاوقاف بالقيروان الذى اشار بتسميته بمستشفى ابن الجزار احياء لذكر ذلك الحكيم القيرواني الذى كان يعيش في القرن الرابع وتنبيها لمجد مدينة القيروان ثم ان فخامة الرئيس توجه من المستشفى لزيارة فسقية الاغالبة وتعرف في التاريخ بماجل بني الاغلب بناه ابو ابراهيم احمد بن الاغلب خارج باب تونس على شكل هندسي كثير الاضلاع وكان شرب اهالي القيروان منه وبنى في وسط الماجل صرحا مثمن الشكل باعلاه قصبة ذات ابواب اربعة تحمل احد عشر رجلا يجلس فيها الامير مع حاشيته ولا زالت بقية ذلك الصرح الى الان في مركز محيط الفسقية المذكورة وهذا الماجل الذى اتمه احمد بن محمد بن الاغلب عام ٢٤٨ كاد ان يذهب ضحية الاهمال ويطوي الدهر خبره لولا ان تداركته الحكومة في عهد الحماية واظهرت محاسنه واحيت به ذكر صاحبه واليه تدفع الان المياه الفاضلة من عين الشريشيرة المجلوبة لشرب القيروان وهو شاهد عدل على ما لصدر الاسلام من الاعتناء بعلوم العمران وحسن الذوق وكمال الحضارة وعلى الماجل المذكور اوقاف مع بقية الفساقي التي لنظر جمعية الاوقاف

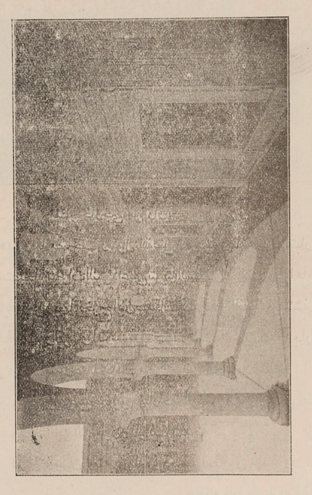


ماجل بني الاغلب بالقيروان

ثم مر الموكب الرئيسي بمقام سيدنا ابي زمعة البلوي و رجع الى محطة سكة الحديد و كانت فرسان العروش فوق خيولها المطهمة باكمل زينة على سمطين ممتدين على طول الطرق التي سلكها ركاب فخامته ولما كانت الساعة العاشرة تحرك الرتل قاصدا مدينة سوسة

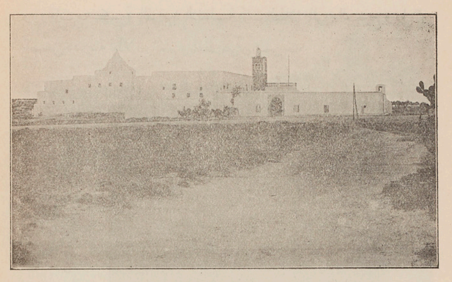
اما سيدنا ابو زمعة المذكور فهو عبد الله ابن آدم الصحابي دفين القيروان ومعه شعرات من جسد النبي صلى الله عليه وسلم اتى مع رجال الفتح ومات ودفن هناك ويوجد على جدار القبة التي بناها بتربة ابي زمعة الامير حموده باشا المرادي في اواخر القرن الحادي عشر هذه العبارة « تاريخ وفاة ابي زمعة عام ٣٤ » ويتصل بالقبة صحن متسع

ورواقات مكسوة بالقراميد الاندلسية ذات الطلاء الملون البديع ويلي الصحن مدرسة لطلاب العلم وحفظ القرآن الشريف



منظر داخلي من زاوية سيدنا ابي زمعة البلوي

ويتصل بذلك علو كان معداً لنزل امراء تونس عند وفودهم على القيروان يعرف بعلو الباشا



منظر خارجي من زاوية سيدنا ابي زمعة البلوي

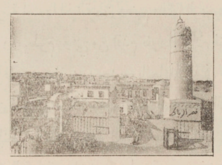
هذا وبما لصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاعتبار في النفوس ولاستصحابه شعرات النبوءة اعتنى بتربته السلف والخلف ووقفوا عليها الموقوفات الطايلة ومن ريعها تخرج الان صدقات كثيرة على الفقراء ومستشفى ابن الجزار وطلبة العلم والقراء والمدرسين ـ هذا ولاستيفاء حديث الزيارة الرئيسية للقيروان لا مندوحة للكاتب من التعرض للجسارة والمهارة التي قام بها ابوجنـاح بوفي صبيحة يوم مبارحة الرئيس للقيروان فان هـذا الرجل الجسور قد انجز اثناء مرور الموكب بالمدينة تمرينات غريبة على صفحات الجو الا ان العيون رمته بسهام فوقع جريحا فوق جدار وقـامت حينئذ ضجة ارتياع بين كافة الناس واسرعوا لاغاثته فاما طيـارته فقـد تكسرت اربا اربا واما بدنه فقد عاينه الحكيم وبشر الحاضرين بان جرحه لا يخشى منه على حياته وقد اهتم فخامة الرئيس بامره وبعث له من يبلغه تحيته ويهنيه بالسلامة

الباب التاسع

في الكلام على مدينة سوسة عاصمة البلاد الساحلية
واحتفالها بفخامة رئيس الجمهورية

اعلم ان سوسة اسسها الفينيقيون وعنهم ورثها الرومان وكانت تسمى على عهدهم هدروميطوم وهي من اقدم ثغور الاسلام فتحها الصحابة في سنة ٤٥ للهجرة على يد معاويه بن حديج بالحاء المهملة في خلافة معاويه بن ابي سفيان وكان ذلك في معركة مشهورة مع عساكر الروم الذى سيرهم امبراطور القسطنطنية لمحاربة جيش العرب الفاتحين الا ان النصر كان حليف المسلمين في تلك الوقعة فهزموا عدوهم على مقربة من قصر الجم الوارد ذكره في محله من هذه الرحلة ومن آثار السلف بها قصر الرباط وجامعها الاعظم وكلاهما احدثه السلطان محمد بن الاغلب فاما القصر فكان معدا لسكنى الغزاة حين كانت سوسة مرسى حربيا لدول القيروان وفيها تحشد الجيوش والاساطيل المعدة لفتح جزيرة صقلية وفيه صومعة شهيرة شاهقة البناء كانت ناظورا للمرابطين يترصدون منها طلايع العدو فيكشفون من بعد على اساطيله ويتهياون لمواجهته بالنيران الحامية والسيوف اللوامع وفي هذا المقام روى التاريخ ان غالب الثغور الافريقية على ساحل البحر المتوسط من طرابلس الغرب الى طنجة كانت بها نواظير على نمط صومعة قصر الرباط بسوسة فاذا لاحت اساطيل العدو لواحد من هاتيك الثغور بادر مرابطوه الى اعلام الثغر القريب منهم بعلامات واشارات اصطلاحية ترى من بعد فيبادر اهل ذلك الثغر باعلام الذين يلونهم وهولاء

يفعلون على اثرهم مثل ذلك مع الذين يلونهم وهلم جرا بحيث ان كافة ثغور الاسلام بافريقيا تكون في وقت واحد على علم من الخطر الذي يتهدد بلاد الاسلام فتاخذ حذرها وتتاهب للدفاع او الهجوم وفي عصرنا هذا تحول قصر الرباط لمدرسة لطلبة العلم



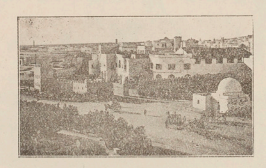
قصر الرباط وصومعته

اما الجامع الاعظم بسوسة وناهيك به من مسجد صلى فيه سحنون وغيره من ايمة الفقه فقد اسسه محمد بن الاغلب المذكور سنة ٢٣٦ ثم زيد في بنائه بعد سقوط دولة بني الاغلب الى ان تعاظم شانه واصبح من اضخم جوامع الاسلام بشمال افريقيا ولقد نقشوا باعمدته في اواسط المائة الرابعة هذه العبارة وهي « القرآن كلام الله ليس بمخلوق » مما يويد ما قصه علينا التاريخ من اذلال وامتهان اهل السنة بسوسة في دولة القايم ابي القاسم محمد بن عبيد الله المهدي ثم بتغلب الحق على الباطل واعتلاء اهل السنة على الشيعة وهوما اشار له احد شعرائهم المجيد بن احمد بن صالح السوسي حيث قال

مدينة سوسة في الغرب ثغر تدين لها المدائن والقصور
لقد لعن الذين بغوا عليها كما لعنت قريظة والنضير

اتاها الخارجون ليملكوها فكان من الاله لها نصير
اعز الله خالق كل شيء بسوسة بعد ما التوت الامور
ولولا نصره ظهرت دواهي يشيب لهولها الطفل الصغير
سيبلغ ذكر سوسة كل ارض ويغشى اهلها العدد الغفير

قيل ان الفحش والظلم والقساوة التي ارتكبها الشيعة نحو اهل سوسة اوائل المائة الرابعة جعلتها قاعا صفصفا لا ترى فيها انسيا سنيا الى ان اتاح الله نصره لاهل السنة فاستعادوها من اهل الشيعة واصبحوا كلهم على مذهب امام دار الهجرة ملك من انس لتوحيد المذاهب يومئذ بافريقية دفعا للشبهات ولمدينة سوسة ينتسب جماعة من اهل العلم منهم الامام يحي بن عمر الكناني وعنه اخذ علماء القيروان (راجع كتاب اقتباس الانوار)

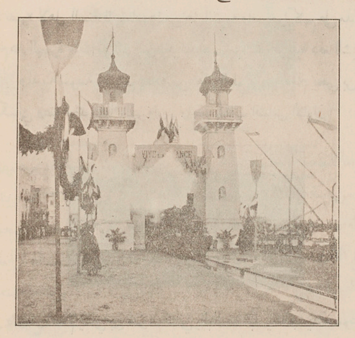


ضريح الامام يحي بن عمر الكناني بالبطحاء البلدية الجديدة بسوسة

اما اليوم فسوسة هي عاصمة البلاد الساحلية جمعاء يربو عدد ساكنيها على ٢٥ الف نسمة وهي بلاد تجارة نافقة وغراسة دافقة ارجاءها زاهية واحوازها زاهرة بغروس الزياتين والعمارات والمصانع وليس عمل من اعمال المملكة التونسية اكثر من عمل سوسة عمرانا ومدنا وقرى وشؤنها البلدية يدبرها

مجلس يديره نخبة من اهاليها المسلمين والفرنساويين تحت اشراف عاملها الغيور ورءاسة معتمد فرنساوي تمحض خدفا وحزما وهو الاستاذ غاليني الذي سياتي ذكره في هذا الباب من الرحلة

فلما دخلها الرئيس قرب زوال يوم الثلاثاء ٢٥ افريل ١٩١١ كان الهواء ناعما والغزالة تغشي باشعتها الابصار وكان الغرس والزرع قد اخذ نصيبه من نعمة الغيث فاصبح جماله يسحر الابصار

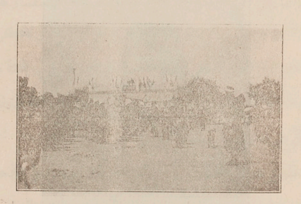


الزينة بسوسة عند دخول القطار الرئيسي اليها

ولدى نزول فخامته بموقف الحديد تقدم للسلام عليه كل من مسيو دوماس المراقب المدني بسوسه وعاملها السيد البشير صفر والاميرال بيلو قايد اسطول بنزرت حيث عاد لساحلها باسطوله المهيب

بعد ان قضى اياما في مياه صفاقس وعاد للالتحاق بفخامة الرئيس عند قدومه لسوسة ثم للعودة لمياه بنزرت ليكون على اذن جنابه للرجوع بفخامته لفرنسا يوم ٢٧ افريل ١٩١١

وكانت محطة السكة بسوسة غاصة بوجوه المستقبلين يتقدمهم الجنرال ديزورت والمجلس البلدي والمجلس الشرعي والمجلس الافاقي ورجال العدلية الفرنساوية وسائر الادارات والهيات الرسمية واصحاب الحيثيات من سائر الطبقات وعندئذ تقدم جناب الوزير المقيم وعرف فخامته بالاعيان الحاضرين ثم عرض على جنابه مراسم تهنيتهم واحترامهم جميعا فشكر فخامته سعيهم وقلد اوسمة من درجات مختلفة منها الصنف الرابع من اللجيون دونور للملازم السيد احمد بن حسين من جيش التريور



موكب تقليد الاوسمة بسوسة

ثم انتظم الموكب وسار مخفورا بالعساكر على نغمات الموسيقي مارا بشوارع المدينة وكانت لابسة ثوب الزينة واعلام الفخر خافقة على معالمها والناس قد غص بهم رحب الفضاء فكان الموكب يسير الهوينا لشدة

الازدحام والفرح الذي بلغ بالسكان حد الهيام ولما وصل الركاب الرئيسي لدار المراقبة نزل فخامته والوزراء ورجال الحاشية ودخلوها مع الاعيان المصاحبين لهم لحضور مادبة الاكرام واذاك اطلق الاسطول مدافعه اشعارا بالسلام على فخامته

وقد حظر هذه المادبة الفاخرة كل من جناب عامل سوسة ورئيس مجلسها البلدي وكاهيته مسيو غاليني السالف الذكر فلما حضرت ساعة شرب القهوة تنقل فخامته ومعيته لقاعة الاستقبال وتجاذب مع الحاضرين اطراف الحديث واذاك استدنى من فخامته صاحبنا السيد البشير صفر عامل سوسة



السيد البشير صفر عامل سوسة

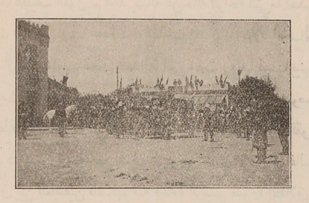
129

وآنسه بلطيف القول ثم اخذ يساله عن حالة الراحة التي ما انفكت متواصلة بجهات الساحل ولما اكد له صاحبنا المذكور اخلاد الاهالي للسكون والاقبال على شئونهم بفضل العدالة التي مدت رواقها فيما بينهم انجر به الحديث للكلام على الجرائم الشاذة التي هى من خصوصيات البدو كاختطاف الابكار بداعي العشق والغرام وهنا افاض العامل القول على ما يعقب ذلك من الدفاع عن شرف الاعراض الذي يؤول في غالب الاحوال للطلاق بين العاشقين فاستفهم منه فخامة الرئيس صورة الطلاق في الشرع الاسلامي فشرحه له مبتدأ بالاشارة لانه « ابغض الحلال الى الله » ثم بين درجات الطلاق الرجعي والبائن وختم كلامه بمعنى الطلاق بالثلاث القاضي بالفصل بتاتا بين الزوجين وحينئذ أخذ فخامته يتتبع مجاري الحديث بكل تفهم وتمعن فادته قريحته الصقيلة للاستفسار هل من سبيل بعد ذلك للجمع بين الزوجين لانه استروح من جواز تكرر النكاح والطلاق مرارا السر الخفي الذي ذهب بالشارع للركوب بامته مركب اليسر لاستدامة الالفة والمعاشرة العائدة طبعا بتنمية اعداد جماعة المسلمين وصون الرجال عن مد عيونهم لنساء الغير

فقص عليه صاحبنا العامل عندئذ حديث المراهق على المذهب الحنفي واقفا دون (حديث العسيلة) واذاك ادرك فخامته بقية النازلة فضحك كثيراً

ولما استاذن العامل للانصراف حياه فخامة الرئيس وصافحه مصافحة الكرام

ثم ان فخامة الرئيس تلقى مراسم الموادعة من كبار المامورين بسوسة وركب عربته وسار موكبه بعد الظهر محفوفا بالاقبال



موكب فخامة رئيس الجمهورية عند مبارحته لسوسة

والاجلال قاصـدا السكة الحديد حيث ركب الرتل عائدا لحـاضرة تونس فوصلها بسلام

هذا ونختم كلامي على مدينة سوسة بذكر حكاية لطيفـة ذكـرها الحميدي في تاريخه قال « اخبرنى بعض اصحابنا بالاندلس عن سليمـان ابن محمد الهروي الصقلي قال كان بسوسة افريقيـة رجل اديب شاعر وكان يهوى غلاما جميلا من غلمانها وكان الغلام يتجنى عليه ويعرض عنه قـال فبينما هو ذات ليلة يشرب وحده على ما اخبر عن نفسه وقد غلب عليه غالب من السكر اذ خطر بباله ان ياخذ قبس نار ويحرق على الغلام داره لتجنيه عليه فقام من حينه وجعل ذلك واتفق ان رءاه بعض الجيران فبادروا النـار بالاطفاء ولما اصبحوا نهضوا الى القاضي فاعلموه فاحضره القاضي وساله عما فعل فانشا يقول ارتجالا

130

لما تمادى على بعادي واضرم النار في فوادي

ولم اجد من هواه بدا ولا معينا على السهاد

حملت نفسي على وقوفي ببابه حملة الجواد

فطار من بعض نار قلبي اقل في الوصف من زناد

فاحرق الباب دون علم ولم يكن ذاك من مرادي

قال فاستظرف ذلك القاضي وتحمل عنه ما افسده واخذ عليه ان لا يعود وقريب من تجاوز هذا القاضي اللبيب صنيع الخليفة عبد الملك بن مروان يقال انه هو الذي ابطل اول حد في الاسلام اذ رجع عن قطع يد سارق لانه انشده ساعة الحكم عليه بقطع يده

يدي يا امير المومنين اعيذها

بعفوك ان تلقى مقاما يشينها

فلا خير في الدنيا ولا في نعيمها

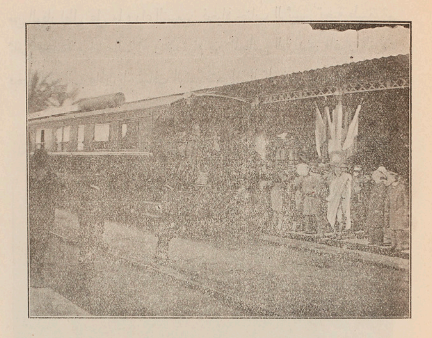
اذا ما شمال فارقتها يمينها



الباب العاشر

في الكلام على زيارة فخامة رئيس الجمهورية للجهات الغربية ولخرابات دقة ورجوعه لفرنسا

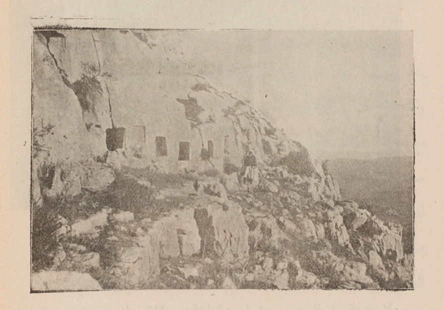
بعـد ان قضى رئيس الجمهورية ليلة الاربعـاء ٢٦ افريل ١٩١١ بدار السفارة العامة انتظم موكب فخامته صبيحة اليـوم المذكور وتحرك ركابه على السـاعة السابعة قاصدا محطة السكة الحديد الجنوبية فمر موكبه بين اسمطة الجيش الفرنسـاوي على نغمات نشيد المرسلياز وكانت ساحة السفارة واحياء الحارة الاروباوية غاصة بالخلايق والهاتفين بالدعاء لفخامته واذاك اطلقت المدافع مائة طلقة وطلقة من الحصون واقلاع اشعارا بموادعة الحاضرة التونسية لفخامته وبينما كان البارود يتكلم استعرض جناب الجنرال بيستور قائد جيش الاحتلال تحت انظار فخامته فرقة من العساكر المسلمين المنخرطين في الجندية الفرنساوية جيء بهم للمحطة بقصد ارسالهم للالتحاق بالجيش الفرنسـاوي العامـل بالديار المغربية فاستنشق فخامة الرئيـس بسـالتهم واثنى عليهم وعلى قائـد جـيش الاحتـلال بتونـس



فخامة رئيس الجمهورية عند ركوبه القطار بالحاضرة
متوجها للجهات الغربية

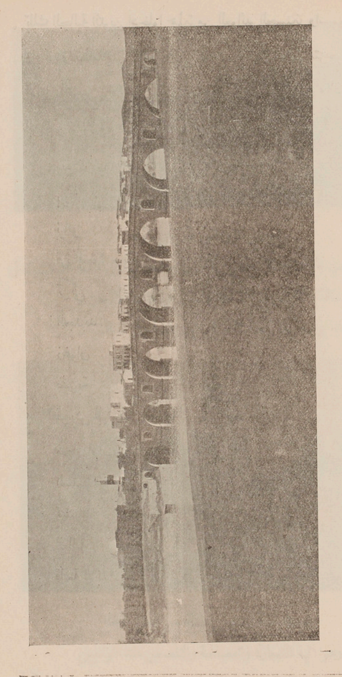
ثم ركب جنابه رتلا مزركشا بابدع اسلوب وهو الرتل الذي كان في خدمة مسيو لوبي عند زيارته للمملكة التونسية في ربيع عام ١٣٢٢ فتحرك الركب قاصدا مجاز الباب يحفه الاقبال والاكرام ولما مر ببلد طبربة اوقف سيره واذاك خرج فخامة الرئيس من غرفته واشرف من برطال العربة على جموع الوافدين للسلام عليه من اعيان النزلاء والاهالي بجهة طبربة فتقدم حينئذ نحو مدرج العربة السيد مصطفى دنقزلي عامل احواز الحاضرة واعرب لفخامته عن ولائه واحترامه ثم قدم لفخامته المرحوم الشيخ محمد العجابي القاضي الشرعي بطبربة وهو شيخ على جانب

من الوقار اطل على ما وراء التسعين فحياه جناب الرئيس تحية طيبة ثم تلقى فخامته مراسم السلام والاحترام من المجلس البلدي فاعيان النزلاء فبقية الطوائف واذن باستيناف السير فتحرك الرتل نحو بلد مجاز الباب



مدافن قدماء البرابرة بشواط من عمل الاحواز

وهذا البلد كان يسمى عند الرومان « منبريسة » فقضى نحبه في جملة مدنهم التي عفت رسومها بعدهم الى ان جاء الاندلس في جاليتهم الاخيرة سنة ١٠١٧ على عهد عثمان داي فاحيوه كما احيوا واسسوا عدة مدن اخرى قال في كتاب المونس انهم بنوا اكثر من عشرين بلدا بشمال العمالة التونسية وذكر اغلبها وانا انقلها عنه هنا افادة للقاري وتمجيدا لذكر اهل



قنطرة مجاز الباب

تلك الجالية الذين ادخلوا جملة من العوائد الحسنة واسسوا عدة مدائن واوجدوا نظاما مدنيا للعائلة في البلدان والجهات التي امتزجوا فيها بالعنصر الاهلي التونسي اما المدن التي اسسوها بالعمالة فهي على ما ذكره المورخ ابن ابي دينار في كتاب المونس المشار اليه

سليمان

بلي

نيانو

قرنبالية

تركي

الجديدة

زغوان

طبربة

قريش الواد

مجاز الباب

السلوقية

تستور

العالية

قليعة الاندلس

133



الجسر الزوماني بقريش الواد

وباغلب جهات تلك المداين آثار رومانية لم تزل قائمة الذات تدل على ما كان لتلك الارض من الرفعة والشان في فائت الازمان وكذلك يوجد بها ايضا آثار للبرابرة كمواجل توكابر

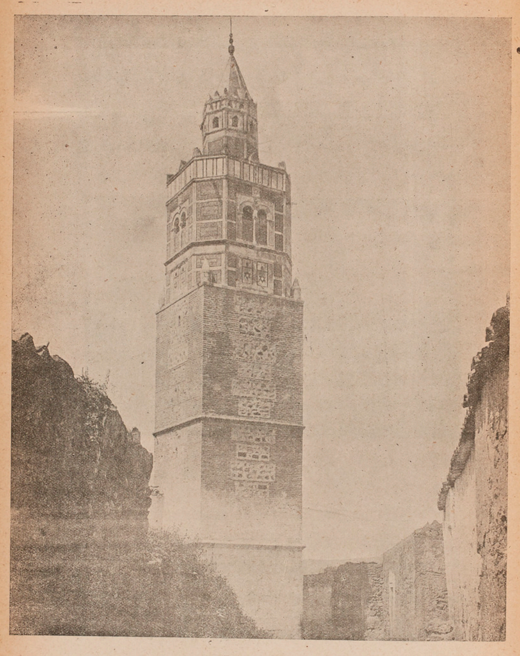


هيكل عطارد بعين طنقة من عمل المجاز
وهو الهة التجارة والفصاحة والتلصص عند الوثنيين



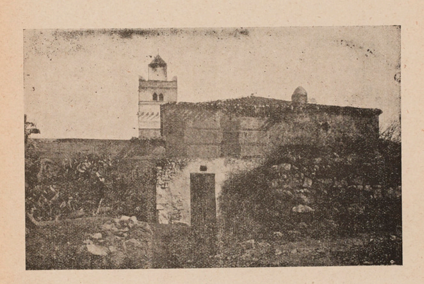
مواجل البرابرة بتوكابر على مقربة من تستور

هذا وبعد ان تلقى فخامة الرئيس مراسم السلام والاحترام من اعيان النزلاء ومن وفود الاهالي وكان في مقدمتهم عاملهم الامير الاي السيد محمد الدويك ومشايخ الطرق والزوايا والعمد والاعيان انتظم بباب المحطة قطار مركب من نحو ثلاثين عربة سيارة في طليعتها السيارة الرئيسية وسار الموكب على هذا النظام قاصدا تبرسق فمر بطريقه على بلد تستور ذات الصومعة الاندلسية التي تحاكي شكل صومعة جامع اشبيلية على عهد السلطة الاسلامية وهنالك التف حول ركابه جموع لا تحصى من الفرسان والعربان وكانت بايديهم مباخر الطيب وطفقوا يلهجون بالدعاء لفخامته ويخفقون اعلاما مثلثة كانوا قابضين عليها فوقع صنيعهم لدى فخامته موقع الاستحسان



صومعة جامع تستور الشهيرة وهي من بناءات الاندلس

ولا يسع القاري إلّا النظر بعين الاعتبار والاعجاب لهذه الصومعة التي بناها اخواننا الاندلس كما شيدوا بغيرها من الجهات كثيرا من الصوامع والمساجد التي يذكر فيها اسم الله ومنها جامع بلد السلوقية الذي يرى القاري ايضا مثالا من صومعته هنا



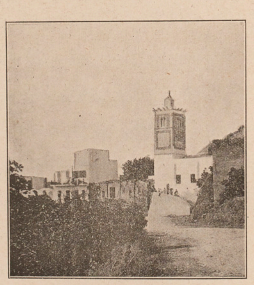
منظر من بلد السلوقية وصومعتها التي احدثها الاندلس

في اوايل القرن الحادي عشر

هذا وبعد مبارحة تستور تقدم الموكب الرئيسي قاصدا تبرسق الواقعة بسفح جبل وهي من المدن الاثرية وكانت على عهد الروما ن طافحة بالعمران واسمها عندهم « تبرسكوم » فلما دخلها الموكب نزل فخامة الرئيس بدار المراقبة المدنية وبها تلقى مراسم السلام والاحترام من المعمرين

الفرنساويين ثم من العـامل السيد مصطفى بن عصمان والمجلس الشرعي واعيان وعمد العمل وتنازل لاشباع الحديث معهم مظهرا عنايته واهتمامه بشئون ناحيتهم فاستطلع منهم اساليب حراثتهم في تلك الارض التي بطبيعتها حجرية واستعلم عن درجة خصوبتها وعن حال الزرع والضرع بها الى غير ذلك من الاستفادات الزراعية وانجر به الحديث معهم لسماع رغائبهم التي منها طلب توسيع المجال لهم في الاراضي الخصيبة التي ضاق نطاقها لديهم باقبال شركات الاستعمار على ناحيتهم وبعد انتهاء موكب القبول جلس فخامة الرئيس للفطور مع وزرائه وحاشيته الذاتية

وبعـد الزوال بسـاعة ونصف تحرك الموكب لزيارة اطلال دقة الواقعة على بعد ستة اميال من تبرسق



جامع بلد تبرسق

وقرية دقة كانت في القديم مدينة رومانية متمصرة وبها الهياكل العظيمة التي منها هيكل « المشتري » الذي اقامه الرومان حين كانوا على الديانة الصابية اكراما للقيصرين مرقوس وفيروس في حدود سنة ٤٥٦ قبل الهجرة فطاف فخامة الرئيس بصحبة مدير الانطكخانة خلال تلك الاطلال وتامل منها بعين العبرة مستوقفا نظره وفاتحا اذنه للافادات الضافية التي كان المدير المذكور يلقيها بخصوص تلك الديار كانه كان اليفها قبل الفي عام من هذا الزمان وكانت تقريراته بخصوص المرسح والكنيسة والضريح التي هي اهم اطلال دقة محل اعجاب فخامة الرئيس وحزبه لان المرسح كان يحتوي على خمسة وعشرين طبقة من الدرج لصعود المتفرجين ويوجد فيه بالنقش على صفحات الحجر عبارة تدل على انه بني على نفقة احد اهل الثروة من الفلاحين اكراما لاخوانه المزارعين لارتقائه لدرجة الشرف في نظام الدولة الرومانية اما الكنيسة فانها تشبه « الدار المربعة » الرومانية الموجودة الى الآن بنيمة من اعمال فرنسا سوى ان هذه اصغر من تلك واما الضريح فانه يبلغ لعلو شاهق ويقال ان بناءه متقدم على دولة الرومان

وبعد ان اجال فخامة الرئيس نظره في بقية الاطلال وخصوصا حمامات المياه المعدنية وهيكل الالهة السماوية ومواجل المدينة الرومانية بارح فخامته دقه وركب سيارته وتبعه اهل دائرته وقصد الموكب مدينة الكاف البعيدة من هنالك بنحو سبعين ميلا

والكاف مدينة قديمة وكانت تعرف على عهد الرومان باسم (سيكافناريا) نسبة لكوكب الزهرة التي هي آلهة الجمال والخلاعة عند قدماء اليونان

وهي واقعة في سفح جبل على نسبة ميل ونصف فوق سطح الماء لاجل ذلك كانت لسبب ارتفاعها من اهم المعاقل الحربية

فلما وصل الموكب الرئيسي مدينة الكاف قبيل الغروب كان اهل البلدة باجمعهم في انتظار فخامة الرئيس وكانت معالم المدينة وانهاجها وبطاحها لابسة من الزينة ثوبا قشيبا واقواس النصر متعالية برحابها وشوارعها غاصة بجموع المستقبلين الوافدين من قرب ومن بعد وكانت المزامير العربية تعزف والطبول تقرع بافراط حتى يخال السامع والناظر انه المنام لما حصل للكافيين من الفرح والهيام فمر فخامة مسيو فليار وسط تلك الجموع والوفود الحشيدة ومن جملتهم وفود التلاميذ فحياهم فخامته وخاطبهم بقوله « ثابروا ابنائي على التعلم فان عيون فرنسا ناظرة اليكم وهي لا تنساكم » ثم سار وعلائم البشر بادية على محياه سيما عند مشاهدته لجملة من الاعراب كانت برانيسهم موشحة بميدالية مراكش اشعارا بانهم كانوا قاتلوا في سبيل المدنية الفرنساوية بالمغرب الاقصى ولما وصل ركابه دار المراقبة نزل بها واذن بانتظام موكب القبول

واذاك تقدم مسيو برات المراقب المدني بالمكان وادى لفخامته عبارات التهنئة والاحترام ثم تناول فخامته باقة من الزهور من يد اللطيفة ابنة المراقب المذكور ومثلها من يد الماجدة ابنة السيد المختار الجويني عامل تاجروين وكلتيهما في نحو السابعة من عمرها



الماجدة الاصيلة تاج البخت

ابنة السيد المختار الجويني عامل تاجروين

وكانت هذه البنت الجوينية تحمل لبوسا بدوية فاخرة وعليها من الحلي والحلي قدر وفير فلما حيت فخامة الرئيس بلسان فرنساوي فصيح اعجب بمنطقها وبزتها ولطفها ولم يتمالك عن حملها وتقبيلها

ثم تقدم نحو فخامته لاداء مراسم السلام والتهنئة المعمرون الفرنساويون فموظفو الادارات الفرنساوية فاهالي الكاف يتقدمهم عاملهم السيد احمد السقاط محوطا بخلفاواته وباهل المجلس الشرعي والمشايخ والعمد والاعيان فالسيد المختار الجويني عامل تاجروين يعضده خلفواته وشيوخ وعمد واعيان العمل

فبقية الطوائف على اختلاف الملل والنحل ومنهم ابناء الجالية الطليانية وقد حياهم فخامة الرئيس تحية ودية صرح لهم اثناءها بانشراحه لوفود

الأسطول الطلياني للسلام عليه ببنزرت في هذه الساعة التي تحتفل فيها الامة الطليانية بعاصمة رومة بتذكار مرور خمسين سنة على تاسيس الوحدة الطليانية التي اختلطت دماء رجالها مع دماء ابناء فرنسا في وقعة « مجنته » الشهيرة لتاييد مقصد واحد

ثم لما انتهى موكب القبول اشرف فخامة الرئيس من معارج الدار على العساكر واستعرض كتيبتين من الاي « الجوايو » وقد اعجب ببسالتهم وتسابقهم في مضمار الشجاعة ثم استعرض فخامته الخيالة المسلمين وعاد لداخل المراقبة حيث استراح ردح زمن ثم تاهب للعشاء مع الاعيان الحاضرين

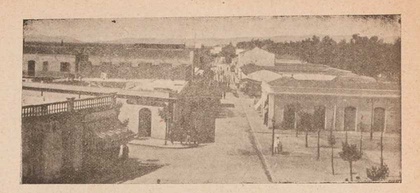
فاقام فخامته مادبة فاخرة بدار المراقبة دعى اليها الوزراء وبعض الذوات كما اقام ارباب الصحافة الباريسية مادبة حافلة اكراما لجناب مسيو بلان الكاتب العام ولجناب مسيو بيريال مدير التعليم الصناعي وكاتب السر بالسفارة الفرنساوية

وبعد ان تفسح اولئك الذوات بالمدينة وكانت آية في الزينة والاسراج بعناية مجلسها البلدي وعاملها النشيط وحضروا الالعاب النارية والشماريخ توجهوا لمراقدهم ونهضوا بكرة الغداة متاهبين للرحيل



الجامع الاعظم بالكاف

فانتظم اذاك الركب الرئيسي وخرج فخامة مسيو فليار من دار المراقبة المدنية محفوفا بوزرائه ورجال حاشيته وبعد ان تلقى مراسم الوداع والاحترام من المراقب المدني وعامل الكاف وبقية الاعيان امتطى سيارته السريعة وتبعه الجمع راكبين ثلاثين سيارة خفيفة وبارح الموكب الكاف مارا بخنقة جبل الدير ومكتشفا من علو شاهق على سهول السرس الخصيبة والبديعة المنظر ثم وقف موكبه لحظة عند وصوله لبلد نبر لمشاهدة الاشغال الجارية لنصب سكة حديدية منها الى ماطر القصد منها تسهيل نقل النتايج المعدنية من الجهات الغربية الى ثغر بنزرت ومنها لفرنسا واروبا ثم استانف فخامته السير وبعد قليل وصل لجندوبة وكانت ارضها كالزبرجد تبشر بصابة بعد العهد بمثلها فاحي مرءاها في اذهان فخامته ورجاله تذكار خصوبة دخلة جندوبة في العصور الخالية حتى وقع التعبير عنها في كتب التاريخ بمطمور رومة ولما كانت الساعة العاشرة وصل الركب لمدينة سوق الاربعاء وهي من المدائن المحدثة بعد الحماية الفرنساوية



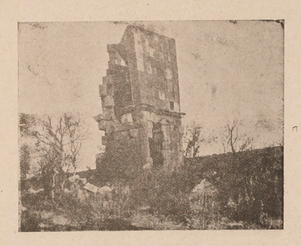
منظر من بلد سوق الاربعاء

وكانت تلك البلاد مزدانة بالرايات واقواس النصر وعلايم السرور بادية على وجه سكانها فدخلها فخامة الرئيس مارا بين اسمطة العسكر الخفيف من الاي التريس الثالث وبين هتاف الوف العربان والبدو المتوافدين من اعمال الرقبة وعين دراهم وجندوبة والشحية واولاد بوسالم وغيرها من الجهات الغربية



رسم اصلي من عربان دخلة جندوبة

واذاك تقدم الموكب ونزل الرئيس بمحطة السكة الحديد واذن بانتظام موكب القبول ففتح فخامته المجلس بسماع النشيد الوطني الفرنساوية تغنى به بين يديه تلاميذ المدارس ثم تلقى مراسم السلام والاحترام من مراقب سوق الاربعاء ومن لفيف المعمرين والمتوظفين الفرنساويين ثم من السيد حسونه الزواري عامل جندوبة والسيد الصادق بن خليفه عامل الشيحية



ضريح روماني بعمل الشيحية

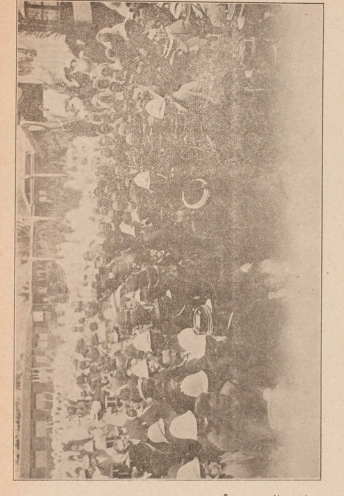
والسيد احمد الاخوة عامل الرقبة والسيد حميدة الحبيب عامل عين دراهم يعضدهم خلفواتهم ومشايخ وعمد المدائن والقرى والنجوع بالاعمال المذكورة فاثنى فخامة الرئيس على الجميع واستحسن بزتهم العربية ونظر بوجه خاص لجمع من اهالي جبل خمير جاءوا مع عاملهم للاعراب لفخامته عن طاعتهم وجنوحهم للهدو والراحة وتمتعهم بالعدل والامان في ظل الحماية الفرنساوية بعد ان كانوا قبل قد اخذوا حظا في الفتك والنهب بين الناس اثناء وقايع الاحتلال لانهم كانوا يعتقدون ان الارزاق معقودة باسنة الرماح



شجرة الفرنان

التي كان عربان خمير يقدمون اليها النذور وقد احترقت عام ١٣٢٥

ثم ان فخامة الرئيس احسن بالميدالية العسكرية لنفرين من جيش الجندرمة وتسلم عدة باقات من الزهور من يد تلميذات مسلمات وفرنساويات وخرج من محطة السكة قاصدا حضور مادبة انيقة اقيمت هنالك تحت خيام مزركش على نفقة شركة بون قالمة فجلس فخامته وجلس حوله الوزراء والوزير المقيم والكاتب العام وبقية الذوات وكان مجلس الطعام موسوما باللطف والظرف وعلايم الفرح والنشاط تتلالا على جبين الحاضرين وفي ختام الفطور نهض جناب مسيو الابتيت الوزير المقيم العام والقى خطابا عظيما هذا نصه



موكب الخطب بسوق الاربعاء

ياسيدي رئيس الجمهورية

المامول من المسيو تريلات الذي هو من اكرم اهل القرا والذى قام مع من شاركه في ذلك من معاونيه بالعجب العجاب مدة اسابيع عديدة في تهياة قبولكم بما يليق ان يتفضل بالتنازل لي عن مهمة الخطاب لنعرض على فخامتكم مراسم الوداع بالنيابة عن العمالة التونسية في هذا الحين الذي

١٤٥

وصلتم فيه لنهاية هذه الرحلة التي ستبقى خالدة بتواريخها ولا ينسى لها بعد ذكر لان زيارتكم لم تغفل اي ناحية من النواحي

هذا وقد امكنكم ان تشاهدوا مقدار ما حصل عليه هذا القطر بسرعة من استكمال عدته تحت نظر وصيته فرانسا : فهذه طرقاته وهذه سككه الحديدية قد استحقت من طرفكم الثناء الذي سنفتخر به كما ستفتخر به ادارة الاشغال العمومية ــ ومعلوم ان هذه الادارة هي التي تولت هندسة مجموع خطوطنا الحديدية ولا زالت وفقا لمرغوب المعمرين الفرنساويين متواصلة السعي في انجازها اكثر فاكثر ولا شك ان فخامتكم قد حكمت عند فتحها للخط المنصوب بين سوسة وصفاقس بحسن اتقان خدمة ذلك الخط

اما السكك الحديدة الشمالية المعدة لتزويد ثغر بنزرت فقد لاقت عثرات طبيعية كانت مجهولة في البدء : فصحة المهندسين والنظار الواقفين على الاشغال لم تكن باقل اصابة من صحة ملتزمي الاعمال والفعلة بحيث انهم لم يتغلبوا على تلك المصاعب إلّا باستعمال الاولين منهم لمهارة صناعية عالية وايضا لمثابرة ونجدة اخذ الجميع منها نصيبه وليس هنالك شيء ينسيهم عبء تلك المامورية اجل من حسن الالتفات الذي قابلتم به صنيعهم

فلتسمح لي حينئذ فخامتكم بتقديم شعائر تشكرهم الممزوج بشكران المملكة التونسية قاطبة

وان فخامتكم التي لم تفكر لحظة في سبيل الاشفاق على قواكم البدنية لم يخطر لها ان تمحو اي حركة متعبة من فصول برنامج الرحلة الذي عرض على انظاركم وما ذلك إلّا رغبة منكم في المعاينة والوقوف بذاتكم

على كل شيء مع ان الخطب التي سمعتموها كانت تكرارا محضا ـ وهذا برهن لكم على وجود احساسات هنا عامة لدى جميع الطبقات وهي احساسات مشتركة عند الجميع مسماها الاخلاص لفرنسا والاحترام العميق مع الاعزاز نحو ذاتكم وقد نال كل حظه من خطاباتكم حيث اطنبتم القول اينما حللتم بفصاحتكم النضاخة المعهودة ولطفكم الجامع بين الابداع والبساطة ذلك اللطف الذي سحر ببهائه كل من اقترب منكم لا بطريقة التمييز لان فخامتكم تتنازل ايضا لسماع صوت الضعفاء بل بداعية الفرح والتسابق لتلقي ما يفوه به جنابكم من الكلام

واذا بقي في فتح العمالة التونسية للنفوذ الفرنساوي نقص يحتاج الى اتمام فان الفضل في انجازه يكون عائدا لاياديكم البيضاء

واني ارى نفسي بصدد محاولة شيء مفروغ منه حيث وقفت موقف الترجمة عن احساسات الشعب الذي ما انفك متسابقا منذ عشرة ايام للمثول امام ركابكم لان كاس فواده قد طفحت بما انا عاجز عن وصفه كما يستحق

هذا واني بمحضر نواب المعمرين الفرنساويين من اهل الفلاحة والتجارة وبمحضر اهالي مراقبة سوق الاربعاء وبمحضر اللطفاء رجال الصحافة الذين لم يدركهم عياء والوزراء الذين تنمو اجورنا بسرورهم اشرب مع كامل المراعاة المتاصلة بجوارحنا على سلامة فخامة رئيس الجمهورية

وعند انتهاء هذا الخطاب الذي تلقاه الحاضرون بمظاهر الاستحسان والتصفيق الطويل قام فخامة الرئيس وارتجل خطابا بديعا اداه بصوت جهوري وبحماسة وقد نقله الصحافيون بطريقة الاختزال في الكتابة وكان سماع الحاضرين اليه وهم وقوف على القدم ونصه بعبارته

ايها السادة

ان العبارات التي سمعتموها تزيد في الاسف الذي حصل لي لاقتراب ساعة مفارقتكم لكن مرادي ان اقول كلمة اخـيرة بالعمالة التونسية قبل افتراقنا من هذه الرحلة ـ ذلك اني جئت للعمالة لتبليغها سلام الاخوة من فرنسا و كذلك سابلغ عنها سلام الاخوة لفرنسا

وان ما شهدته وسمعته لم يغير شيئا من الاحساس الذي هو بخلدي نحوكم من قبل فالاشغال العجيبة الذي تم انجازها بهذه الارض تشهد بان مهندسينا والشركات الحديدية هم الذين مهدوا حقا مشروع المدنية لذلك اشـكر كل الذين شاركوا اي مشاركة كانت في ذلك المشروع ومـدوه بالمساعدة التي من الواجب ان لا تنسى ونعني بهم مدير الاشغال العامة ومهنـدسيه والواقفين على الاعمال والمستخدمين والعملة

وبازاء الطرقات الحديدية والاشغال العمومية التي ساعدت على الرفاهية وتنمية الثروة العامة يوجد ذلك الامر الذى ينقاد قلبي طبعا نحو جهته ألا وهو المدارس المفتحة الابواب في وجوه الاطفال الفرنساويين والتونسيين الذين لا ارى فرقا بينهم لاني لا اطلب الآن شيئا واحدا من التونسيين وهـو تعلم اللغة الفرنساوية التي هي بكل المعاني لغة العالم المتمدن والذي يظهر يا جناب المقيم العـام ان من الواجب صرف عنايتكم الحثيثة نحو هـذا المقصد اذ قـد اصبحنا بفضل ادارة الحمـاية ليس في مقـام الاعادي بل كاحباب يبسط الينا كل الناس ايديهم لنصافحها

ويقول بعضهم اني وديع واني ابسط يدي بسهولة للمصافحة نعم انهم قالوا حقا ولكن لا ابسطها الا للذين يعملون لعظمة الوطن — اما الايدي الكثيرة التي صافحتها هنا فلكوني احسست منها انعطافا مثل الذي احسته مني ومعلوم ان ضمائرنا لا يوجد وراءها مقاصد خفية ولا تحركنا غاية الفتح اذ لا نرى الّا مقصدا واحدا الا وهو فتح القلوب — على انه توجد بين فرنسا وتونس مشاركة في عواطف شريفة واخرى في الوطنية ولدينا راموز من ذلك حيث شاهدنا البارحة بفضل قائد جيش الاحتلال استعراض ابناء القطر التونسي المتوجهين للمغرب الاقصى بقصد اعانة اخوانهم في السلاح واعلاء مقام العلم الفرنساوي ان اقتضى الحال — ولي العلم بان كثيرين يتوجعون لذلك السفر اعني العساكر الذين بقوا لانه لا يوجد مكان للكل

ثم قال فخامة الرئيس ان رحلته هذه لا ينساها وشكر اعضاء الصحافة الفرنساوية والتونسية عن كدهم الذي لم يتطرقه الفشل وصرح لهم باعتماده على حكمتهم وانصافهم لانارة الراي العام كما شكر المسيو مرسيل تريلات رئيس مجلس ادارة بون قالمة عن براعته الغريبة في ادارة الشئون المنوطة بعهدته اثناء هذه الرحلة التي ابرز نظامها وتم نجاحها على غاية ما يرام

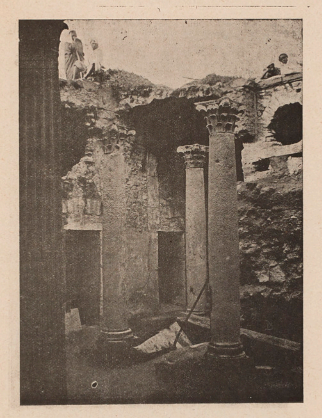
ثم ختم خطابه قائلا — قد قضينا رحلة عظيمة وجميلة والسادة الوزراء الذين رافقوني وشاركوني في ابتهاجي يشهدون معي بذلك وانجزنا عملا للسياسة العمومية بين الدول وجولنا الفكر الفرنساوي باصقاعكم التي اشربت حب العدل والحمية الوطنية المنيرة ونبارح هذا القطر معتقدين انه توجد له الّا فرنسا واحدة وعند شربنا على مجدها وعظمتها نشرب في آن واحد على مستقبل وسعادة المملكة التونسية

فلما انتهى الرئيس من خطابه قامت ضجة هتاف وتصفيق بلغت عنان السماء ورطب الحاضرون السنتهم بالدعاء لفخامته وللجمهورية ثم انتهى الموكب واذن مسيو فليار بالرحيل واذاك بارح فخامته بلد سوق الاربعاء



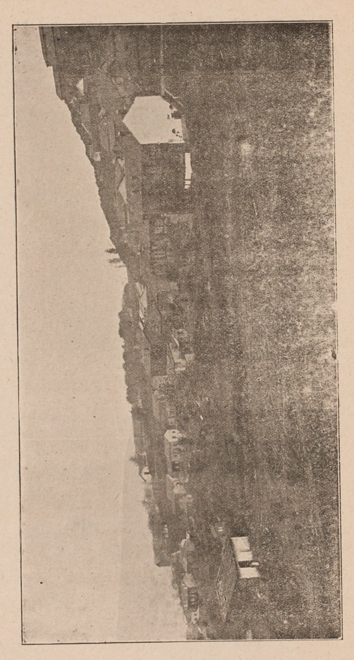
جامع سوق الاربعاء الذي احدث سنة ١٩٠٩

وقبل ان نختم الكلام على حديث الرحلة الرئيسية بسوق الاربعاء قاعدة عمل جندوبة ينبغي ان اشير لماضى هذه الجهة وما كانت عليه من السعادة والعمران على عهد الدولة الرومانية ويكفى في ذلك ان ننقل هنا للقاري راموزا من مدنية تلك البلاد الناطقة ارضها حتى اليوم بآثار حضرية ومجد لم يمحه كر الدهور وتعاقب السنين والشهور



مساكن اهل الكهوف في القديم
بجهة ربيعة المعروفة عند علماء الآثار باسم بولاريجيا

كذلك يرى القاري تلو هذا من مناظر التمدن الروماني ومن ثروة المقاطع المعدنية والمرمرية ومن الغيب الملتفة ما يدله على اهمية منـاخ تلك الجهات التي اصبحت اليوم مقصدا للسواحين ومصيفا للاروباويين ناهيك ان الدولة التونسية اقامت بمزرة السردوك على مقربة من عين دراهم خانا كبيرا لمن يرغب من مستخدميها ومتوظفيها تبديل الهواء عوض السفر لفرنسا



بلد عين دراهم

وهذا جبل شمتو من عمل الرقبة وهو حجة ناطقة بثروة مقاطعه المرمرية التى زينت الواحها بيوت الاغنياء والكبراء سواء ذلك بتونس وباروبا وكل من نظر لانواع رخامه من اللون القرمزي والبنفسجي والاحمر الناصع والاصفر الفاقع والاخضر والابيض والازرق الّا واعجب بجمال ذلك المرمر النادر الوجود





مقطع المرمر بشمتو

هذا ولما بارح صاحب الفخامة مسيو فليار بلد سوق الاربعاء ركب رتله الرئيسي وسار على طريق السكة الحديد قاصدا واد باجة و يعرف اليوم باسم قنطرة « طراجان » نسبة لانبراطور روماني كان من الرجال المصلحين على راس المائة الثانية للميلاد





منظر مدينة باجة

وباجة كانت تسمى على عهد الرومان « فاكا » وكانت على عهدهم بلاد زرع وضرع كما هو شانها ايضا في دولة الاسلام ناهيك انها تسمى في المعجمات الجغرافية العربية باسم « باجة القمح » قال ياقوت « سميت بذلك لكثرة حنطتها » وامتحن اهلها في اواسط المائة الرابعة في ايام مخلد بن يزيد بالقتل والسبي والحريق قال الراجز في ذلك

وبعدها باجة ايضا افسدا واهلها اجلى ومنها شردا
وهدم الاسوار والمعمورا والدور قد فتش والقصورا

وباجة انبتت غير واحد من العلماء الفحول منهم الشيخ صالح المغراوي ذكره العبدري في رحلته واثنى عليه ولا زال له عقب بها ليومنا هذا

فلما وصل رئيس الجمهورية لمحطة واد باجة كان في استقباله مسيو كلبيار المراقب المدني والمتوظفون ولفيف المعمرين والمجلس البلدي واعيان اهالي العمل يتقدمهم عاملهم السيد محمد الصالح البكوش فالسيد عثمان ابن عبد الرحمن العضو النائب عن مدينة باجة بالمجلس الشوري فالخلفاوات والمشايخ والعمد فبقية اصحاب الحيثيات والمظاهر الرسمية واذاك دخل فخامة الرئيس قاعة الاستقبال وانتظم الموكب لقبول مراسم التهنئة والاحترام فافتتح المراقب المذكور تلك المراسم باداء سلامه واحترامه لجناب الرئيس وتشرف بعده باداء نظير تلك المراسم بقية الذوات الحاضرين ولما آلت نوبة الكلام للسيد عثمان بن عبد الرحمن العضو بمجلس الشورى القى على الاسماع الرئيسية ابياتا جاء فيها قوله

لنا ثلث قرن في السعادة والهنا ومنكم هذا العز يبقى ويكمل
نبذنا سلاح الاولين لعلمنا بدولتكم هي السلاح الموفل
واهديت تذكارا لكم بندقيتي وسيفا على اليمن المويد يقبل

ثم قدم لفخامته هذا السلاح الذي اشار اليه في الابيات المذكورة معرفا اياه انه سلاح الاباء والاجداد وان الاهالي اصبحوا في غنى عنه بفضل العدل والامان الذي مد عليهم رواقه في ظل الحماية الفرنساوية فاخذ منه فخامة الرئيس تلك الهدية واجابه بشهامة قائلا

« نبقي هذه الاسلحة باغمادها كما فعلنا منذ ثلاثين سنة ونستعد مع ذلك لحفظ الراحة اما في زماننا هذا فسلاح الانسان ذكاءه وعلمه »

ثم ان فخامة الرئيس استحضر السيد محمد الصالح البكوش واثنى عليه ومجد ذكره وقلده بيده وسام الشرف الفرنساوي وهناه به تهنئة فائقة بين تصفيق الاستحسان من كافة المعمرين والاهالي الحاضرين



السيد محمد الصالح البكوش عامل باجة

وبعد ان جامل فخامته اعيان الذوات تحادث مع مسيو فوردير العضو بمجلس الشوري ورئيس الجمعية الاستعمارية بباجة وافاض معه القول في الشئون الزراعية وتربية البقر ثم وعده بانه سيرسل له باسم الجمعية المذكورة على وجه التنشيط راسين من البقر الضخام المشهورة ببلاد «الجيرس» من اعمال فرنسا لتنسيل جنسها بالعمالة التونسية فشكر مسيو فوردير هذه العناية العالية الدالة على مزيد اعتناء فخامته بشئون الزراعة التونسية

وانجز فخامة الرئيس وعده اذ وجه له في شهر فراير سنة ١٩١٢ فحلا من الثيران وعجلة فاخرة من الجنس المذكور اعلاه

147

ثم ان جناب الرئيس مر بصف البنات من تلميذات المدرسة الاسلامية وقصد العربة فصدحن وراءه بالولوة الكثيرة وريثما ارتقى رتله توادع مع الحاضرين واذن بالسفر فتحرك القطار قاصدا ترسخانة سيدي عبد الله ببحيرة بنزرت

واذاك كان في انتظاره برصيف الترسخانة اهل الحل والعقد والمجلس البلدي بمدينة فريفيل فتقدم كاهية هذا المجلس والقى على مسامع فخامته الخطاب الاتي نصه

ياسيدي رئيس الجمهورية

اقدم لكم التحية والاحترام بلسان المجلس البلدي والمدينة واعرب لفخامتكم مع ذلك عن شعائر تعلقنا الذي لا ينفصم حبله نحو فرنسا الجمهورية

انكم قد لقيتم اثناء هذا السفر الطويل المتعب ترحابا شائقا ومتكررا من اجناس سكان الايالة على اختلافهم إلّا انه لم يحصل ببلد مثل ما حصل ببلدنا من الشعور بالنخوة الوطنية والفرح والتشرف بزيارة نائب فرنسا الموقر وذلك لان بلدنا كاد ان يكون فرنساويا بحتا فقد نشا وتكون بارض لم يكن بها شيء فكانه قد شيدته يد ساحرة

ان هذا البلد احدث منذ عشرة سنين لخاصة خدمة الترسخانة وهو اليوم ياوي طائفة من النوتية والعملة وحسن مستقبله مقيد بحسن حظ بحريتنا الوطنية

وحيث كذا ولدنا وكذا نشانا كذلك كنا نطمح لزيارتكم وكذلك صرنا سعداء الحظ بتمكننا من رد السلام عليكم اعني على وطننا الجميل نفسه

وعند ركوبكم البحر في هذه الساعة للالتحاق بالارض التي هي مسقط راس جميعنا حيث ستبلغون لمسامع اخواننا بام الوطن تحيتنا ورغائبنا نستمنح منكم يا فخامة الرئيس مع الدعاء لكم بسفر ميمون وسعيد ان نصدع مرة زائدة بالديار التونسية قائلين « لتعش فرنسا ولتعش الجمهورية وليعش فليار !

وقد اجابه فخامة الرئيس بهذه العبارات

اني لم اقف هنا في اليوم الآخر حيث كنت اعلم اني راجع ولكن مما لاريب فيه عندكم انى لا امر بينكم من دون ان احييكم واصافحكم وحيث اعرفكم فرنساويين عريقين وجمهوريين مخلصين فكيف لا اجد من نفسى انبساطا عظيما للمحادثة معكم بعض دقايق

هذا واني لاعلم كما بدأ غيري بفرنسا معرفته قيمة المشروع البهيج الذي وقع القيام به هنا وشاركتم في انجازه باخلاص وكيف لا تكونون فرنساويين وجمهوريين وانتم سكان بلد منسوب لفيري

انكم طليعة المدنية في هذا القطر الانيس الذي كنت اتجول به واني ابارحكم ومعي ذكر لا يمحى من جميع ما شاهدته واني لا اقول لكم « في الوديعة » بل اقول لكم « الى عودة الملاقاة ان شاء الله » واصافحكم كلكم مصافحة الوداد

وفعلا فانه شوهد وشعران المصافحات عندئذ من مسيو فليار لاعضاء المجلس البلدي كانت ودادية قلبية

وفي تلك الاثناء حضرت ثلاث بنات لابسات ثيابا بيضا ومتمنطقات باوشحة مثلثة الالوان وبايديهن ثلاث باقات من الزهر دفعنها لفخامة

الرئيس وهن الابكار بنات لرنيو ورندو واذاك نطقت كبيرتهن البكر جرمان لرنيو بالخطاب اللطيف الاتي

يا سيدي الرئيس

حيث انا نحب الزهور وكنا ظريفات نقدم لكم من صميم الفؤاد هاته الباقة اللطيفة مع ابتسامات ثغورنا لانكم على وشك الارتحال فعساها تكون تدكارا لطيفا من بلدنا الواقع تحت هذه القبة الزرقاء الصاحية التي ترى شمسها في عيوننا النجل والمرجو ان تقولوا لاخواتنا اللطيفات بفرنسا اننا نحبهن ونتذكرهن وان تبلغوهن من طرفنا قبلا روحية لاننا نحن ايضا فرنساويات ونحب وطننا وجمهوريتنا

يا سيدي الرئيس تصاحبكم السلامة ولتعش فرنسا وليعش فليار !

هـذا وكان في زمرة المشيعين برصيف المرسى رفيع الشان البرنس سيدي المنصف باي اكبر انجـال الحضرة العلية وبصحبته الفاريق فلنسي



المرفع شانه سيدي المنصف باي

فلما التقى مقام الرئيس العظيم والبرنس الكريم تصافحا مصافحة الكرام وقال سموه لفخامته (ان الحضرة العلية كلفته بالمجيء نيابة عنها لاهداء سلامها العالي لجناب رئيس الجمهورية قبل سفره وسوال فخامته هل رجع مسرورا من رحلته) واجابه فخامة الرئيس عن هذه الاحساسات الشريفة قايلا (انه لمسرور جدا من رحلته كلها وانه يرغب من سموه ان ينهي للحضرة العلية تشكراته الفائقة عن العناية التي اظهرها كافة المامورين الاهليين بجنابه)

ثم سلم فخامة مسيو فليار للبرنس سيدي المنصف باي وسام الكمندور الاعلى من نيشان الزراعة برسم الحضرة الملكية والصنف الثاني من الوسام الموما اليه بعنوان البرنس نفسه فشكر سمو البرنس فخامة الرئيس عن هذه العواطف السامية وتقدم مع فخامته والوزراء وبقية الذوات لرصيف البحر واذاك ادت العساكر السلام وتصافح فخامته مع سيدي المنصف باي والجنرال بيستور وجناب الوزير مسيو روا وجناب مسيو بلان وبقية الذوات وامتطى مع جناب الوزير المقيم متن الطرادة المسماة (المجتاز) فتحركت بفخامته نحو الدارعة الرئيسية (الحق) وهنالك توادع فخامته والوزراء مع المقيم العام ورفع العلم الرئيسي فوق اعالي المدرعة واقلع الاسطول عند الغروب بفخامته ووزرائه وحاشيته من مياه بنزرت على طنين المدافع من كافة القلاع والتكنات البرية فسار به مع اليمن والسلامة الى ان عاد بفخامته لثغر طولون الحربي الذي ركب منه فخامته قبل عشرة ايام بقصد القدوم لتونس

﴿ الخاتمة ﴾

الفصل الاول

في الكلام على الحماية بالنسبة لاروبا وللمملكة التونسية

يظهر من عبارة التواريخ ان مبادي العلايق بين تونس واروبا كانت على عهد الحروب الصليبية اي بعد انتصار السلطان صلاح الدين الايوبي ورجوع النصارى من البلاد السورية يدلك عليه وجود الفاظ كثيرة قديمة جدا في الاصطلاح التونسي كقولهم « هذا رجل يتكلم ويلبس بالسوري » كناية على انه يحسن الالسنة والالبسة الفرنجية وما ذلك إلّا ظنا منهم في البدء ان الشيء السوري هو الفرنجي بعينه ويا بعد ما بين المشرق والمغرب وانما انجر لهم هذا الوهم من طريق اهل اروبا الذين وفدوا على افريقيا بعد اقامتهم اجيالا متعاقبة بالديار الشامية

فانت ترى ان اختلاط البلاد التونسية باروبا يرتقي في سلم القرون الخالية الى اواسط المائة السابعة للهجرة وهو العصر الذي كانت فيه اذاك سوق العلم بهذه الديار نافقة وبحور فنونه بالتاليف التونسية طافحة دافقة قال في كتاب المسامرات الاداريه الذي الفه رؤساء دولة الحماية باذن العلامة الخطيب المصقع مسيو ملي الوزير المقيم الاسبق

« ان موقع الايالة التونسية بحوض البحر المتوسط من احسن المواقع الجغرافية ووجودها باقصى شمال افريقيا جعلها مع عمالة الجزائر متاخمة

للقسم الغربي من حوض البحر المذكور الذي تحيط به اراضي اروباوية يعني اسبانيا وفرنسا وايطاليا - على ان سكان القطر التونسي اهالي المدن واهالي قرى السواحل كانت لهم في كل العصور علاقة متبعة بالاروباويين ومن دون احتياج للنظر في صحيفة الازمان السالفة اي في عهد ازهر عصورها الماضية فان تونس الاسلامية انما امتزجت ضمن المحفل الاروباوي الغربي بعلايق تجارية وسياسية لذلك كانت هي ملتقى العلماء في كل حين وآن فالقيروان والمهدية وتونس كانت مراكز راقية للاداب العالية نعم ان صبح هذه المدائن العلمية اظلمته غيوم الفتن في القرون الاخيرة إلَّا انه بقي على كل حال للتونسيين ذوق عميق وحب في العلم وثيق ولنا ان نرى في عصر الحماية الفرنسوية نوع حركة ونهضة سيبقى اثرها خالدا بتاريخ هذه الامة الراقية »

ولقد قال صاحب هذه العبارات حقا لان ارتقاء الافكار الاسلامية في تلك العصور كان بالغا حده يدلك عليه مسالة اختلاف المذاهب بهذه الديار عند ظهور دولة الشيعة اي الدولة العبيدية اذ كمل بظهورها اجتماع اشهر المذاهب الاسلامية الاعتقادية بهذه البلاد حيث جمعت اهل السنة بقسميهم « السلفية » الذين كانت عقيدتهم كعقيدة اهل السلف مبنية على ظواهر القرآن والسنة و « المتكلمين » الذين كانت عقيدتهم موسسة على الغوص في حقايق معاني الكتاب والاحاديث النبوية وجمعت « الشيعة » اي انصار سيدنا علي بن ابى طالب بقسميهم الاصليين قسم

150

« المتغالين » في الانتصار لمذهبهم المبني على ظواهر ضعيفة وقسم « المتفلسفين » وهو منشا طائفة الصوفية في تلك العصور ومذهب « الخوارج » المبني على ابطال الحكومة في الاسلام وعلى التغالي في التحاشي من مخالفة اوامره وعلى تكفير من حاد عن عقيدتهم واستحلال دمه وماله الذين يجوز ان ننعتهم بانهم آباء طائفة الفوضيين المعروفة في هذه العصور

تلك الحالة الراقية التي كانت عليها المملكة التونسية في القرون الوسطى وما قبلها وهي حالة اعقبها الفشل والضعف لسوء الحظ في الثلاثة القرون الاخيرة حتى آل امرها للانحطاط الدفعي وسقوطها في حجر فرنسا التي مدت لها يد المساعدة حتى اصبحت تونس متعلقة بها تعلق البنت البارة بامها الحنينة

ولم يكن استقرار فرنسا بتونس بالسهل عليها لانها كانت تمانعها ذلك دول اروبا اعني الدول التي اصبحت فيما بعد بفضل سداد التدبير الفرنساوي احباء لفرنسا وليكن القاري على بينة من ذلك ننقل له ملخص مقالة سياسية نشرتها في هذا الموضوع جريدة الطان المعتبرة - وهي لسان حال السياسة الخارجية لدولة الجمهورية - اثر اختتام زيارة مسيو فليار لتونس

قال - لابد لمن له المام بالتاريخ ان يستغرب كون المياه التونسية اصبحت اليوم مرسحا لهذه المظاهرات الودية وذلك ان بريطانيا العظمى وايطاليا كانتا على التناوب اشد الدول معا كسة لمشروع فرنسا بالمملكة اولا ثم

اكثرهن مجادلة فيه . فلا شئ اعظم قيمة اليوم للفرنسويين من ان يروا تينك الدولتين مشاركتين لهم بحسن طوية في الابتهاج بانجاز مشروعهم

ثم من يوم استيلاء فرنسا على القطر الجزائري اضطرت الحكومة الفرنسوية للاهتمام بمراقبة الحوادث الواقعة بتونس وقد اعرب جول فري عن حقيقة لا تقبل النزاع اذ قال يوم ٥ نوفمبر سنة ١٨٨١ بمجلس نواب الامة

« ان المسالة التونسية لا تقل قدما عن المسالة الجزائرية بل انهما متعاصرتان ولا يمكن ان يخطر على بال فرنسوي مخلص لبلاده ترك اكتساب وطن هو مفتاح دارنا باتم معنى الكلمة لغير دولة ضعيفة او حبيبة او راضخة لسلطتنا »

فجول فري لما نطق بهذه العبارات ذكر بتدقيق قضية مقررة منذ زمن طويل وذلك ان الاميرال الفرنسوي هوقون كان منع في سنة ١٨٣٥ الاسطول العثماني من انزال جيش الاحتلال تونس وفي سنة ١٨٤٥ رفض الباي بايعاز من القنصل الفرنسوى الولاية التي كان يروم الباب العالي الزامه بقبولها ثم في سنة ١٨٥٤ تعرض المسيو موتيبي سفير فرنسا بالاستانة لتداخل الاتراك وفي سنة ١٨٦٤ رامت الحكومة العثمانية ان تتداخل من جديد ولكنها لاقت من حكومة باريس مثل المعارضة الاولى بحيث ان جميع الحوادث التي حدثت في ذلك الوقت اثبتت صحة الملاحظة التي كان ابداها القنصل الفرنسوي بتونس يوم ٢٨ دسمبر ١٨٧١ حيث قال :

« لست اعتقد بانه يمكن اجتناب احتلال المملكة التونسية في المستقبل »

151

ومن المعلوم ان مسالة الاحتلال كانت عرضت لاول مرة في محادثة سياسية دارت بمؤتمر برلين وبيانه ان اللورد ساليز بوري سال في ٧ جويليه سنة ١٨٧٨ سفيرنا المسيو وادينطون عن الشروط التي تشترطها فرنسا للموافقة على الاتفاق الانكليزي التركي المتعلق بقبرص ولكن حيث ان السفير الفرنسوي الموما اليه لم يجبه بجواب قطعي فان اللورد ساليز بوري هو الذي قال له من تلقاء نفسه : « اعملوا بالمملكة التونسية ما تريدون . » فاستغرب المسيو وادينطون هذا الكلام اولا ولكنه لما عاد الى باريس قال لبعض خواصه : « انني اتيت بالمملكة التونسية هنا » ووضع يده على جيبه .

ولقد كان المسيو وادينطون على الصواب غير ان الامور جرت باقل سرعة مما كان ينتظر وذلك ان اللورد ساليز بوري اظهر الاحتراز في المسالة منذ ٧ اوت ١٨٧٨ حيث كتب للورد ليونس ما معناه :

انه يوجد بون عظيم بين الموافقة على امر وقع ونزل والتسليم للضرورة الناشئة عن الضروف السياسية فليس في امكان انكلترا ان تتجاوز هذا الحد ومن جهة اخرى فان الحادث الذي يشيرون اليه لم يزل بلا شك بعيدا جدا .

وفي الوقت نفسه كذب السير لازار بالاستانة ما كان شاع بان بريطانيا العظمى اباحت احتلال المملكة التونسية

ثم لما كانت فرنسا يوم ٢٦ افريل ١٨٨١ عازمة على العمل فان وزارة صان جامس (الوزارة الانكليزية) عزمت على ايقافها ولكنها لم تخف

ايضا اغتياضها من ذلك وبهذه المناسبة ابلغ اللورد ساليزبوري الباب العالي ما معناه :

« انني آسف كثيرا لكون فرنسا رات من واجبها ان تثير مسالة شرقية شديدة لفائدتها الشخصية » ومع ذلك فقد اقترح كبير وزراء انكلترا على فرنسا بنوع استياء في الحقيقة ان يتوسط بينها وبين الحكومة العثمانية في المسالة التونسية . ثم لما وقع امضاء معاهدة باردو بعد بضعة اسابيع قال اللورد غرانفيل للمسيو شاليل لاكور :

« من اخفاء الحقيقة ان اترككم تعتقدون بان عمل فرنسا في المملكة التونسية احدث تاثيرا حسنا بانكلترا وقد كنا ننتظر وقوع عمليات عسكرية ولكنكم اتيتمونا بمعاهدة حماية حقيقية . »

ومن جهة اخرى فان اللورد ليونس اعتنى بتسليم لائحة الى وزير خارجيتنا المسيو برتيلمي صانت هيلير احتج فيها سلفا عن فكرة جعل بنزرت قلعة حربية وبالجملة فان استياء بريطانيا العظمى في المسالة التونسية كان جليا بقدر الامكان

اما ايطاليا فان حنقها كان اشد وذلك انها ما كادت ان تتحقق حصول وحدتها حتى صارت تحلم بنشر سلطتها على البحر المتوسط حسبما كان يعدها بذلك ادباؤها وفي هذا المقام قال متزيني في سنة ١٨٣٨ ان افريقيا الشمالية راجعة الى ايطاليا وفي سنة ١٨٦٦ كتب بيزمارك لمتزيني نفسه بانه لا يمكن فرنسا وايطاليا ان تشتركا في البحر المتوسط لفائدتهما المشتركة وان ذلك البحر ارث تستحيل قسمته بين اقرباء . ثم ان مملكة

البحر المتوسط ملك من املاك ايطاليا بلا نزاع كان لهذه الدولة من السواحل فيه ضعفي ما لفرنسا . فمن الواجب اذن ان تكون مملكة البحر المتوسط موضوع اهتمام ايطاليا على الدوام والاستمرار والغاية التي يسعى لها وزراؤها والمقصد الاصلي لوزارة فيرينسة (ايطاليا . وبالجملة فان المؤلف الطلياني فريروزو كان يطلب في كتابه الذي سماه « ابل بريماتو ايطاليانو » مصر وطرابلس الغرب والمملكة التونسية والقطر الجزائري بصفة مستعمرات طبيعية لايطاليا فهل يمكن المرء والحالة هذه ان يستغرب هذا الامر وهو حدوث استياء شديد بايطاليا من العمل الذي قامت به فرنسا في سنة ١٨٨١ وقد القى ذلك الاستياء بعد بضعة اشهر بايطاليا في حجر المحالفة الثلاثية بحماسة عدوانية اشتد بسببها الخطر الذي كانت تتوقعه فرنسا من تلك المحالفة

فاذا امكن اليوم اعادة ذكرى تلك المقاومة بدون خطر وفي يوم عيد وسرور فما ذاك إلّا لكون الحالة باروبا تغيرت كثيرا ولكون فرنسا وايطاليا وانكلترا رات ان لكل واحدة منهما مكانا رحبا في البحر المتوسط وان بريطانيا العظمى اولا ثم ايطاليا اعترفتا بمركز فرنسا بتونس . ثم ان رئيس الجمهورية لما ذكر الارقام التي تدل على ترقي المملكة التونسية لم يتكبد عناء عظيما في اثبات هذا الامر وهو ان مساعينا خدمت الايالة التونسية واروبا معا ولقد مضت ثلاثون سنة على امضاء معاهدة باردو وبعد هذه المعاهدة باقل من عشرين سنة تمت المصالحة بين فرنسا وانكلترا وايطاليا اه

فهذه النبذة التاريخية التى قراها المطالع تدله على كنه سياسة فرنسا

بتونس من حيث العلائق الخارجية واما من حيث سياسة الحماية اعني السياسة الداخلية التي نسمع بها ونراها فعنوانها الخطاب السفيري الذى وقع به تنصيب سمو الحضرة العلية على اريكة اسلافها المكرمين والجواب عنه بلسانها الشريف وهما خطابان يبرهنان عن شدة الوثوق واستحكام روابط الالفة وعلائق الود بين الامة الحامية والامة المحمية وقد تقدم نقلهما بمقدمة هذه الرحلة الانيسة فليرجع لهما من شاء الوقوف على الخبر اليقين

الفصل الثانى

في الكلام على هدايا الاكرام وشعائر الوداد والاحترام

اهدى جناب رئيس الجمهورية الفرنساوية للحضرة العلية يوم زيارة فخامته لسموها بسراية باردو المعمور مقطفا فضيا للزهور حجمه ضخيم ونقشه جميل وفخيم وهذا المحمل الثمين النفيس كتب فوق قاعدته بالحرف الذهبي العبارة الاتية «من ارمان فليار رئيس الجمهورية الفرنساوية لسمو سيدي محمد الناصر باي ـ تفكرة زيارته لتونس في افريل ١٩١١ »

كما اهدى فخامته لمقامها الملوكي عند مبارحته للمياه التونسية وسام الكمندور الاكبر من النيشان الزراعي

واهدى الجناب الملوكى لفخامة مسيو فليار عند تلقي زيارته بسراية باردو نيشان آل البيت الحسيني السني كما اهدى فخامته يوم سفره عائدا للديار الفرنساوية سفرا جميلا مموها بالذهب الوهاج مطرز الحواشي ووشح الصفحات بمناظر ابنية ومعاهد ومعالم الحاضرة التونسية

وعند تمام زيارة فخامته ومبارحته لمياه بنزرت ارسل مقامه العالي لسمو الحضرة الملكية التلغراف الاتي نصه

الى حضرة سيدى محمد الناصر باي ـ بتونس

في هذا الوقت الذي بارحت فيه ارض الايالة التونسية اعرب لحضرتكم العلية عن كامل امتناني من اجل الاكرام الذي تفضلتم به نحوي وشاركتكم فيه الامة مشاركة فائقة كما اعرب لسموكم عن الابتهاج الذي حصل لي بما شاهدت في القطر التونسي من الاتحاد والوفاق المبشر بالسعادة والعمران

الامضاء ـ فليار

واجاب المقام الملوكي عن تلك الرسالة البرقية بتلغراف نصه

الى فخامة رئيس الجمهورية الفرنساوية بطولون

ان زيارة فخامتكم ستبقى محفوظة بذهني الى ما شاء الله ومرادي ان اكرر لكم عن تلك الزيارة عبارات الشكر في حق نفسي وبالنيابة عن الامة واني لسعيد الحظ من كون فخامتكم شاهدت بالذات مقدار ما لبلادي من التعلق بفرنسا وهو تعلق مبناه اعتراف القطر بما لفرنسا عليه من مزية تحقق سعادته وعمرانه

الامضاء ـ محمد الناصر باي

واصدر جناب المولى الوزير الاكبر بالدولة التونسية منشورا لكافة العمال يعرب فيه عن رضاه عما قاموا به من مظاهر الاحتفال والاحتفاء بفخامة الرئيس الكريم اثناء رحلته بالعمالة وهذا نص المنشور بعد فاتحته

اما بعد فان فخامة رئيس الجمهورية الفرنساوية اعرب لجناب المقيم العام عن شدة التاثير الحسن الذي حصل مما شاهده من مظاهر الاخلاص والصداقة نحو الدولة الجمهورية الفرنساوية ومما اظهره اهالي العمالة التونسية من الاعتناء والاحترام الذى تلقوا به فخامة الرئيس وقد رغب جناب المقيم العام في تعريفكم بذلك وعليه فبمجرد اتصالكم بهذا تبادرون بجمع خلفاوات ومشايخ واعيان ترابكم وتعرفونهم بما اظهره فخامة رئيس الجمهورية من الابتهاج التام بذلك كما نعرفكم بثناء الحضرة العلية على ما وقع من جميعكم مما ذكر ودمتم بخير والسلام من الفقير الى ربه تعلى امير الامراء يوسف جعط الوزير الاكبر وفقه الله

الفصل الثالث

في عطايا الكرام

احسن فخامة رئيس الجمهورية على جهات البر والفقراء بتونس عند مبارحته للحاضرة بخمسة ءالاف فرنك وقع توزيعها على الوجه الاتي

المستشفى الفرنسوي	فرنكات	١٠٠٠
المستشفى الصادقى	«	١٠٠٠
المستشفى الاسرائيلي	«	٥٠٠
المستشفى الطلياني	«	٥٠٠
الجمعية الخيرية الاسلامية	«	٥٠٠
الجمعية الخيرية الفرنساوية	«	١٠٠٠

الجمعية الخيرية الاسرائلية	فرنكات	٢٥٠
مستشفى الابتيت	»	٢٥٠

كما ان الكتابة العامة احسنت بتلك المناسبة لارامل فقراء المسلمين بالفين من الفرنكات وزعتها عليهن توزيعا عادلا انطقهن بالشكر الجميل والثناء الجزيل

وكما ان فخامة الرئيس احسن بمبالغ اخرى للجمعيات الخيريات وللفقراء بالمدن الاتي بيانها

فلمدينة القيروان بملبغ قدره فرنكات	١٠٠٠
ولمدينة سوسة بمثل ذلك	١٠٠٠
ولمدينة صفاقس بمثل ذلك	١٠٠٠
ولمدينة بنزرت بمثل ذلك	١٠٠٠
ولمدينة الكاف بفرنكات	٥٠٠
ولمدينة قابس بمثل ذلك	٥٠٠

الفصل الرابع

في مصاريف الرحلة الرئيسية

في الخامس عشر من جمادى الاخرة سنة ١٣٢٩ اصدرت الحضرة العلية امرا في تخصيص المال اللازم لدفع المصاريف الناتجة عن زيارة فخامة رئيس الجمهورية للمملكة التونسية وهذا نص محل الحاجة منه

الفصل الاول

زيادة على المبالغ المرسمة بالامر المؤرخ في ٢٩ ذي الحجة سنة ١٣٢٨ وفي ٣١ دسمبر ١٩١٠ يرسم لادارة الاشغال العامة تحت عنوان

« المصاريف الغير اعتيادية بميزانية سنة ١٩١١ » مبلغ قدره مائتا الف فرنك وخمسون الف فرنك ويكون ترسيمه بالباب ٧ من القسم الثاني من ميزان سنة ١٩١١ تحت الفصل ٢٩ المراد فتحه بعنوان (رحلة جناب رئيس الجمهورية الفرنساوية بالعمالة التونسية في سنة ١٩١١)

وكما اصدرت امرا ثانيا بعنوان ملحق للامر المذكور في تاريخ ١٨ ذي الحجة ١٣٢٩ ونص محل الحاجة منه

(زيادة على المبالغ التي عينت يرسم لادارة الاشغال العامة مبلغ قدره ثمانية وثلاثون الف فرنك بعنوان سفر جناب رئيس الجمهورية الفرنساوية بالعمالة التونسية في سنة ١٩١١)

وزيادة على ذلك فان المجالس البلدية شاركت في مصاريف رحلة الضيف الكريم بالمبالغ الاتية

فمدينة تونس اعدت لذلك مبلغا قدره فرنكات	٥٠٠٠٠
ومدينة سوسة مبلغا قدره	٢٠٠٠٠
ومدينة صفاقس مبلغا قدره ايضا	٢٠٠٠٠
ومدينة بنزرت مبلغا قدره	١٥٠٠٠
ومدينة القيروان مبلغا قدره	٥٠٠٠
ومدينة قابس مثلها	٥٠٠٠
ومدينة الكاف مبلغا قدره	٣٠٠٠
ومدينة قفصة مبلغا قدره	٢٠٠٠
ومدينة مجاز الباب مثلها	٢٠٠٠
ومدينة سوق الاربعاء مثلها	٢٠٠٠

الفصل الخامس

في عرايض التهاني وقصايد المديح

كان في مقدمة المهنئين بمقدم فخامة رئيس الجمهورية جناب والي عموم الجزائر اذ ارسل لفخامته تلغرافا في التهنئة بقدوم جنابه العالي لزيارة المملكة التونسية اعرب فيه عن عظيم احترامه وعن تعلق المستعمرة الجزائرية بالدولة الجمهورية وختمه باستدعاء فخامته لزيارة البلاد الجزائرية وقد اجابه المقام الرئيسي متشكرا عن تلك الاحساسات وواعدا اياه بزيارة العمالة الجزائرية خلال هذا العام

أما المجالس البلدية بالمملكة التونسية فقد اجتمع اعضاء كل مجلس بلدي بمحل ادارته وقرروا باجماع الاصوات فرحهم واعربوا عن تهنيئتهم لمقام الرئيس العظيم والضيف الكريم

كما كتب مجلس الجمعية الخلدونية في تقرير جاساته عبارة تشكراته وامتنانه وهنائه لفخامة مسيو فليار الذي احسن للجمعية بعطية قدرها الف فرنك على وجه التنشيط كما سبقت الاشارة لذلك بالباب الثاني من الرحلة

وكما قدم اعيان الجزائريين والوهرانيين عريضة لجناب السفارة في الاعراب عن ولائهم واخلاصهم لفخامة رئيس الجمهورية

وقدمت الجمعية العلمية الفرنسوية بسوسة عريضة هناء من قلم رئيسها كما قدمت فتيات قابس الفرنساويات نظما حماسيا من قلم المسيو دبرجون في تهنئة فخامته وكما قدم نادي قرنبالية بلسان التلغراف تهنئة لجنابه على طريق جناب الوزير المقيم وهذا نصها

ان النادي التونسي بقرنبالية الذي يمثل اهالي هـذا البلد وناحيته يرجو منكم يا جناب الوزير ان تبلغوا فخامة رئيس الجمهورية عند حلوله بالبلاد التونسية مراسم الترحيب المقرونة بالاحترام ولما للتونسيين من التشبث بحكومة الحماية فانهم بتحيتهم لفخامته لا يحيون رئيس الدولة العظيم فقط بل ويحيون معه فرنسا ذات المبادي الكريمة الخيرية التي ملات اشعتها العالم

الاعضاء : ادارة النادي

ونشرت الجرائد العربية التونسية وفي مقدمتها الحاضرة والزهرة والصواب ومرشد الامة والمشير عبارات الهناء لفخامة الرئيس مكتوبة بقلم السرور ومشعرة بما حصل للبلاد التونسية من الفخر والعناية بزيارته الكريمة

كما قدمت صحيفة « صباح » الاسرائيلية التي تطبع بالحاضرة لفخامته قصيدة في التهنئة والمديح من انشاء الموسيقي بنيني شمامه معلم النقر على البيانو

هذا ما وصل لعلمنا في هذا الباب نقلناه هنا اتماما للفائدة وجمعاً للطارف والشاردة

واما قصائد المديح التي قيلت في فخامة الرئيس فنذكر منها ما وقفنا عليه بالجرائد تنويها بشان تلك الخرائد

فمن ذلك قصيدة انشاها الشاعر الكبير الشيخ محمد الحشايشي الشريف متفقد الكتب بجامع الزيتونة قدمها لفخامة الممدوح على طريق الكتابة العامة ونصها

رئيس القوم يصحبك السلام اضاء القطر وجهك يا همام
ولما ان قدمت قدوم غيث لتونسنا وزان بك النظام
تباشرت البلاد ومن عليها وثغر القطر راق له ابتسام
ونادى البشر بشرى الناس طرا بفلبير وتصحبه العظام
تطلع بدر باريس بارض حمت اقطارها قوم فخام
وشرفها فنلنا به افتخارا وامنا للبلاد فلا تضام
الست رئيس جمهور الفرنسي وزورة ذاتك العظمى اغتنام
وسعد مقبل لا ريب فيه وعز ليس يخلقه الدوام
وشمس تونس منها استنارت وادبر عن معالمها الظلام
فاهلا ثم سهلا ثم رحبا ببدر لا يفارقه التمام
فيا فلبير انت رئيس قوم لهم في العلم مرتبة تقام
لهم تعزى المعارف كل يوم كما يعزى الى البحر الغمام
ودمت مطوقا بنظام عز وبدرك لا يفارقه الدوام

وكما قدم ايضا لفخامته على الطريق المذكور الفاضل الاديب السيد علي الورداني احد كبار المترجمين بالدولة التونسية قصيدة هذا نصها

قدوم سموكم للقطر فخر ويبقى للايالة منه ذكر
ولا عجب اذا شرفتمونا وبان على الوجوه لديك بشر
فان ودادنا للعرش منكم عليه قد انطوى قلب وصدر
وتنجذب النفوس الى مثال له في الكون والارواح سر
وهذا العبد قد ود اقترابا فقربه الى الاعتاب شعر
ومعترف بعجز عن مديح لامتك الجليلة وهو فخر

فان الجمهورية لا يساوي　مزاياها الجميلة منا شكر

وامتك الفخيمة قد تعالت　كثيرا والعلوم بها تقر

وهاتيك الديار ديار امن　وانصاف ونعم المستقر

وكم نزل الغريب بها فالفى　لحسن الحظ ما يرجوه حر

جمالها قد كسا الاقطار حسنا　واهلها كالنجوم وانت بدر

بهمتها استتب الامن فينا　وزالت كل منقصة وذعر

واصبحت البلاد تتيه عجبا　تشد لها الرحال وتشمخر

وقد نال التمدن ساكنوها　وزاد شعورهم وتعالى فكر

وبالاصلاح قد كسبوا ارتياحا　وحفظا للجسوم فطال عمر

واصبح نسلهم ريان علما　وخف الجهل عنهم واستقروا

وكلهم يدين بذاك شكرا　وذاكر فضلكم في الناس غمر

اما زال الشقاء ببعد دار　وحاكى قربهم في الحين نشر

وسار الرتل يخترق الثنايا　يقربها ولم يرتد شفر

ونال نظام مال القطر عدلا　وعين للمصالح وهي كثر

وفاز العدل عما كان قبلا　ونال الخصم ما يهواه فكر

واسست المحاكم بانتظام　فاذهب بيننا ظلم وجور

وهل يخفى الضياء لدى صباح　وبعد الجهل فينا بان فجر

نعم ارجو الاعانة من علاكم　لاحياء فان الموت فقر

وليس المال إلا بعد جهد　ومعرفة بها فوز وظفر

وقد ماتت صنائعنا وارجو　يعيد حياتها طلب وذكر

وان تجري السياسة باشتراك　يفوز بنيله بدو وحضر

وتشترك المنافع بين كل — وتحصل الفة وينال خير
ودونكم مقالا من ضعيف — يقدم كالهدية وهو شعر
يرجى ان يرى ثمرا نفيسا — يفوز بنيله اهل وقطر
وداست دولة الجمهور ترقى — مراقي العز لا ياتيها ضير
وها انا قلت غب الختم ارخ — قدوم رييسنا فخر يقر
١٥٠ ٥٧١ ٨٨٠ ٣١٠

سنة ١٩١١

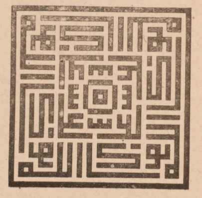
وقدم الفاضل الاديب الشيخ صالح سويسي الشريف من بيوت المجد القيرواني قصيدة لفخامته يوم زيارة جنابه للقيروان وهذا نصها

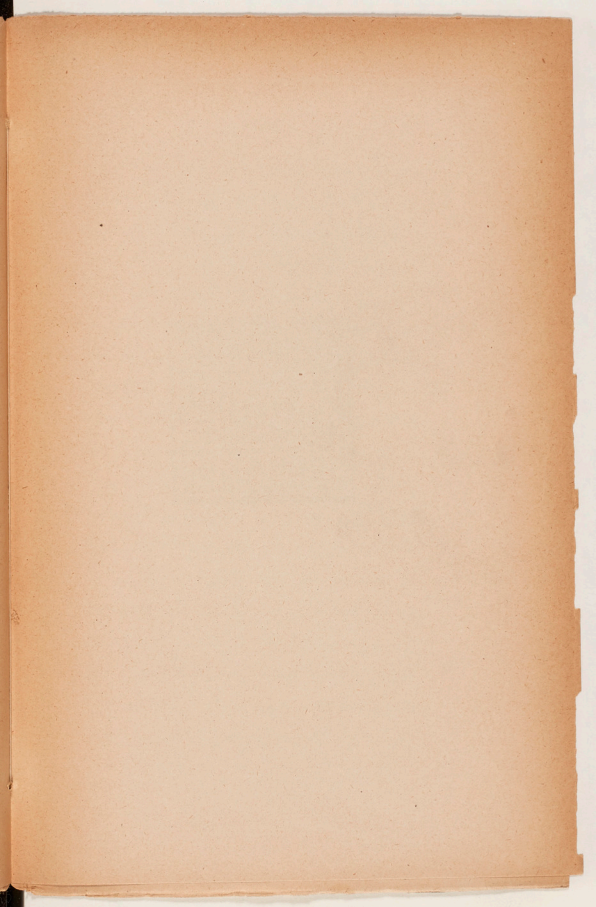
عظيم الناس من نفع العباد — واسعد من فضائله البلاد
واكبر في نفوس القوم طرا — همام بالمعارف قد افاد
فمن غرس المصالح نال خيرا — واضحى في حياته لا يعادى
وكم في الدهر من دول عظام — بسر العدل قد بلغوا المراد
وكم في (الشورى) من امر عظيم — وفخر ما راينا له نفاد
بها كل الممالك راقيات — ومن ايجادها سلكوا الرشاد
لقد وافى (الرئيس) بكل خير — الى قطر به غرس الوداد
فاسفر بالرسالة صبح عدل — بها تهوى نفوس القوم جاد
وحل (القيروان) بكل بشر — وللآثار شاهد ما افاد
ورحب اهلها بقدوم شهم — بسر العدل والاصلاح ساد
فيا اهل (الحماية) انقذونا — من الجهل الذي عم السواد

وانواع (المعارف) عمموها فداء الجهل فيلقه تمادى
ومن علم (الصنائع) نوّرونا فقد الفت صنائعنا الكساد
واحمال (الضرائب) خففوها فان الفقر قد هلك العباد
لقد عرضت مطالبنا لديكم وانتم خير من رفع العماد
الستم من بني الاحرار حقا وكل منكم بالحق نادى
فخير المنصفين فتى أبلبي نداء مطالب القمى القياد

وقدم الوجيه التاجر السيد محمد علان لفخامته سفرا جميلا متقن الوضع والطبع يحتوي على مناظر ومواقع قابس ونخيلها ضمنه القصيدة الآتية

لقد نال هذا السفر فخرا موبدا ونال احتراما فائقا لن يحددا
بلثم يد المولى المعظم من غدا بآرائه صدرا وملجا وسيدا
يشار اليه بالبنان مهابة وقد مدت الدنيا لحضرته يدا
فنال بها (فليبر) عزا ورفعة واضحى بها بين الملوك ممجدا
وقاد بها شعبا كريما الى العلى فعاش سعيدا ذلك الشعب واهتدا
فكل عظيم حين يلقى رئيسه يطاطىء راسا ثم ينكب ساجدا
فته ايها القطر العزيز بزورة ستسمو بها يا قطر مادمت سرمدا
الا وتيقين ان سعدك قد بدا بما ستراه من مكارم ذي الندى
نقدم هذا السفر منا هدية ونرجو قبولا بالمسرات عائدا
ولا ريب عندي ان تمن به على عبيدك يا من طبت فرعا ومحتدا
فعش ايها المولى الرئيس مبجلا وعش ايها الشعب العزيز مؤبدا





« ذيل »

يحتوي على اسماء الذوات والاعيان التونسيين الذين امكنني الوقوف على اسمائهم ممن احسن لهم فخامة رئيس الجمهورية بالنياشين والامتيازات بمناسبة زيارته للعمالة التونسية

(الصنف الثالث من اللجيون دونور)

السيد محمد القروي　　رئيس الخزنة العامة

السيد مصطفى دنقزلي　　عامل احواز الحاضرة

السيد احمد اللونقو　　عامل الجريد

(الصنف الرابع من اللجيون دونور)

السيد علي بن مصطفى　　رئيس القسم الاول بالوزارة الكبرى

السيد محمد بن الخوجة　　رئيس قسم المحاسبة بالكتابة العامة

السيد عبد الجليل الزاوش　　العضو بمجلس الشورى

السيد محمد الفوراتي　　مثله

المسيو فيتوسي　　مثله

السيد الكيلاني شلبي　　العضو بالمجلس البلدي

السيد خير الله بن مصطفى　　المترجم المحلف بالمجلس المختلط

السيد محمد الصالح البكوش　　عامل باجة

السيد صالح النجار　　العضو بمجلس الشوري

السيد مسعود بن العربي　　عامل ورغمة

(الصنف الاول من نيشان العلوم)

السيد محمد العزيز الحيوني رئيس قسم الاشهاد بادارة الفلاحة والتجارة

« محمد الزعفراني رئيس قسم الاشهاد بادارة الاشغال العامة

الصنف الثاني من نيشان العلوم

السيد محمد بوسن رئيس المجلس الجنائي بمحكمة الوزارة

« العربي بن عبد الله رئيس الترجمة بالقسم الاول من الوزارة الكبرى

« عبد العزيز البكوش كاهية قسم الترجمة بالكتابة العامة

« علي الورداني المترجم بالكتابة العامة

« محمد المقداد الورتتاني نائب جمعية الاوقاف بالقيروان

« صالح سويسي من ادباء القيروان

« احمد المحمودي معلم بمدرسة المرسى

« احمد داود معلم بالمدرسة العلوية

« محمد عظوم العضو بشركة الزربية بالقيروان

« الحكيم حسين بوحاجب طبيب بالمستشفى الصادقي

« علي ثامر عضو بالمجلس البلدي بتونس

« محمد علان تاجر بقابس

« حسن حسني عبد الوهاب رئيس قسم بادارة الغابة

« الهادي بن عمار وكيل الكتب بالمدرسة الخلدونية

« الهادي الصنادلي معلم بمدرسة الحدادين

« هارون صفار محتسب بجريدة الديبش تونزيان

الصنف الثالث من نيشان اللياقة الزراعي

السيد محمد بن خليفه	عامل الاعراض

الصنف الرابع من نيشان اللياقة الزراعي

السيد الهادي الجيلاني	عامل بنزرت
» عبد الرحمن اللزام	العضو بمجلس الشورى
» الحبيب بن رجب	مثله
» عبد الله كاهية	مترجم المراقبة المدنية بقابس
» علي بن القروي	خليفة ترياقة بعمل صفاقس

عبارة الختم

هذا ما وصل اليه جهد المقل في تدوين اخبار هذه الرحلة الحافلة التى اذنت بتحريرها من طرف الدولة التونسية وقد توخيت في كتابتها الاعتدال حتى لا يمل من قراءتها المطالع . وحتى يستفيد منها الناظر والسامع . واعتمدت في تكميل انقاصها على فطنه القاري. راجيا منه الصفح عما عسى ان يجد بها من الغلط الذي ستتبدد سحابته بطلوع نجمه الساري . والله المسؤل ان يغفر زلات الجميع . وان يلهم الكل لما فيه حسن الصنيع . والحمد لله رب العلمين





